الفَصْلُ والوَصْلُ
في
سُورَة الأعرَاف
إعداد
عمر بن عبد المجيد البيانوني

حَقُّ الطبعِ والنشر مباحٌ لكل مَنْ أراد بشرط المحافظة على الأصل

جزى اللهُ خيراً كلَّ مَنْ أعان على نشر هذا الكتاب وتوزيعه

للتواصل مع الباحث

/https://omarbianony.wordpress.com

البريد الالكتروني:

xOMAR88x@gmail.com

بالفيس بوك:

facebook.com/OMARBIANONY

الإهداء

إلى الباحثين عن أسرار القرآن، المستعينين على ذلك بالرحمن، الذي برحمته وفضله علَّم الإنسانَ القرآنَ، وعلَّمه البيانَ..

إلى الظَّامئين إلى نُور القرآن، الباحثين عن هدايته، لِيضيءَ لهم حياتَهم في الدُّنيا والآخرة.

مقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن العظيم، والصلاة والسلام على أفصح الخلق وأبلغهم سيدِ المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد.

فإنَّ العنايةَ بدراسة أساليب القرآن والكشف عن أسراره ومعانيه مِن أهمِّ الأمور التي ينبغي فهمها ودراستها.

وإنَّ موضوع الفصل والوصل من المواضيع الجديرة بالبحث والاهتمام، التي ينبغي دراستها من مختلف الزوايا، لمعرفة شيء عن عَظَمة القرآن الكريم والاغتراف من بحره الذي لا ينضب.

ولم أجد مَن أفرد بحثاً عن الفصل والوصل في سورة الأعراف، فأحببت أنْ أقومَ بجهد يسير في هذا الجانب الكبير، راجياً من غيري إكمال المسير، ومن الله وحده أستمدُّ العونَ والتيسير. فهو المولى والنصير.

وقد استفدتُ من كلام العلماء وانطلقتُ مِنْ معالم هديهم، وما أنا في هذا البحث وغيره إلا مُقتبسٌ مِنْ أنوارهم، وخادمٌ لعلومهم.

ويعجبني هنا أنْ أقتبسَ ما قاله الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله: (وإذا صادفَ أنَّكَ ألَّفْتَ كتاباً أو كتبتَ بحثاً أو حققتَ مسألةً فلا تظنَّنَّ بنفسك أنّكَ بَدْءُ تاريخها وأبو عُذْرَتها ونابطُ وُجودِها، فهـذا الذي منَّ اللهُ عليكَ بهِ ـ إنْ كان كما رأيته صواباً سديداً ـ قد استندتَ فيهِ إلى جهودِ الأولينَ وإلى نبوغهم وتفانيهم في العلمِ جمعاً وتنسيقاً وضبطاً وتحقيقاً، فلولاهم ما كنتَ شيئاً ما! وهم بعلمهم وفضلهم وصبرهم وآثارهم راشوا جناحيك، وبصَّروا عينيكَ، وفتَّحوا أذنيكَ، وسدَّدوا عقلكَ وفهمَك، فأنت حسنة من حسناتهم شعرتَ أو لم تشعُر) [1].

1ـ فكرة الموضوع:

دراسة الفصل والوصل في سورة الأعراف، والبحث عن أسرار القرآن في هذا الأسلوب.

2ـ أهمية الموضوع وسبب اختياره:

1ـ أنني لم أجد من أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل.

2ـ تظهر أهميته من كونه يتعلق بأسلوب من أساليب القرآن الكريم.

([1]) . صفحات من صبر العلماء: 386.

3ـ خدمة مبحث من مباحث القرآن وسد ثغرة في هذا المجال.

3ـ أهداف البحث:

1ـ العناية بعلوم القرآن الكريم ودراستها، والكشف عن أساليب القرآن البيانية.

2ـ معرفة أهمية الرجوع إلى كتب التراث والاستفادة منها، ففيها الكثير من العلوم والمعارف التي لا يمكن الاستغناء عنها.

3ـ فتح المجال لدراسة هذا الأسلوب في بقية سور القرآن، وكذلك دراسة الأساليب الأخرى.

4ـ المساهمة في الإضافة والبناء للعلوم الشرعية.

4ـ الدراسات السابقة:

مِنْ خلال تتبُّعي وبحثي عن هذا الموضوع لم أجدْ مَن أفرد دراسة علمية عن (الفصل والوصل في سورة الأعراف).

ولكني وجدت بحوثاً في الفصل والوصل في القرآن الكريم عامة، أو في سُوَر أخرى غير سورة الأعراف، ومن ذلك:

بحث: (الفصل والوصل في القرآن الكريم) للأستاذ منير سلطان، وهو منشور في منشأة المعارف بالإسكندرية.

ومن ذلك أيضاً: (أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية) للدكتور صبَّاح عبيد دراز، وهو منشور في مطبعة الأمانة في مصر.

ومن ذلك: رسالة مقدمة لاستكمال شهادة الماجستير في جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، وعنوان الرسالة: (الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة لسانية نصية سورة الشعراء أنموذجاً)، من إعداد الطالبتين أسماء بلمختار، وفطيمة شرافت.

وكذلك رسالة ماجستير في جامعة محمد خيضر بسكرة في الجزائر، وعنوان الرسالة: (الفصل والوصل في سورة القصص)، للطالبة حنان زوبيري.

ومن ذلك: بحث (الفصل والوصل في القرآن الكريم، سورتي النبأ وعبس أنموذجاً) للدكتور عبد القادر عبد الله فتحي، وهو منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية.

ومن ذلك: (جمالية الوصل والفصل في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجاً)، من إعداد الطالبتين زلماطي زينب، وطهاري كريمة، وهو مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة في الجزائر.

ولا أريد أنْ أنتقصَ أو أقلِّلَ من قيمة هذه الأعمال السابقة كما يحلو للبعض أنْ يفعل لِيجعلَ لبحثه قيمة وكأنَّ نجاحَه مرهونٌ بإسقاط الآخرين!!

فكل بحث يسد ثغرة ويتناول جانباً من الجوانب، وإنَّما السَّيلُ اجتماعُ النُّقَط.

5ـ حدود البحث:

سيكون نطاق البحث هو الفصل والوصل في سورة الأعراف.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة تحتوي على:

1ـ أهمية الموضوع وسبب اختياره

2ـ أهداف البحث

3ـ الدراسات السابقة

4ـ حدود البحث

5ـ المنهج المتبع في البحث

والتمهيد: معنى الفصل والوصل، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفصل والوصل في اللغة

المبحث الثاني: الفصل والوصل في الاصطلاح

المبحث الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

وقسمت البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: الفصل والوصل في اللغة العربية، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: أهميَّةُ الفصلِ والوصلِ في اللغةِ العربيَّةِ

المبحث الثاني: الأطوارُ والمراحلُ التي مرَّ بها الفصلُ والوصلُ

المبحثُ الثالثُ: الفَصلُ والوَصلُ بين عِلْمَيْ النحوِ والبلاغةِ

المبحث الرابع: مواضعُ الفصلِ

المبحث الخامس: مواضعُ الوصلِ

المبحث السادس: أنواعُ الوصلِ بالنسبةِ إلى المفردِ والجملةِ

المبحث السابع: الفصلُ والوصلُ بين الجملِ التي لا محلَّ لها من الإعراب

المبحث الثامن: أغراضُ الفَصلِ والوَصلِ

الفصل الثاني: الفصل والوصل في سورة الأعراف، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أنواع الفصل، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفصل بالاستئناف

المطلب الثاني: الفصل بالجملة المعترضة

المطلب الثالث: الفصل بالاستثناء المنقطع

المطلب الرابع: الفصل بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل)

المطلب الخامس: الفصل بـ: (حتى الابتدائية)

المبحث الثاني: أنواعُ الوصلِ، وفيه أربعةُ مطالب:

المطلب الأول: الوصلُ بالواو

المطلب الثاني: الوصلُ بالفاء

المطلب الثالث: الوصلُ بـ (ثم)

المطلب الرابع: الوصلُ بـ (أو)

المبحث الثالث: من أسباب الفصل، وفيه ستةُ مطالب:

المطلب الأول: من أسباب الفصل: طَرِيقَةُ المُحَاوَراتِ

المطلب الثاني: من أسباب الفصل: أن تكون الجملة بيانية،

المطلب الثالث: من أسباب الفصل: لَفْتُ الْأَذْهَانِ إِلَيْهِ

المطلب الرابع: من أسباب الفصل: إفادةُ التَّعليلِ

المطلب الخامس: من أسباب الفصل: أن تكون معترضة

المطلب السادس: من أسباب الفصل: أن تكون الجملة مؤكِّدة

المبحث الرابع: من أسباب الوصل، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: من أسباب الوصل: وجود المناسبة المتوسطة بَيْنَ كَمَالِ الِاتِّصَالِ وَكَمَالِ الِانْقِطَاعِ

المطلب الثاني: من أسباب الوصل: إفادة معنى زائد على ما في الجملة السابقة.

المطلب الثالث: مِن أسبابِ الوصلِ: الاتحادُ في الإنشاء أو الاتحادُ في الخبر

المطلب الرابع: من أسباب الوصل: إفادة المغايرة

خاتمة: وفيها نتائج البحث والتوصيات.

والفهرس.

6ـ المنهج المتبع في البحث وعملي فيه:

المنهج المتبع هو (المنهج الاستقرائي الاستنباطي التحليلي والمقارن)، ويتمثل ذلك في الآتي:

1ـ البحث في التفاسير عما يتعلق بالفصل والوصل في سورة الأعراف.

2ـ قمت بعزو الآيات، واستحسنت أن أذكر اسم السورة والآية في المتن وليس في الهامش وأضع ذلك بخط صغير بين [معقوفتين]، تجنُّباً لكثرة الهوامش، وحتى لا ينقطع تسلسل القارئ في قراءته.

3ـ قمت بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها.

فإن كان الحديث مروياً في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذكر ذلك، وإن لم يروَ فيهما ذكرت أهم المصادر التي روت الحديث.

4ـ عندما أنقل نصاً في البحث وأذكر رقم الجزء والصفحة، أو الصفحة فقط، فهذا يعني أن بداية الكلام الذي نقلته من هذه الصفحة، وقد يكون بقية الكلام في الصفحات التي تليها، فلا حاجة لأقول: صفحة كذا وما بعدها. وعندما أنقل بالنص أجعل النقل بين (قوسين)، أما إذا كان الكلام بتصرف فبدون قوسين، وأقول في الحاشية: انظر:...

سائلاً من الله تعالى الإخلاصَ والتوفيقَ والسدادَ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ للهِ ربِ العَالمين.

التمهيد: معنى الفصل والوصل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفصل والوصل في اللغة

المبحث الثاني: الفصل والوصل في الاصطلاح

المبحث الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

التمهيد: معنى الفصل والوصل

تعدَّدت أقوال العلماء وتنوَّعت في معاني الفصل والوصل عند العرب، وسأبيِّن معنى الفصل والوصل في اللغة والمراد بهما في الاصطلاح، ثم سأذكر العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، جاعلاً ذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفصل والوصل في اللغة

الفصل في اللغة:

ـ الفاء والصاء واللام كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تمييز الشَّيء من الشَّيء وإبانته عنه. فالفصل هو بَوْنُ ما بين الشَّيئينِ. يقال: فَصَلْتُ الشَّيءَ فَصْلاً. والفَيْصل: الحاكم. والمِفْصَل: اللِّسان، لأنَّ به تُفصَل الأمور وتميَّز.

ـ ويأتي الفَصْلُ بمعنى: القَضاء بين الحقِّ والباطل، وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات: 38] أي هذا يومٌ يُفْصل فيه بين المُحْسِنِ والمُسْيء ويُجازَى كلٌّ بعَملِه وبما يَتَفَضَّل اللهُ به على عَبْدِه المُسْلِم، وقولُ فَصْلٌ حقٌّ ليس بباطلٍ، وفي التنزيل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: 13]، وقد فَصَلَ الحُكْمُ وحُكْمٌ فاصِلٌ وفَيْصَلٌ ماضٍ، وحكومة فَيْصَلٌ كذلك، واسمُ ذلكَ القضاءِ فَيصَلٌ. وقضاءٌ فَيْصَليٌّ وفاصِلٌ. وحُكْمٌ فاصِلٌ. تقول: كانوا حكَّاماً فياصل، يحزو في الحكم المفاصل؛ جمع: فيصل وهو الفاصل بين الحق والباطل. وهذا الأمر فيصل أي مقطع للخصومات.

ـ والمَفْصِلُ كل مُلْتَقَى عظْميْن من الجَسَدِ، والمفاصل: مَفاصل العِظام. والفَصْلُ من الجَسَد: موضِعُ المَفْصِل، وبين كل فَصْلَيْنِ وَصْلٌ. والمَفْصِل: ما بين الجبلَيْن، والجمع مَفاصل.

ـ والفَصْل الحاجزُ بين الشيئين، فصَل بينَهُما يَفْصِل فصْلاً فانْفَصل، والفاصِلةُ الخَرَزَةُ التي تَفْصِلِ بين الخَرَزَتَيْنِ في النِّظامِ، وقد فَصَّل النَّظْمَ، وطَعْنَةٌ فَيْصَلٌ تَفْصِل بين القِرْنَيْن، وفَصَلَ المولود كذلك، وطَعْنَةٌ فَيْصلٌ تَفْصِلُ بين القِرْنَيْن، وفَصَلَ المَوْلُودَ عن الرَّضَاعِ يَفْصِلُه فصْلاً وافْتَصَلَه فَطَمَه، والاسْمُ الفِصالُ، وقال اللحيانيُّ: فَصَلَتْه أمُّه لم يَخُصَّ نَوْعاً.

ـ والفُصلانُ جمعُ الفَصيل، وهو وَلَدُ الإِبِل. والفَصيلُ: حائطٌ قصيرٌ دون سور المدينة والحِصْنِ. والانفِصالُ مطاوَعَةُ فَصلٍ. والمَفصِلُ أيضاً: كلُّ مكان في الجَبَل لا تَطلُعُ عليه الشمسُ.

ـ والفَصِيلُ وَلَدُ الناقةِ إذا فُصِلَ عَنْ أُمِّه، والجمعُ فُصْلانٌ وفِصَالٌ، فمن قال: فُصْلانٌ، فعلى التَّسْميةِ كما قالوا: حارِثٌ وعبّاسٌ، وقالوا: فِصَلانٌ، شبَّهُوهُ بغُرابٍ وغِربانٍ، يَعْنِي أن حُكْمَ فَعِيلٍ أن يُكَسَّرَ على فُعلانٍ بالضَّمِّ وحُكْمَ فُعالٍ أن يُكَسَّر على فُعلانٍ، لكنهم قد أدخلُوا عليه فَعِيلاً لمُساواتِهِ له في العِدَّة وحروفِ اللِّينِ، ومن قال: فِصالٌ فَعَلَى الصَّفةِ، كقَوْلِهم: الحارثُ والعبَّاسُ، والأُنْثَى فَصِيلةٌ، وفَصِيلَةُ الرَّجُلِ عَشِيرتُه ورَهْطُه الأدْنُونَ، وقيل: أقْربُ آبائِه إليه، وفَصَل عن بَلدِ كذا يَفْصِلُ فُصُولاً. والفَصِيلُ حائطٌ دون الحِصْنِ، وفَصَلَ الكَرْمُ ظَهَرَ حَبُّهُ صَغيراً أَمثالَ البُلْسُنِ، والفَصْلَةُ النَّخْلةُ المنقولةُ المُحَوَّلةُ وقد افْتصَلَها عن موْضِعها، والمفَاصِلُ الحجارةُ الصُّلْبَةُ المُتراصِفَةُ، وقيل: المَفَاصِلُ ما بين الجَبَلَيْنِ من الرَّملةِ يكونُ بينهما رَضْواضٌ وحَصىً صِغارٌ فَيَصْفُو ماؤُه ويَرِقُّ.

ـ تقول: (هو أصفى من ماء المفاصل) وهو الماء الذي يقطر من بين العظمين إذا فصلا، وقيل: الذي يوجد في فصل ما بين الجبلين. وتقول: ربّ كلامٍ بالمفصل، أشدّ من كلامٍ بالمفصل. وكأن منطقه خرزات يتحدَّرن من وشاح مفصّل. وفلان من فصيلة أصيلة. وافتصلنا فصلاتٍ فما عتم منها شيء أي حلنا تالاً فعلق كلّها، الواحدة: فصلة. ووثقوا سور المدينة بكباشٍ وفصيلٍ. وفصل العسكر من البلد فصولاً.

ـ وقد فصل مني إليك غير كتاب. وفصّل الشاة تفصيلاً: قطعها عضواً عضواً. وفصّل لي هذا الثوب. وفلان قرأ المفصّل وهو ما يلي المثاني من قصار السور، الطّولُ ثم المثاني، ثمّ المفصّل [1].

وأما الفرق بَين القطع والفصل فالفَصْل هُوَ الْقطع الظَّاهِر، وَلِهَذَا يُقَال: فصل الثَّوْب، وَأما القطع فقد يكون ظَاهراً وقد يكون خافياً كالقطع فِي الشَّيْء الملزق المموه، وَلَا يُقَال لذَلِك فصل حَتَّى يبين أحد المفصولين عَن الآخر، وَمن ثمَّ يقال: فصل بَين الخَصْمَيْنِ إِذا ظهر الحق على أَحدهمَا، فَزَالَ تعلق أَحدهمَا بِصَاحِبِهِ فتباينا، وَلَا يُقَال فِي ذَلِك قطع، وَيُقَال: قطعه فِي المناظرة؛ لِأَنَّهُ قد يكون ذَلِك من غير أَن يظْهر وَمن غير أَن يقطع شغبه وخصومته.

([1]) . انظر: كتاب العين 7: 126، معجم مقاييس اللغة 4: 505، المحكم والمحيط الأعظم 8: 329، أساس البلاغة 2: 25.

ـ وأما الفرق بَين الفَصْل والفتق فالفتق بَين الشَّيْئَيْنِ اللَّذين كَانَا ملتئمين أَحدهمَا مُتَّصِل بِالْآخرِ فغذا بَينهمَا فقد فتقا، وَأما إِن كَانَ الشَّيْء وَاحِداً فَفرق بعضه من بعض قيل: قطع وَفصل وشق، وَلم يقل: فتق، وَفِي القرَآن: ﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30].

والرتق مصدر رتق رتقاً إِذا لم يكن بَينهمَا فُرْجَة، والرتقاء من النِّسَاء الَّتِي يمْتَنع فتقها على مَالِكهَا [1].

الوصل في اللغة:

ـ الواو والصاد واللام: أصلٌ واحد يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَعْلَقَه. ووَصَلْتُه به وَصْلاً. والوَصل: ضِدّ الهِجْران.

ـ والواصِلَة في الحديث: التي تَصِلُ شَعْرَها بشعرٍ آخَرَ زُوراً. والمُسْتَوْصِلَةُ الطالبةُ لذلك. ووصَلَهُ وَصْلاً وصِلَةً وواصَلَهُ مُواصَلَةً ووِصَالاً كلاهما يكون في عَفافِ الحُبِّ ودَعارَتِه، وكذلك وصَلَ حَبْلَهُ وصْلاً وصِلَةً. وواصَلَ حَبْلَهُ كوَصَلَه، والوُصْلةُ الاتِّصالُ، والوُصْلَة ما اتَّصَل بالشيء، فكلُّ شيءٍ اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينَهما وُصْلَةٌ.

ـ والمَوْصِلُ مَعْقِدُ الحَبْلِ، ويقال للرَّجُلين يُذْكَرانِ بِفِعالٍ وقد مات أحدُهُما: فَعَل كذا، ولا يُوصَل حيٌّ بميِّتٍ وليس له بَوَصِيلٍ أي لا يَتْبَعُهُ. ويقول: وصَلْتُ الشّيء وصلاً، والموصول به وِصْلٌ بكسر الواو. ومن الباب الوَصِيلة: العِمارة والخِصْب؛ لأنَّها تَصِلُ النّاسَ بعضَهم ببعض، وإذا أجْدَبوا تفَرَّقُوا. والوَصيلة: الأرض الواسعة، كأنَّها وُصِلَت فلا تَنقطِع. واتَّصَلَ الرجلُ أي انتَسَبَ فقال: يا لفُلان.

ـ والوَصْلُ خلافُ الفَصْل، وصَلَ الشيءَ بالشيءِ وَصْلاً وصِلَةً وصُلةً، وفي التنزيل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ﴾ [القصص: 51] أي وصَّلنا ذِكْرَ الأنْبياءِ وأقاصيصَ مَنْ مَضَي بعضها ببعضٍ لعلَّهم يَعْتَبرونَ، واتَّصلَ الشيءُ بالشّيءِ لم يَنْقطِعْ... ووَصَلَ الشيءُ إلى الشيءِ وتوصَّل إليه انْتَهَى إليه وبَلَغَه. ووصَّلُه إليه وأوْصَلَهُ أَنهاهُ إليه وأبْلَغَه إيّاه، واتَّصَلَ الرَّجلُ انْتَسَبَ.

ـ والمَوْصِلُ المَفْصِلُ ومَوْصِلُ البعيرِ ما بين العَجُزِ والفَخِذِ، والوِصْلانُ العَجُزُ والفَخِذُ، وقيل: طَبَقُ الظَّهر، والوِصْلُ والوُصْلُ كلُّ عَظْمٍ لا يُكَسَّر ولا يُخْلَطُ بغيرِه، والجمع أوْصالٌ، وقيل: الأَوصالُ مُجْتَمَعُ العِظامِ وكلُّه من الوَصْلِ.

---

(1) . انظر: الفروق اللغوية: 151، 152.

ـ وصل الشيء بغيره فاتصل. ووصّل الحبال وغيرها توصيلاً: وصل بعضها ببعض ومنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ﴾ [القصص: 51]. وخيط موصّل: فيه وصل كثير. ووصلني بعد الهجر وواصلني، وصرمني بعد الوصل والصلة والوصال، وتصارموا بعد التواصل. وهذا موصل الحبلين والعظمين. ووصلت شعرها بشعر غيرها. وقطع الله أوصاله: مفاصله جمع وصلٍ ووصلٍ.

ـ والوَصِيلَة: الناقةُ التي وصَلَتْ بين عَشَرةِ أبْطُنٍ، وهي من الشاءِ التي ولَدتْ سبعةَ أبْطُنٍ عَناقَيْنِ عَناقَيْن، فإن ولَدتْ في السابعِ عَناقاً قيلَ وصَلَتْ أخاها فلا يَشْرَبُ لبنَ الأُمِّ إلا الرِّجالُ دون النِّساءِ وتَجْرِي مَجْرَى السائبةِ، وقيل: الوَصيلةُ في الغَنَمِ خاصَّةً، كانت الشاةُ إذا ولَدت أُنْثَى فهي لهم وإذا ولَدت ذكراً جعلُوه لآلِهَتِهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلَت أخاها فلم يَذْبحُوا الذَّكَرَ لآلِهتِهم.

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ [المائدة: 103] وهي التي وصلت أخاها من أولاد الغنم فلم تذبح.

ـ وإذا مات رجل أو نكب قيل للآخر: لا كنت له بوصيلٍ، أي لا وصلت به فيصيبك ما أصابه. وهو وصيل فلان: لمواصله الذي لا يكاد يفارقه. ووصل إليه وصولاً. وأوصلته إليه. وتوصَّلت إليه: تلطَّفت حتى وصلت إليه. وهذا وصلةٌ إلى كذا، وبينهم وصلةٌ ووصلٌ. وساق الله إليّ وصلةً حتى بلغت مقصدي أي رفقة حملوني. وسمعتهم يسمون الزاد: صلةً بالضم.

ـ والوَصيلةُ العِمارَةُ والخِصْبُ، سُمِّيت بذلك لاتِّصالها واتصالِ الناسِ فيها، والوَصائِلُ ثيابٌ يمانيةٌ مُخَطَّطَةٌ بِيضٌ وحُمْرٌ على التشبيه بذلك، واحدتُها وَصيلةٌ.

ـ ومن المجاز: وصله بألف درهم، وهذه صلة الأمير وصلاته. ووصل إلى بني فلان واتصل: انتمى... ووصل رحمه، وأمر الله تعالى بصلة الرحم [1].

المبحث الثاني: الفصل والوصل في الاصطلاح

آثرتُ أنْ أذكرَ تعريف الفصل والوصل في الاصطلاح في موضع واحد فلن أُفرِدَ تعريفَ كلٍّ منهما؛ لأنَّ تعاريفَ العلماءِ للفصل والوصل اصطلاحاً جاءت في سياق واحد.

([1]) . انظر: كتاب العين 7: 152، معجم مقاييس اللغة 6: 115، المحكم والمحيط الأعظم 8: 374، أساس البلاغة 2: 339.

قال الإمام شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ): (وأما الفصل والوصل فهو العلم بمواضع العطف والاستئناف، والتهدِّي إلى كيفيَّة إيقاع حروف العطف في مواقعها، وهو من أعظم أركان البلاغة، حتى إن بعضهم حدَّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل) [1].

وقال الإمام القزويني (المتوفَّى: 739هـ): (الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه) [2].

وقال الإمام الجرجاني (المتوفى: 816هـ): (والفصل في اصطلاح أهل المعاني: ترك عطف بعض الجمل على بعض بحروفه) [3].

وقال الأستاذ أحمد بن إبراهيم الهاشمي (المتوفَّى: 1362هـ): (الوصل عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف بين الجملتين، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى. فالجملة الثانية: تأتي في الاساليب البليغة مفصولة أحياناً، وموصولة أحياناً فمن الفصل، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: 34]، فجملة ﴿ادْفَعْ﴾ مفصولة عمَّا قبلها، ولو قيل: وادفع بالتي هي أحسن، لما كان بليغاً.

ومن الوصل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

عطف جملة: ﴿وَكُونُوا﴾ على ما قبلها، ولو قلت: اتقوا الله كونوا مع الصادقين، لما كان بليغاً، فكلٌّ من الفصل والوصل يجيء لأسباب بلاغيَّة.

ومِن هذا يُعلم أنَّ الوصلَ جمع وربط بين جُملتين، لصلة بينهما في الصورة والمعنى: أو لدفع اللَّبس.

والفصل: ترك الربط بين الجُملتين، إمَّا لأنهما مُتحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإمَّا لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى.

بلاغة الوصل:

هناك مَن يرى أنَّ بلاغة الوصل لا تتحقق إلا (بالواو) العاطفة فقط دون بقية حروف العطف؛ لأن (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة اليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم،

---

(1) . نهاية الأرب 7: 70.

(2) . الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني 3: 97.

(3) . التعريفات: 167.

ودِقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلَّا مُجردَ الربط، وتَشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم نحو: مضى وقت الكسل وجاء زمن العمل، وقُم واسعَ في الخير.

بخلاف العطف بغير (الواو) فيفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في (الفاء) وكالترتيب مع التراخي في (ثُمَّ)، وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف (بالواو) أن يكون بين الجملتين (جامع) كالموافقة: في نحو: يقرأ ويكتبُ، وكالمُضادَّة: في نحو: يضحك ويبكي وإنما كانت المضادَّة في حكم المُوافقة؛ لأنَّ الذّهن يتصوَّر أحد الضدين عند تصور الآخر، (فالعلم) يخطر عند ذكر (الجهل) كما تخطر (الكتابة) عند ذكر (القراءة).

(والجامع) يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعاً فلا يقال: خليل قادم، والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند اليهما كما لا يقال: سعيد عالم، وخليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين [1].

وقال الإمام ابن عاشور: (الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه. وحق الجمل إذا ذكر بعضها بعد بعض أن تذكر بدون عطف؛ لأنَّ كل جملة كلام مستقل بالفائدة إلا أن أسلوب الكلام العربي غلب فيه أن يكون متصلاً بعضه ببعض بمعمولية العوامل والأدوات أو بالإتباع أو بالعطف) [2].

أما الأستاذ منير سلطان فقد ذكر أن هناك قصوراً في قواعد البلاغيين عن الفصل والوصل فهي: أولاً: قد خصت الفصل والوصل بالجمل، والقرآن الكريم قد فصل ووصل بين الجمل وبين المفردات أيضاً. وثانياً: أنها قد حصرت الفصل في أداة واحدة وهي «طرح الواو» بينما فصل القرآن بـ

«واو الاستئناف» و«الفاء» و«ثم» و«بل» و«أم المنقطعة» و«ضمائر الفصل» و«الجملة المعترضة» و«الاستثناء المنقطع»، كما حصرت الوصل في «الواو» فقط بينما وصل القرآن الكريم بجميع حروف العطف وجميع حروف الربط. وثالثاً: أنها سمت الفصل بين الخبرية والإنشائية كمال الانقطاع وجعلت الاتفاق بين ركني الجملة خبراً أو إنشاء مبرراً للوصل، بينما جوز

---

(1) . انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: 179.

(2) . موجز البلاغة لابن عاشور: 24.

سيبويه وبعض أئمة النحو عطف الخبرية على الإنشائية، وعدَّد الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة اثني عشر موضعاً في القرآن الكريم عطفت فيها الخبرية على الإنشائية والعكس، من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: 121]، و﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: 77ـ 78]، و﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [النساء: 19]، و﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ [مريم: 46]، وغيرها..

رابعاً: أن ما أطلق عليه كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود، وضربوا له مثلاً: «لا وعافاك الله» يعتبر دليلاً على عطف الإنشائية على الخبرية و«لا» بمعنى «أنفي ذلك» فهي جملة خبرية، و«عافاك الله» جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى «دعاء»، هذا، بالإضافة إلى أنها تصلح أن تؤدي المعنى بطرح الواو، فالمتكلم حين يقول للمخاطب: «لا» ثم يتوقف لحظة ثم يستأنف كلامه داعياً له بقوله: «عافاك الله» يكون قد أدى المعنى بلا لبس.

إن المقياس الحقيقي لقبول الفصل أو الوصل هو أن تؤدي العبارة الغرض من صياغتها في إيصال المعنى إلى المخاطب في أوضح صورة وأحلاها، فإذا أدَّى الوصل بين مفردين أو جملتين إلى معنى غير المقصود، أو إلى المعنى المقصود بصورة رديئة أو بصورة لا يقبلها العقل وجب الفصل، وإذا كان الفصل سبباً في الإيهام بغير المقصود أو في فقدان المنطقية الفنية أو العقلية أو فقدان الرشاقة في الأسلوب وجب الوصل.

لذا لم يبعد مَن رأى أنَّ البلاغة في معرفة الفصل من الوصل، فالبلاغة معرفة كيف نصوغ ما يدور في أنفسنا من معان بألفاظ لا تحتمل اللبس، موصوفة بالصفاء مزدانة بالجمال والخصوبة؛ لأنها وصلت فيما بينها وكان يجب أن توصل، وفصلت فيما بينها وكان يجب أن تفصل. والناس في معرفة هذا وتذوقه درجات [1].

وعلى هذا، فسيكون بحثي على طريقة مَن توسَّع في مفهوم الفصل والوصل ليشمل المفردات والجمل، وليشمل الوصل بحروف العطف كلها ولا يقتصر على الوصل بالواو، وليشمل الفصل ترك العطف بالواو وكذلك «واو الاستئناف» و«الفاء» و«ثم» و«بل» و«أم المنقطعة» و«ضمائر الفصل» و«الجملة المعترضة» و«الاستثناء المنقطع».

---

(1) . انظر: الفصل والوصل في القرآن، لمنير سلطان: 167.

المبحث الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

تبيَّن مما سبق أنَّ من معاني الفصل في اللغة: بَوْن ما بين الشَّيئينِ، وأنَّ الفصل يدلُّ على تمييز الشَّيء من الشَّيء وإبانته عنه، وأنَّ الفصلَ الحاجزُ بين الشيئين؛ وكذلك الفصل في الاصطلاح هو ترك العطف بين الجملتين، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى.

وهو ترك الربط بين الجُملتين، فتتميَّز كل جملة عن الأخرى.

وتبيَّن أنَّ الوصلَ في اللغة يأتي بمعنى الاتصال، وضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ، وكذلك الوصل في الاصطلاح هو عطف جملة على أخرى بالواو، فالوصلُ جمعٌ وربطٌ بين جُملتين (بالواو خاصة)، أو هو ضمُّ جملة إلى أخرى، لصلة بينهما في الصورة والمعنى: أو لدفع اللَّبس.

الفصل الأول: الفصل والوصل في اللغة العربية

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: أهميَّةُ الفصلِ والوصلِ في اللغةِ العربيَّةِ

المبحث الثاني: الأطوارُ والمراحلُ التي مرَّ بها الفصلُ والوصلُ

المبحثُ الثالثُ: الفَصلُ والوَصلُ بين عِلْمَيْ النحوِ والبلاغةِ

المبحث الرابع: مواضعُ الفصلِ

المبحث الخامس: مواضعُ الوصلِ

المبحث السادس: أنواعُ الوصلِ بالنسبة إلى المفردِ والجملةِ

المبحث السابع: الفصلُ والوصلُ بين الجملِ التي لا محلَّ لها من الإعراب

المبحث الثامن: أغراضُ الفَصلِ والوَصلِ

الفصل الأول: الفصل والوصل في اللغة العربية

بعد أنْ ذكرتُ المعنى اللغوي والاصطلاحي والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي أنتقل إلى الفصل الأول لبيان أهميَّة الفصلِ والوصلِ في اللغةِ العربيَّةِ، ويظهر بذلك جماليَّة التلاؤم والتناسق والتناسب والترابط في الكلام، ثم سأذكر الأطوار والمراحل التي مرَّ بها مصطلح الفصل والوصل، ومواضع الفصل والوصل وأنواعه وأغراضه.

المبحث الأول: أهميَّةُ الفصلِ والوصلِ في اللغةِ العربيَّةِ

التلاؤم والتناسق الجماليُّ في الكلام يكون بسبب عوامل مختلفة، فمنها عوامل لفظيَّة ومنها عوامل فكريَّةٌ.

فالعواملُ اللفظيَّةُ كالفصاحة، فمِن شروط الكلمة الفصيحة أنْ تكونَ خاليةً من التنافر والغرابة ومخالفة القياس وكراهة السَّمع لها.

ومِن شروط الكلام الفصيح أنْ يكونَ خالياً مِن تنافر الكلمات عند اجتماعها وخالياً مِن ضعف التأليف والتعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي.

وأمَّا العوامل الفكرية فالأفكار ومعاني الألفاظ لا حصر لها، وضَمُّ فكرةٍ إلى فِكرةٍ أخرى، وَلفظ ذي معنى إلى لفظ آخر ذي معنى موافق أو مخالف، يتطلَّب إدْراكاً عالياً جدّاً، قادراً على تمييز درجات حُسن التلاؤم، ودركات قبح عدم التلاؤم الذي يُوَلِّد في النفوس الصَّدَّ أو النفرةَ أو الاستقباحَ، أو الحكم على الكلام بالركاكة، وسوء التركيب، وخروجِهِ عنْ أُطُرِ الجمال الفنِّي.

والتلاؤمُ وعدَم التلاؤم بين المعاني قضيَّةٌ جماليَّةٌ فكريَّةٌ، والبحث فيها مائجٌ رَجْراجٌ لا حصر لصوره، والبحث فيه كالبحث في صُوَرِ أمواج البحر، وكالبحث في صُورِ حركات السُّحُب وتشكيلاتها المتنوعات الناتجات عن تقاربها وتباعدها، واجتماعها وافتراقها، مع اختلاف ألوانها وكثافاتها [1].

(نَظْمُ الكلامِ عَمَلٌ فكريٌّ يُشْبه في الحسيَّات نَظْمَ العقود من اللآلىء أو غيْرِها من الجواهر، ويُشْبه وصفَ حجارةِ الألماس والياقوت والمرجان والزّمُرّد وغيرها من الحجارة الكريمة على مَا يُصاغ مِنْ حِلْيَاتٍ للرُّؤوسِ والصُّدُورِ والأيدي وغيرِها.

([1]) . انظر: البلاغة العربية للميداني: 550.

إنَّ دخيلاً نابياً أو نظماً غير متلائم الألوان والطيوف والحجوم في عقود اللآلِىء، أو رَصْفاً محروماً من التناسق الجماليّ في الحِلْيَات يُفْسِدها، ويُقَلِّل من قيمتها.

ورُبَّ عِقْدَيْن أو حِلْيَتَيْنِ جواهرُ كُلِّ منهما متساويتان في القيمة وَهُمَا غَيْر مَنْظُومَتَيْن أو غَير مَصُوغتين.

فيَنْظم العِقدَ أو يَصُوغُ الحِلْيَةَ ماهر خبير مُتْقِنٌ بتلاؤم جميلٍ بديع، يُرَاعي فيها حُسْنَ التجاور، وخُطُوط التلاؤم وطُيُوفَهُ وظِلاَلَهُ، ويُراعي فيه تناسُبَ الألوانِ، وجَمالَ تلاقيها وتدرُّجها وتكاملها، فإذا هو يُعَادِلُ أضعافَ قِيمة جواهره وهي غير منظومة أو غير مصوغة.

ويعمل نظير ذلك من لا خبرة له، ولا مهارة عنده، فلا تزيد قيمةُ ما نظم أو صاغَ على قيمة جواهره منثورة، وربَّما تَنْقُصُ قيمَتُها في نظر ذوَّاقي الجمال) [1].

(لقد وصف شيوخ البلاغة والأدب الكلمة الموضوعة في المكان الملائم لها من الجملة بأنها (مُتَمَكِّنة).

أي: هي ثابتة في المكان الذي وُضِعَتْ فيه، فهي ذات جذور وروابط فكرية تربطها بما جاورها من عناصر الجملة.

ووصفوا الكلمة الموضوعة في المكان غير الملائم لها من الجملة بأنَّها (قَلِقَة) و(نَابِيَة) و(غَيْرُ مُتَمَكِّنَة).

وقالوا عن الشعر الذي لا تآخي بين كلماته، ولا تواصُلَ بين مُفْرداته: (لا قِرَانَ له). أي: ليس له جامع فَنِّيٌّ راقٍ يجمع بين كلماته ويَشُدُّ بعضها إلى بعض، كما يَجْمَعُ أَسْرُ الكائن الحيِّ بين أعضاء جسده ومختلف أجزائه، وهو جملته العصبيَّة.

القِران: هو الجمع بين شيئين وشدّ كُلٍّ منهما إلى الآخر بِحَبْلٍ رابط، كأسيرين يُقْرَنانِ بحبل مَشْدُودٍ عليهما.

ويطلق القِرانُ أيضاً على الحبل الجامع بينهما.

فهو مصدر للشدِّ بالحبل، واسم للحبْلِ الذي يُشَدُّ به.

ووصفوا الشِّعر الرَّاقي بالتماسُكِ والإحكام، والتَّلاؤُم، والسَّلاسَةِ والتَّحَدُّر، نظراً إلى ما يشتمل عليه من حُسْنِ بناءٍ، وسَبْكٍ، وصِيَاغةٍ، ولِينٍ وسُهُولةٍ في النُّطْقِ، وعُذُوبةٍ في مجاري السَّمْع، وذلك بسبب ما في معاني كلماته وجمله من ترابط وتعانُقٍ وتلاحُمٍ موافق لما في فِطَرِ أنظمة الفكر

([1]) . البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن الميداني: 549.

وحركات مشاعر النفوس من تشعُّبَاتٍ شَجَرِيَّةٍ بديعةِ التواصل والتلاقي، من بزورها وجذورها حتى أقاصي فروعها، ما يتلاقى منها وما يَتَبَاعَدُ. وبسبب ما في الألفاظ من سهولة وتلاؤمٍ في النُّطْقِ وعُذُوبةِ طَرَقَاتِ موسيقاها على السَّمْع، مَعَ التلاؤم بين مخارج حروف الكلمات المُنْتَقَيات، والمعاني التي يُراد أداؤها بها) [1].

وقد ذكر الأقدمون المواقع التي يكون فيها الوصل بين الجمل على سبيل العطف بينها فقالوا بوجوب المناسبة بين الجملتين المتعاطفتين، وقد عمدوا إلى شرح المناسبة وتحليلها، واستفادوا بعلوم عصرهم في تحليل قوى النفس، وبحث التداعيات العقلية والخالية والوهمية ومعطيات البيئة العامة ومردودات ذات الاهتمامات الفردية على النفس.

ومما يجدر الوقوف عنده - في هذ المجال - هو التركيز على أن المناسبة يجب أن تتوفر في ركني الجملة (كما في دلائل الإعجاز) حين اشترط أنْ يكونَ المسند في الجملة الثانية، وأنَّ الخبر في الثانية ينبغي أنْ يشاكل الخبر في الأولى كأنْ يجري مجرى الشبيه أو النظير أو النقيض للخبر عن الأولى، وضرب مثالاً بعدم جواز العطف بين زيد طويل القامة، وعمرو شاعر، لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر، وأشار إلى أنَّ الواجب أنْ يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر، وأومأ إلى أنَّ المعاني كالأشخاص [2].

ويستحسن أنْ تكونَ الجملتان المتعاطفتان متشاكلتين في الاسمية والفعلية، ومن أمثلة ذلك النماذج الرائعة التي أوردها القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحديد: 6] (فعليتان).

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13ـ 14] (اسميتان).

---

(1) . البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن الميداني: 431.

(2) . قال الجرجاني: (واعلمْ أنه كما يجبُ أن يكونَ المحدَّثُ عنه في إحدى الجملتين بسببٍ من المحدَّثِ عنه في الأخرى، كذلكَ ينبغي أنْ يكونَ الخبرُ عن الثاني مما يَجْرِي مَجْرى الشبيهِ والنظيرِ أو النَّقيضِ للخبر عن الأولِ. فلو قلتَ: (زيدٌ طويلُ القامة وعمرو شاعرٌ)، كان خُلْقاً، لأنه لا مُشاكَلَةَ ولا تعلُّق بينَ طولِ القامةِ وبين الشعرِ، وإنما الواجب أن يقال: (زيد كاتب وعمرو شاعر)، و(زيد طويل القامة وعمرو قصيرٌ). وجملةُ الأمرِ أنها لا تجيءُ حتى يكونَ المَعْنى في هذِهِ الجملة لَفْقاً للمعنى في الأخرى ومُضَاماً له، مثل أن (زيداً) (عمرواً) إذا كانا أخوَيْن أو نظيرين أو مُشتبكَي الأحوالِ على الجملة، كانتِ الحالُ التي يكونُ عليها أحدُهما، من قيامٍ أو قعودٍ أو ما شاكَلَ ذَلكَ، مضمومة في التَّفسِ إلى الحالِ التي عليها الآخَرُ من غَير شَكٍّ. وكذا السبيل أبداً). دلائل الإعجاز في علم المعاني، للجرجاني. ص 225.

وقد تنتفي هذه المشاكلة فلا تكون الجملتان المتعاطفتان كذلك لغرض تقتضيه الدلالة، كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142].

فهنا جاءت الجملة الأولى فعلية للدلالة على معنى الحدوث والتغير، وجاءت الجملة الثانية اسمية للدلالة على معنى الثبوت والدوام.

ومن الأمثلة الرائعة على التلاؤم والتناسب بين الجمل المتعاطفة:

قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كفى بالعلم شرفاً أنه يدَّعيه مَن لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه مَنْ ليس مِنْ أهله، وكفى بالجهل خمولاً أنه يتبرأ منه مَنْ هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه) [1].

وقد ركَّز البلاغيون على ما أسموه بالجامع بين طرفي الكلام المتعاطف، وبذلوا جهداً كبيراً لإدراك ما غمض منه مستعينين بألوان شتى من المعارف، ومن أمثلة ذلك ما أشار إليه الزمخشري حين عكف على توضيح المناسبة الخافية بين طرفي الجملتين في قول الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ. وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾ [الرحمن: 6]، فأشار إلى أنَّ الشمس والقمر سماويان، النجم والشجر أرضيان، بين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم والشجر، فالرابطة المعنية هنا قوية. والواو تبرز حين تتقارب الجملتان، وتسقط حين تتباعد [2].

(وذكر السَّكَّاكِيُّ مثلاً للكلام الذي ليس بين مفرداته ترابط فكري، فالجمع بينها في حكم واحدٍ غير مقبول في الذوق الأدبيّ، وإن كان مطابقاً للواقع، أن يقول القائل: (الشمس، ومرارة الأرنب، وألف باذنجانة، مُحْدَثَة).

([1]) . انظر: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). لشهاب الدين الرومي الحموي (ت 626هـ) 1: 16، ومجمع الآداب في معجم الألقاب. لكمال الدين المعروف بابن الفوطي الشيباني (المتوفى: 723 هـ) 1: 138.

([2]) . انظر: فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه لمحمد صالح الشنطي: 91. قال الزمخشري: (فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت: إنّ الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأنّ السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم والشجر). الكشاف 4: 443.

أقول: والسبب في عدم قبول مثل هذا الجمع أنَّ الذّهن إمَّا أنْ يَقْرن بين الأشباه والنظائر، أو بَيْنَ المتجاورات في الواقع، أو بين الأضداد؛ لأنَّ استدعاءَ الذهنِ للأضداد، أسرعُ من استدعائه للنظائر، وينفر من جمع مفردات متباعدات لا يجمعها تشابه أو تجاوز، أو تضادّ؛ لأنَّ شريطَ السلاسل الفكريَّة ذو نظامٍ فطريٍّ مُحْكمِ الترابط، أمَّا الالتقاط العشوائي دون ملاحظة أنظمة الترابط الفكريَّة الفطريَّة فهو لا ينسجم معها، والنفس الإنسانية تنفر منه بسبب ذلك) [1].

ويهدف البحث في الفصل والوصل إلى بيان المناسبات بين المعاني، وتحديد صلات بعضها ببعض، ولمَاذا وُصلتْ ولمَاذا فُصلت؟ ويبين مقاطع الكلام ومفاصله عند منتهى أجزاء معانيه، ما كبر منها وما صغر، ليتأمل هذه المقاطع ويحدد الخيط الذي يجمع بين هذه المعاني وينظمها في عِقْد واحد..

و(الفصل والوصل) هو من مظاهر اتِّساق النصِّ وانسجامِه وترابطِه وتناسبِه.

قال المأمون: (إنَّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام) [2].

وقال أكثم بن صيفي وهو يوصي كتَّابه: (افصلوا بين كلِّ منقض معنى، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض) [3]. وفي موضع آخر يقول: (وإذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه، فافصل بينه، وبين تبيعته، وإذا مدحت رجلاً، وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلاً) [4].

يعتبر بحث الفصل والوصل من المباحث المهمة، وقد احتلَّ منزلة كبيرة في تقدير علماء البلاغة إلى درجة أنَّ بعضهم حدَّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل، وما ذلك إلا لما يتميَّز به من دقة في المأخذ وصعوبة في المسلك بحيث (لا يحيط علماً بكنهه إلا مَن أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورزق من إدراك أسراره ذوقاً سليماً).

وفصحاء العرب وبلغاؤهم كانوا حريصين كل الحرص على مراعاة مواطن الفصل والوصل في كلامهم وخطبهم، وينصحون بذلك.

([1]) . البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن الميداني: 435.

([2]) . الصناعتين للعسكري: 497.

([3]) . الصناعتين: 499.

([4]) . الصناعتين: 499.

ولقد تحدَّث العلماء عن أهمِّيَّة ومكانة الفَصْل والوَصْل ودقَّة مسلكِه، وفخامة شأنه، وعذوبة مورده ومصدره، وسأذكر بعض أقوالهم في أهمِّيَّة هذا النوع، مبتدئاً بذكر الأقدم زمناً ثم من بعده.

قال الإمام أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ): (البلاغة معرفة الفصل والوصل، قيل للفارسي: ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل. وقال المأمون لبعضهم: مَن أبلغ الناس؟ فقال: مَن قرَّب الأمر البعيد المتناول، والصَّعب الدرك بالألفاظ اليسيرة، قال: ما عدل سهمك عن الغرض. ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، ولا يجيل الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ، ولا يكره المعاني على إنزالها في غير منازلها، ولا يتعمَّد الغريب الوحشيّ، ولا الساقط السّوقيّ؛ فإنَّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام.

ومِن حلية البلاغة: المعرفةُ بمواضع الفصل والوصل. وقال الأحنف بن قيس: ما رأيت رجلاً تكلَّم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص رضى الله عنه، كان إذا تكلم تفقَّدَ مقاطعَ الكلام، وأعطى حقَّ المقام، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج؛ حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ) [1].

وقال الإمام عبد القاهر الجرجاني (المتوفَّى: 471هـ) عن الفصل والوصل: (اعلمْ أنَّ العلمَ بما ينبغي أنْ يُصْنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ، أو تركِ العطفِ فيها والمجيءَ بها منثورة، تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرارِ البلاغة، ومما لا يتأتَّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلَّا الأعرابُ الخُلَّص، وإلَّا قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة، وأوتوا فنّاً مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ. وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوهُ حَدّاً للبلاغة، فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها فقال: «مَعْرِفَةُ الفَصلِ منَ الوصلِ»، ذاك لغموضِه ودقة مَسْلكِه، وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحدٌ، إلَّا كَمَلَ لسائِرِ معاني البلاغة) [2].

وقال عنه أيضاً الإمام السكاكي الخوارزمي (المتوفَّى: 626هـ): (وإنها لمحك البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومضمار النظار، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، ومسبار غور الخاطر، ومنجم

---

(1) . الصناعتين: 438.

(2) . دلائل الإعجاز: 222.

صوابه وخطئه، ومعجم جلائه وصدائه، وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقِدْح المعلى، وأنَّ لك في إبداع وشيها اليدَ الطولى) [1].

وقال الإمام شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ): (وأما الفصل والوصل فهو العلم بمواضع العطف والاستئناف، والتهدّي إلى كيفيَّة إيقاع حروف العطف في مواقعها، وهو من أعظم أركان البلاغة، حتى إن بعضهم حدَّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل. وقال عبد القاهر: إنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة) [2].

وقال الإمام القزويني (المتوفى: 739هـ): (الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه، وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنٌّ منها عظيمُ الخطرِ، صعبُ المسلكِ، دقيقُ المأخذِ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه، إلا مَن أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً، ورزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً، ولهذا قَصَر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك، إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وأنَّ أحداً لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان) [3].

على الرغم من أن معظم معاني الفصل والوصل تدور في المعاجم اللغوية على معنى القطع والضم، وعلى الرغم من أن الوصل ضم ظاهر قوي للأشياء، فإن الفصل وصل، لكنه وصل خفي؛ لأن العرب قالت (فواصل) عن نهايات الآيات القرآنية، ولأنهم قالوا أيضاً حكم فاصل أي ماضٍ غير معطل، ولقولهم مفاصل عما يربط أعضاء الجسم بقوة.

وعلى الرغم من ارتباط مصطلح الفصل والوصل بالنص القرآني، وعلى الرغم من معرفة العرب لبعض صوره، وبعض مصطلحاته، فإن المصطلح لم يستقر بلاغياً إلا على يدي الإمام عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري بتأثير من الاستعمال اللغوي والبيئي؛ فقوله عن

---

(1) . مفتاح العلوم: 249. في معجم مقاييس اللغة لابن فارس 6: 114: ((وَشَى) الوَاوُ وَالشِّينُ وَالحَرْفُ المُعْتَلُّ: أَصْلَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحْسِينِ شَيْءٍ وَتَزْيِينِهِ، وَالآخَرُ عَلَى نَمَاءٍ وَزِيَادَةٍ. الأَوَّلُ: وَشَيْتُ الثَّوْبَ أَشِيهِ وَشْياً. وَيَقُولُونَ لِلَّذِي يَكْذِبُ وَيَنِمُّ وَيُزَخْرِفُ كَلَامَهُ: قَدْ وَشَى، وَهُوَ وَاشٍ. وَالأَصْلُ الآخَرُ: المَرْأَةُ الوَاشِيَةُ: الكَثِيرَةُ الوَلَدِ. وَيُقَالُ ذَلِكَ لِكُلِّ مَا يَلِدُ. وَالوَاشِي: الرَّجُلُ الكَثِيرُ النَّسْلِ. وَالوَشْيُ: الكَثْرَةُ. وَوَشَى بَنُو فُلَانٍ: كَثُرُوا).

(2) . نهاية الأرب في فنون الأدب 7: 70.

(3) . الإيضاح في علوم البلاغة 3: 97.

الوصل بأنه عطف بعض الجمل على بعض بالواو، وعن الفصل بأنه ترك العاطف بين الجمل والمجيء بها منثورة تستأنف الواحدة منها بعد الأخرى، يبين أن الوصل يجمع جملاً لكل منها معنى تام كتمام الأعضاء التي تجمعها المفاصل القوية، وأن الفصل أو استئناف الجمل في إثر بعضها لا يكون جزافاً لتتابع الجمل وإلحاحها إلى بعضها لتتميم المعنى وتكميله، وإجمالاً فإن باب الفصل والوصل قد فتح الباب على مصراعيه للقياس على منطق النظر العقلي، والتعويل على العرف الجاري بين الناس، لصلة الفن بالمجتمع أو بشكل أكثر تعميماً لصلة الفن بالبيئة وثقافتها.

التشاكل والتباين:

تسيطر جدلية التشاكل والتباين على البنى السطحية والعميقة لجميع احتمالات الفصل والوصل المتعارف عليها، فالمعاني في حال قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي تتباين في المستوى الباطن، رغم تشاكل صيغ تلك المعاني، ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245]. تتباين جملة (يقبض) مع جملة (يبسط) في المعنى، وتتفق الجملتان في الخبرية، فينشأ توتر بين البنيتين الظاهرة والباطنة نتيجة لما بينهما من تباين أو تضاد؛ بين الاتفاق الظاهري والتباين الباطني، هذا بالإضافة إلى ما في الجملتين من مغايرة ومناسبة؛ فالتغاير أو التباين ليس القوة الوحيدة النشطة في الباطن؛ لأن «التناسب المعنوي» يمثل قوة أخرى تلازم التباين، وتنشط بفاعليته، ولهذا ذهب ابن يعقوب المغربي إلى أن العطف «يقتضي مغايرة من جهة ومناسبة من جهة»، ويقابل هذه القوة المتعاكسة في باطن البنية، قوة أخرى في البنية السطحية يبرز فيها التغاير ولكن على المستوى المكاني للجمل، حيث إن كل جملة تقع في اتجاه مغاير للجملة الثانية بالنظر إلى توسط «الواو» بينهما، لكن هذا التغاير المكاني بالنسبة «للواو» يلزم بتلاصق الجمل «للواو» بحيث لا تنفصل عنها ليتحقق معنى الوصل.

وفي حال التوسط بين الكمالين تتشاكل الصيغ على المستوى الظاهر لاتفاق الجملتين في الخبرية أو الإنشائية لفظاً ومعنى أو معنى فقط، ولكن تتباين المعاني على المستوى الباطن رغم ما بين الجمل من تناسب؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13ـ 14].

تتفق الأساليب في النوع (فهي خبرية)، وتتباين المعاني رغم ما بينها من تناسب نشط في داخل أعماق البنية، وتتغاير مواقع الجمل بالنسبة (للواو) دون أن يفصلها فاصل، لتلاصق الجمل.

وبهذا فإن التباين سمة جمالية بارزة في مواضع الوصل، ولهذا جعل السكاكي من محاسن الوصل أن يقصد التجدد في إحدى الجملتين، والثبات في الأخرى، كما في قولهم أقام محمد وأخوه مسافر.

وتبقى سيطرة التشاكل والتباين بارزة في مواضع الفصل؛ ففي حال كمال الاتصال تتشاكل الصيغ والمعاني على المستويين الظاهر والباطن، فتتحد الجملتان اتحاداً تاماً بلا أداة؛ لأن الثانية ترتبط بالأولى من خلال تشاكل المعنى، لكن التباين يبرز بين الجملتين من خلال تفاوت قوى المعاني، فعلاقة التوكيد تُظهر أن الجملة الثانية أقوى في الدلالة على المعنى من الجملة الأولى رغم تشاكل المعاني وشدة ارتباطها ببعضها، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ [لقمان: 7]. لم يأت قوله ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ معطوفاً على ما قبله؛ لأن المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقرٌ، هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، إلا أنَّ الثاني أبلغ وآكد في الذي أريد.

وفي علاقة البيان أيضاً تتفجر قوة الدلالة على المعنى في الجملة الثانية بشكل أوضح لما هي عليه في الجملة الأولى، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه 120].

ولا يختلف الأمر عن ذلك في علاقة البدل؛ لأنَّ الحالة المقتضية للإبدال هي أن يكون الكلام السابق غير واف بتمام مراده وإيراده أو كغير الوافي والمقام مقام امتناع بشأنه، إما لكونه مطلوباً في نفسه، أو لكونه غريباً، أو فظيعاً أو عجيباً، أو لطيفاً أو غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشأنه، فيعيده المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد إلى المراد، ليظهر بمجموع القصدين إليه في الأول والثاني، أعني المبدل منه أو البدل مزيد الاعتناء بالشأن، ففي قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 132ـ 134] كأن قوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أوفى بتأدية المعنى مما قبله؛ لدلالته عليه بالتفصيل بعد الإجمال، وفي هذا حسن يبرزه الخليفة المأمون في تناوله لجمال الكتاب، فقد ذهب إلى أن حسنه في (إيقاع الفصل موقعه، وشحذ الفكرة وإجالتها في لطف التخلص من المعقود إلى المحلول)؛ لأن الإطالة في المعقود تورث النسيان.

وفي حال كمال الانقطاع (الاستئناف) يسيطر التباين أيضاً على أساليب الجمل، فأحياناً تختلف الجمل اختلافاً بيّناً على المستوى السطحي، ففي قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: 103]، نجد أن جملة ﴿وَصَلِّ﴾ إنشائية لفظاً ومعنى، وجملة ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾ خبرية لفظاً ومعنى، وأحياناً تختلف الجمل في المستوى الباطن كما في قولك: «مات فلان رحمه الله» نجد أن جملة «مات» خبرية لفظاً ومعنى، لكن جملة «رحمه الله» وإن كانت خبرية لفظاً، فإنها إنشائية معنى؛ لأنها جملة دعائية.

هذا التباين الذي يبرز تارة على المستوى السطحي، وتارة أخرى في المستوى الباطن يولّد توتراً حاداً في جميع الأحوال، حيث تزداد الحاجة إلى إدراك المستوى العميق لمعرفة نوع الترابط ونوعيته، أو بمعنى آخر تزداد الحاجة إلى التأمل أو الجمال إذ كلما تباعد الشيئان المقترنان كان التوتر الناجم أعظم، هذا التوتر هو قوة مرونة القوس، أو هو الإدهاش والغرابة والتأثير؛ لأنَّ في هذا النوع يستحيل ما يبدو ارتباطه محالاً إلى كلام ميسور متلائم بل متماسك.

ولا ينفك التباين عن شبه كمال الاتصال أو «الاستئناف البياني»، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53] حيث نجد أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ يحمل في أعماقه سؤالاً تحدد طبيعة الجملة الثانية الواقعة جواباً للسؤال المقدر في الجملة الأولى، أي أن الجملة الأولى تتردد باستمرار ما بين الإنشائية والخبرية بتأثير من قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

ويتخذ التباين صفة مكانية في حال شبه كمال الانقطاع، فيترك العطف بين الجملتين اللتين يفترض عطفهما على بعض لسيطرة جملة ثالثة على موضع (الواو)، ففي قول الشاعر:

وتظُنُّ سلمى أنني أبغي بها بدلاً، أراها في الضَّلال تهيمُ

لم يعطف (أراها) على (تظن) لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على (أبغي) لقربه منه، مع أنه ليس بمراد إذ إن (الواو) لا تأخذ إلا بالجملتين المتغايرتين المتجاورتين لها. وهكذا، فإن التباين يسيطر على مواضع الفصل والوصل مكانياً ومعنوياً وصياغة، والوصل في كل هذا لا يحدث إلا إذا كان التباين معنوياً أو في البنية العميقة، إذ يشترط فيه كما يبدو تلاصق الجمل (للواو)، وتوافق الصيغ. فما الآثار الجمالية التي يعززها التشاكل والتباين على المستوى الحسي؟ وكيف تفسر العدول عن الوصل إلى الفصل أو بالعكس في ضوء هذه الآثار الجمالية؟

التعادل والانسجام:

التشاكل والتباين أثر واضح من آثار ثنائية الجمل في التركيب، لذلك فإنَّ تقارب الجمل من (الواو) وتشاكلها في الأسلوب، واتحاد المسند والمسند إليه في كل من جملتي الوصل، يبرز توازياً وتعادلاً محساً بين الصيغتين لما فيهما من تساوٍ في عدد الكلمات بل وفي عدد الحروف أحياناً كثيرة، ففي قوله تعالى: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: 245] تساوت الجملتان في الكم العددي للحروف حتى غدت الجملتان كأنهما جناحا طائر قلبه (الواو).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13ـ 14] نشعر بالاستواء والتعادل فيما بين الجملتين، وبترتيب قلب المعاني، فالتشاكل والتماثل قد تعدى التساوي في عدد الحروف والكلمات، إلى التماثل في الحرفية والاسمية، وإلى إعادة بعض الألفاظ مع قلب معناها، فاكتسب التركيب طابعاً جمالياً تأثيرياً إلى جانب ما فيه من تباين معنوي جذاب، يثير التوتر والدافعية نحو معرفة أسباب الجمال.

وكذلك الأمر في الجمل الإنشائية لفظاً ومعنى، إذ يبرز فيهما التماثل والتوازي أيضاً، ففي قوله تعالى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: 15] تتقارب الجمل في عدد الألفاظ وتتحد في المسند والمسند إليه، وتتماثل في نوع الأساليب، وتتوازى لاختلافهما في المعنى، ويحيط كل أسلوب بالواو من جهة مغايرة لجهة الآخر على نحو يصعد حدَّة التباين، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [البقرة: 83] تتماثل الأساليب في النوع، وتتساوى الألفاظ في عدد الحروف، وتتوازى الجمل لما فيها من تباين بين الخالق والمخلوق، وتلتصق الجمل بالواو من جهتين متغايرتين، ولا يكاد الأمر أن يختلف كثيراً في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الإسراء: 23]. ولهذه الرؤية الجمالية التي تعتمد على التماثل والتوازي ذكر السكاكي أنَّ مِن محسنات الوصل أنْ تتفق فيه الجمل في الاسمية أو الفعلية؛ لتحقيق التناسب، لذلك فإنَّ قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [فاطر: 13] من أحسن أنواع الوصل تناسقاً وتلاؤماً، لتماثل الجمل في عدد الكلمات، وللتباين بين الاسمية في كل جملة، ولثبات موقع الفعل في كلِّ جملة، ولتكراره مع اختلاف معناه، ولتبادل مواقع الأسماء في الجملة الثانية دون إخلال بتعريف الأسماء في كل جملة، ولتلاحم الأضداد سواء على مستوى الجملتين أو على مستوى الجملة الواحدة، وبخاصة لوجود حرف الجر بين كلِّ متضادين في الجملة الواحدة.

هذا على مستوى الوصل أما على مستوى الفصل، فالتماثل والتوازي لم يتحقق بين جمل الفصل لطبيعة الجملة الثانية، فهي عادة ما تكون أطول من الجملة الأولى لما في الثانية من

تفسير وبيان وتوكيد أو إجابة أو غير ذلك، لهذا استعاض أسلوب الفصل بميزات جمالية أخرى استطاع من خلالها تشكيل وحدة نفسية متكاملة قادرة على تبليغ الرسالة في وسط مفعم بالانسجام، لاعتماد هذا اللون التعبيري على التكرار والإعادة، والقوة والجزالة والفخامة التي لا تضاهيها قوة لشدة التماسك والترابط، بل للوحدة القائمة بين الجمل.

العدول من الوصل إلى الفصل وبالعكس:

لقد ذهب كثير من البلاغيين إلى أن الوصل يكون بين الجملتين اللتين يفترض فيهما الفصل لدفع إيهام غير مراد، ففي قولهم: (لا ونصرك الله) لمن سأل: (هل انتصر زيد) قالوا بأن الوصل وقع بين الجملتين الأولى التي تعرضت للحذف: (لا) والثانية: (ونصرك الله) لئلا ينقلب معنى الكلام من الدعاء للمخاطب إلى الدعاء عليه، إلا أن هذا التفسير حسب ظني لا يُدخل هذا النوع في الوصل؛ لأنَّ قولهم: (لا ونصرك الله) يفتقر إلى التعادل والتوازن، ولأنه يفتقر إلى التوافق في الأساليب؛ لتعرضه إلى الحذف فعدد الحروف أو عدد الكلمات في كل جملة لا يتماثل مع الجملة الأخرى، كما أن الجملة الأولى خبرية والثانية إنشائية لفظاً خبرية معنى (دعاء)، لذلك يبدو أنه من الأفضل أن يقال عن (الواو) في هذه الجملة بأنها ليست للوصل، وإنما للتوكيد حسبما ذهب السبكي؛ لأنَّ الظاهر (أنها زائدة وليست عاطفة، بل زيدت لدفع توهم النفي لما بعدها، فهي في الحقيقة دخلت زائدة لتأكيد عودها لما قبلها، وذلك شأن الزائد يؤتى به للتأكيد، والتأكيد أكثر ما يأتي لدفع إيهام غير المراد) [1].

ويبرز في هذا السياق إشكالية عطف الجملة الخبرية على الإنشائية وبالعكس، وبخاصة في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: 121] حيث إن البلاغيين منعوا عطف الخبرية على الإنشائية رغم أن أئمة النحو قد جوَّزوا هذا العطف وبخاصة أنه ظاهرة واضحة في القرآن الكريم، فقد عدَّد الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة اثني عشر موضعاً في القرآن الكريم عطفت فيها الخبرية على الإنشائية والعكس، فكيف يفسر موقف البلاغيين من هذه المسألة؟ وبخاصة أن قبولهم للعطف في حال (لا وعافاك الله) يعتبر دليلاً على عطف الإنشائية على الخبرية.

---

(1) . عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. لبهاء الدين السبكي 1: 516.

يبدو أن السبكي قد أوجز هذا الخلاف حينما ذهب إلى أنه (لا خلاف بين الفريقين، لأنه عند مَن جوَّزه يجوز لغة ولا يجوز بلاغة) [1]، ولكنه لم يوضح أسباب منع البلاغيين، وإن كنت أحسب أن منع البلاغيين قد بني على أمرين: أولهما: أن الإمام الجرجاني قد منع عطف الخبر على الاستفهام؛ لأن الخبر لا يؤكده إلا الخبر، ولأن الاستفهام لا يحتاج للتوكيد لما فيه من مفاجأة وإدهاش. وثانيهما: أن عطف الخبرية على الإنشائية أو العكس يفقد الكلام التماثل والتوازي والتعادل هذا بالإضافة إلى أنه يغيِّب التناسب الذي اشترطه البلاغيون في كل وصل وبخاصة (بالواو).

أما بالنسبة لبعض الآيات في هذا الصدد، فقد قدَّم العلوي منهجاً واضحاً لتفسير طبيعتها، وهو منهج أساسه استبطان البنية العميقة، إذ إن هذا المستوى يدخل البنية في دائرة الاحتمالات، وهي دائرة موغلة في الجمالية، ففي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: 189]. فقد قدَّم العلوي ثلاثة احتمالات تبرز ارتباط قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ البِرُّ...﴾ بما قبله، أولها: أن الخطاب القرآني لما ذكر أن الأهلة مواقيت للحج على مستوى السطح واستحضر في العمق عادات العرب الذين إذا أحرموا لم يدخل أحدهم بيتاً ولا خيمة، ولا خباء من باب، بل إن كان من أهل المدر نقب نقباً من ظاهر البيت يدخل منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة أو الخباء. كان الاستحضار لكل ذلك مسوغاً للوصل في بنية السطح؛ لأن التقدير أنه قيل لهم: ليس البر تحرجكم من دخول البيت، ولكن البر من اتقى محارم الله. ثانيها: أن يكون في بنية السطح حذف سوَّغه ما في البنية العميقة، كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة: معلوم أنَّ كل ما يفعله الله تعالى فيه حكمة عظيمة، ومصلحة ظاهرة في الأهلة وغيرها، فدعوا هذا السؤال، وانظروا في خصلة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في ورد ولا صدر، وهي إتيان البيوت من ظهورها فليست براً، ولكن البر هو تقوى الله تعالى والتجنب لمحارمه ومناهيه. وثالثها: يعتمد التأويل في التعامل مع بنية السطح، حيث تكون الصياغة على جهة التمثيل لما هم عليه من تعكيس الأسئلة ولما هم بصدده من التعنُّت، وأن مثالهم في سؤالاتهم المتعنتة، كمثل من ترك باب الدار ودخل من ظهر البيت فقيل لهم: ليس البر ما أنتم عليه، ولكن البر هو التقوى.

---

[1]. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح 1: 496.

بهذه الاحتمالات التي طرحها العلوي متابعاً فيها الزمخشري، يعيد العلوي والزمخشري من قبله لبنية السطح انتظامها، برغم ما توهمه العلاقة الدلالية من كمال الانقطاع الذي يحتم الفصل، كما يؤكد كل منهما بمجموع هذه الاحتمالات أيضاً أن تذوق الجمال ليس مجرد إدراك حسي وإنما هو إدراك لقيمة أو اكتشاف لدلالة جمالية هيهات لأي مظهر حسي أن يستوعبها بتمامها، وبخاصة حينما يعرض في النسيج اللغوي ما يدهش المتلقي لخروج سياق المقاطع عن المألوف، كما في الآية السابقة، إذ إن حرف العطف (الواو) فجَّر كثيراً من القيم والدلالات الجمالية لحاجتها إلى التأمل.

ويذهب كثير من البلاغيين إلى أن العدول عن الوصل إلى الفصل في حال التوسط بين الكمالين يكون محافظة على المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 14ـ 15] ذهبوا إلى أن قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لم يعطف على قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ مع أن الجمل تتفق في الخبرية، وتربطها ببعضها رابطة قوية؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ حكاية عن المنافقين وليس بخبر من الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، لهذا امتنع العطف ولم يكن مستساغاً لاستحالة عطف قوله تعالى على قولهم، إذ لو تم العطف لأصبح قوله تعالى حكاية عنهم، وهذا محال لأنهم لن يعترفوا بأن الله يستهزئ بهم، وأنه معاقبهم، ومع صحة هذه الآراء إلا أنه يتبيَّن أنَّ الوصل بين الجمل لا يكفي فيه التماثل والتوازي والتوازن وإنما يتطلب شيئاً آخر لعله يبرز من خلال جمالية التناسق والتلاحم [1].

المبحث الثاني: الأطوارُ والمراحلُ التي مرَّ بها الفصلُ والوصلُ

ذكر الأستاذ منير سلطان أن مصطلح (الفصل والوصل) مصدره في البداية كان في علم القراءات، ودليله على ذلك سبق وجوده في علم القراءات، وتعريف علماء القراءات به، وتشابه المدلول والغرض، فالقراءة أيّاً كان نوعها هي تحويل للألفاظ المكتوبة إلى أصوات منطوقة تؤدي نفس الدلالات، وفي أداء «نفس الدلالات» تكمن المشكلة، فالقارئ الذي لا يفهم معنى ما يقرأ ولا يتذوقه، سيقرؤه بطريقة تؤدي إلى إفساد معناه مهما كان المعنى عميقاً ورائعاً، والخطيب إذا

---

(1) . انظر: مقال: تجليات الجمال في الفصل والوصل، للدكتور عبد الرحيم الهبيل
في منتديات مكتبتنا العربية:
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=24743

لم يكن متمكناً من لغته ومن معانيه التي يريد أن يوصلها إلى المستمع سيكون إلقاؤه مساعداً على تفتيت معانيه وتشتيت ذهن من يستمع له. وإذا كان الأمر كذلك في القراءة والخطابة فهو في القرآن أشد أهمية وأعظم ضرورة.

ولم يكن الأمر مقصوراً على مؤلفات القراءات، فقد وجدت مصطلحات «الوقف والوصل»، و«القطع والابتداء»، و«الوقف والابتداء»، و«القطع والوصل» في كتب النحو والتفسير، وهذه بعض الأمثلة على ذلك، فقد تحدث سيبويه «ت 180هـ» عن «الحروف التي يسمع معها الصوت والنفخة في الوقف لا يكونان في الوصل إذا سكن؛ لأنك لا تنظر أن ينبو لسانك ولا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتاً».

والفراء «ت 207هـ» يستعمل مصطلح «القطع والابتداء» و«الوقف والاستئناف» و«الوقف والوصل». والطبري «ت 310هـ» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: 259] يتكلم عن الهاء الزائدة في ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ فيقول: (فإن العرب قد تصل الكلام بزائد فتنطق به على نحو منطقها به في حالة القطع، فيكون وصلها إياه وقطعها سواء، وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك بإثبات الهاء في الوصل والوقف...). وابن مجاهد «ت 324هـ» في كتابه «السبعة في القراءات» يورد مصطلح «الوصل والوقف»، وكذا ابن جني «ت 392هـ» في الخصائص. أما الزمخشري «ت 538هـ» فقد استعمل مصطلح «الوقف والابتداء» و«الوقف والوصل» و«القطع والوصل». ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾ [القصص: 61] يقول وقرئ: (ثُمَّ هْوَ) بسكون الهاء كما قيل: (عضْد) في (عضُد)، تشبيها للمنفصل بالمتصل، وسكون الهاء في (فهو وهو ولهو) أحسن؛ لأن الحرف لا ينطق به وحده فهو كالمتصل [1].

وذكر الأستاذ منير سلطان أن أول مرحلة للفصل والوصل في البلاغة هي: (مرحلة عدم استقرار المصطلح)، فقد استأثر علم القراءات وعلم الخط العربي بمصطلح (الوقف والابتداء) و(الوقف والوصل) و(الفصل والوصل) ويبدو أن هذا ما أخر استقلال مصطلح (الفصل والوصل) في البلاغة بمفهومه المتعارف عليه، فالاهتمام بقراءة القرآن وكيفية كتابته أسبق من تدوين المصطلحات البلاغية والمؤلفات البلاغية نفسها.

([1]) . انظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، منير سلطان: 16.

وإلى أن استقرت الحال على مصطلح (الفصل والوصل) عنواناً على ربط المعاني وقطعها لأغراض بلاغية مرت مرحلة أسميها مرحلة (عدم استقرار المصطلح)، والسبب في ذلك أن النحويين والمفسرين والبلاغيين كانوا متأرجحين بين الأخذ بالمصطلح النحوي (العطف وتركه) والأخذ بمصطلح القراءات (الوصل والقطع) وبين شرح الفكرة بغض البصر عن المصطلح؛ لأن علم القراءات قد استحوذ على (الفصل والوصل)، ولأن المضمون كان في أذهان هؤلاء العلماء أهم من المصطلح.

فسيبويه «ت 180هـ» يتكلم عن الوصل فيقول: (... لم يجز أن تدخل الفاء،... ولو قلتها بالواو حسنت)، ويستعمل مصطلح (قطع) للفصل، يقول: (باب بدل المعرفة من النكرة، والمعرفة من المعرفة وقطع المعرفة من المعرفة المبتدأة)، بينما يستعمل (الفصل) بمعناه اللغوي مع ضمائر الفصل، يقول: (باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلاً)، وينقل أبو حيان عن سيبويه: (جواز عطف المختلفتين بالاستفهام والخبر).

والفراء «ت 207هـ» يتكلم عن (يُذَبِّحُون) و(ويُذَبِّحُون) يقول: (فمعنى الواو أنه... ومعنى طرح الواو كأنه طرح لصفات العذاب... وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملاً في كلمة ثم فسرته فاجعله بغير الواو. وإذا كان أوله غير آخره فبالواو).

ويستعمل للجملة الثانية المستأنفة عبارة: (الكلام المكتفي يأتي له جواب).

ويشرحه: (لأنه جواب يُستغنَى أوله عن آخره بالوقفة عليه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول: قال: كذا وكذا، وكأن حسن السكوت يُجَوِّزُ به طرح الفاء...).

والجاحظ «ت 255هـ» ينفرد بذكر مصطلح (الفصل والوصل) وأن معرفتهما هي البلاغة.

وابن وهب «ت 272هـ» في كتابه (البرهان) يفرد باباً بعنوان في (القطع والعطف) ويقصد به الفصل بالجمل المعترضة.

والمبرد «ت 285هـ» يتكلم عن الفصل بأنه (بغير الواو) والوصل (بالواو)، ثم يستعمل مصطلح (القطع والاستئناف) في قوله: (فإذا قلت: مررت بزيدٍ عمرو في الدار، فهو محال، إلا على قطع خبر واسئناف آخر).

وعن الاستثناء المنقطع يقول الطبري «ت 310هـ»: (إنما يكون ذلك كذلك في كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان (إلا) (لكن)، فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول) [1].

([1]) . جامع البيان للطبري 2: 264. انظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، منير سلطان: 20.

ثم ذكر الأستاذ منير سلطان أن المرحلة الثانية للفصل والوصل في البلاغة هي (مرحلة استقرار المصطلح)، وذكر أن الإمام الجرجاني جعل المصطلح النحوي قاعدة له، وانطلق منها إلى رحاب البلاغة مطبقاً منهجه في (النظم)، فحافظ على قواعد (عطف النسق) واستمد منها ما يخدم (الفصل والوصل).

فالباب المخصص لهذا الحديث في كتابه (الدلائل) مصدر بـ (القول في الفصل والوصل) ومقدمته توضح أن الذي ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى، من أسرار البلاغة تلك التي لا يفهمها إلا (الأعراب الخلص) و(الأقوام طبعوا على البلاغة) و(الأفراد في ذوق الكلام)، أما الذين إذا (رأوا جملة قد ترك فيها العطف قالوا: إن الكلام قد استؤنف وقطع عما قبله لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك، قد غفلوا غفلة شديدة).

فـ (الفصل والوصل) هو (العطف وترك العطف) من الوجهة البلاغية، وهذه مرحلة دقيقة يمر بها المصطلح البلاغي، فالوصل والوصل قد انطلق مستنداً إلى العطف النحوي يستشف الأسرار الجمالية للتراكيب والمفردات.

وقد التزم الجرجاني أن ينطلق من القاعدة النحوية، ولكنه لم يسمح لها أن تستولي على مساحة أكبر من المقدر لها.

أ- الأساس النحوي في المصطلح البلاغي عند الجرجاني:

يقول: (واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها...)، و(معلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله...)، و(إذا كان هذا أصله في المفرد فإن الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين...)، و(اعلم أنه إنما يعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف، وذاك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني مثل أن (الفاء) توجب الترتيب من غير تراخ و(ثم)...)، و(اعلم أنه كما كان في الأسماء...، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد، كذلك يكون في الجمل...).

وفي هذه النصوص ما يكفي لإثبات التزام الجرجاني بالأساس النحوي لدراسة الفصل والوصل، ومهما يكن من صرامة القواعد وجورها أحياناً فغالباً ما تضفي على الدرس سمة الوضوح ومعرفة الحدود فيسهل الفهم.

ب- الأساس الفني في المصطلح البلاغي عند الجرجاني:

لم يغفل الجرجاني مناسبة إلا ويوضح أن الأمر ليس (عطف جملة على جملة)، وإنما هو وصل معنى بمعنى لاعتبارات جمالية. ففصل معنى عن آخر، ووصل معنى بآخر يحتاج إلى أقوام ذوي ذوق، هم به أفراد، ويحتاج إلى تأمل ونظر، لذا نراه في تحليله الجمالي يستند إلى معرفة (الجاري في العرف والعادة) وإلى (ما يحرك السامعين لأن يعملوا) و(يحرك السامع لأن يسأل) وإلى أن (المعاني كالأشخاص)، بالإضافة إلى صبره المعروف في تحليل خيوط نسيج كل تركيب [1].

ثم ذكر الأستاذ منير سلطان أن المرحلة الثالثة للفصل والوصل في البلاغي هي (مرحلة تشعب المصطلح):

ليست القضية في تشعب المصطلح أو ندرته، وإنما هي في مدى حاجتنا إلى المصطلح وإلى تشعبه. أما الجرجاني «ت 471هـ» فلم يشغل نفسه في البحث عن مصطلحات بقدر ما انشغل بما وراء وصل الموصول وفصل المفصول من أغراض ومبررات منطقية ونفسية وجمالية، حتى القانون الذي وضعه في النهاية لم يضع له مصطلحاً، مكتفياً بتخصيص المصطلح العام (الفصل والوصل) بالموضوع وما يندرج تحته من أفكار.

وجاء الزمخشري ولم يكن يفصل بين (الفصل والوصل) في القراءات و(الفصل والوصل) في البلاغة. ووضح ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾ [ص: 20] إذ رأى أن الفصل: التمييز بين الشيئين، ومعنى فصل الخطاب: البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه، ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّين﴾ [الماعون: 4] إلا موصولاً بما بعده. ولا ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ﴾ حتى يصله بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216] ونحو ذلك، وكذلك مظان العطف وتركه، والإضمار والإظهار والحذف والتكرار، وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ.

وكأنه يرى أن ما يؤدي فصله إلى فساد وخلل وجب فيه الوصل، وما يؤدي وصله إلى فساد وخلل وجب فيه الفصل، في القراءات كان أو في البلاغة.

([1]) . انظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، منير سلطان: 25.

ولم يكن الزمخشري ـ شأنه شأن الجرجاني ـ في أثناء تطبيقه الفني لنظرية النظم منشغلاً بالبحث عن (مصطلح) لأنه لا حاجة له فيه. وحين انتهت ممارسة التطبيق على يد الزمخشري، صارت مهمة السكاكي أن ينظم ويرتب هذا البناء الشامخ. ومن طبيعة التنظيم والترتيب أن تجمع الجزئيات بعضها إلى بعض، وكذا الأشباه والنظائر ويستغنى عن الفضول والاستطراد، وهنا يحتاج الأمر إلى المصطلح الذي يوجز الإطناب ويوفر الجهد ويساعد على الاستذكار، وقد كان.

وقد أطلق السكاكي «ت 626هـ» مصطلح: (كمال الاتصال) على ما سماه الجرجاني: (الاتصال إلى الغاية)، وذلك إذا كانت الجملة الثانية موضحة للأولى أو مبينة لها أو مؤكدة لها ومقررة، ويجب فيها الفصل وأبقى على مصطلح (القطع) وجعله نوعين؛ أحدهما: أن يكون للكلام السابق حكم وأنت لا تريد أن تشركه الثاني في ذلك فتقطع، وثانيهما: أن يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال، فتنزل ذلك منزلة الواقع ويطلب بهذا الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الكلام السابق لذلك، ثم قسم النوع الأول من القطع إلى قطع على وجه الاحتياط وقطع على وجه الوجوب، وأبقى على الثاني اسمه، وهو (الاستئناف).

وأطلق مصطلح: (كمال الانقطاع) على ما سماه الجرجاني: (الانفصال إلى الغاية) وهو أن تختلف الجملتان خبراً وطلباً أو أن تتفقا خبراً.

وأطلق مصطلح: (التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع) على ما سماه الجرجاني: (ما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين الحالين، وذلك إذا اختلفت الجملتان خبراً وطلباً).

وخرج ابن الأثير «ت 637هـ» عن دائرة (الفصل والوصل) وكمال الاتصال وكمال الانقطاع؛ لأنه قد اعتد بكتاب (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي «ت 466هـ» الذي كان يبحث في شروط الفصاحة في اللفظة الواحدة وشروطها في الألفاظ، وهاجم من يرى البلاغة في معرفة الفصل من الوصل فقط، وفي حديث ابن الاثير عن (الحروف العاطفة والجارة) يقول: (هذا موضع لطيف المأخذ دقيق المغزى، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة تعرض له، وما أقول إنهم لم يعرفوه)! ثم يحلل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: 79ـ 81] مستعملاً للفصل عبارة (حذف الواو) وللوصل (إثباتها).

وجاء القزويني «ت 739هـ» وهو رجل سيطرت عليه النزعة التعليمية، فأحال البلاغة إلى قواعد يحفظها الدارسون، فأضاف مصطلحين جديدين هما: (شبه كمال الاتصال) و(شبه كمال الانقطاع)، وذلك في أثناء حديثه في تلخيصه عن مواطن الفصل يقول: (فإن كان للأولى حكم

لم يقصد إعطاؤه للثانية فالفصل مثل ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ الآية، وإلا، فإن كان بينهما كمال الانقطاع بلا إيهام أو كمال الاتصال أو شبه أحدهما، فكذلك، وإلا، فالوصل) ويقصد بـ (شبه كمال الانقطاع) أن تكون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى لكون عطفها عليها موهماً لعطفها على غيرها، ويقصد بـ (شبه كمال الاتصال) أن تكون الثانية بمنزلة المتصلة بالأولى لكونها جواباً عن سؤال اقتضته الأولى.

والطريف أن القزويني لم يلتزم بهذين المصطلحين في كتاب (الإيضاح) إنما الذي روج لهما هم شراح التلخيص.

وبهذا صار لدينا مصطلح (الفصل والوصل) وخمسة مصطلحات تشعبت منه.

وأرى أننا لسنا بحاجة إلى هذه المصطلحات الخمسة فهي ليست جامعة مانعة، وقد تشكلت تلبية للحاجة التعليمية، وكانت ترجمة لمنهج البلاغة المتفلسفة العقيمة، وأرى أن نقتصر منها على المصطلح الأساسي (الفصل والوصل) ويكون: الفصل: هو قطع معنى عن معنى بأداة لغرض بلاغي. والوصل: هو ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي [1].

لقد مرَّ الفصل والوصل بأطوار ومراحل عديدة إلى أن استوى على سوقه، وعند محاولة تحديد الفصل والوصل في الكتب التي تبحث في الأدب والبلاغة والتي تمثل أدوار نشأة البحث البلاغي كالبيان والتبيين للجاحظ، وقواعد الشعر لثعلب والبديع لابن المعتز فلن نظفر بشيء، ومن الممكن أن نقف على تعريف بدائي له عند أبي هلال العسكري في الصناعتين، فقد اهتم به وعد معرفته معرفة للبلاغة كلها وبين مدى ضرورة الكاتب والخطيب والشاعر إلى معرفة مواضع كل من الفصل والوصل إلا أنه درسه دراسة أدبية لا أثر فيها للتنظيم والتحديد والتعريف، ومع ذلك كله يمكن من خلال ما ذكره استخلاص المقاييس البلاغية التي تخص الفصل والوصل، فمن ذلك ما أورده عن أكثم بن صيفي أنه إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه: (افصلوا بين كل معنى منقض، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض)، وما أورده عن الحارث بن شمر الغساني إذ يقول لكاتبه: (إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبعيته من الألفاظ، فإنك إن مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمذق نفرت القلوب عن وعيها، وملته الأسماع، واستثقلته الرواة).

([1]) . انظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، منير سلطان: 28.

وعند تفحص قول أكثم والحارث على ضوء المقاييس التي وضعها البلاغيون بعده يتبيَّن أنها تقترب مما يقررونه في باب الفصل والوصل، أولم يقرروا بأن التباين التام باختلاف الجملتين خبراً وإنشاء أو عدم وجود التناسب بينهما مما يوجب الفصل حسب ما هو معروف فيما سموه (كمال الانقطاع)، وهناك لفتة وردت في قول أكثم تشعر بوصل أجزاء الكلام إذا كان معجوناً بعضه ببعض، وهذه اللفتة تتفق مع ما قرره البلاغيون فيما بعد من وجوب الوصل إذا قصد اشتراك الجملتين في الحكم الإعرابي، أو إذا اتفقا خبراً وإنشاء وكانت بينهما مناسبة، وعند تخطي أبي هلال إلى الجرجاني يتبيَّن أنه وضع معالم بحث الفصل والوصل بقوله: (اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجملة من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة)، وعند الانتقال إلى السكاكي يظهر أنه يعرفه بقوله: (ومدار الفصل والوصل هو ترك العطف وذكره على هذه الجهات، وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها)، ثم جاء ملخصو المفتاح وشراح التلخيص وكلهم يدورون حول تعريف واحد هو: (أن الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه)، وقد استفاض شراح التلخيص في التعليق على هذا التعريف وتوضيحه.

مادة الفصل والوصل:

هناك مؤلفات أولية تمثل أدوار النشأة الأولى للبلاغة العربية من مثل قواعد الشعر لثعلب، والبديع لابن المعتز، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ونقد الشعر لقدامة وغيرها من الكتب التي تعني بجمع النصوص الأدبية والشوارد اللغوية كالبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد، وعند تقليب صفحات تلك الكتب وسبر أغوارها فإنه لا يمكن العثور على شيء ذي بال يتعلق بمباحث الفصل والوصل، بل إن بعضها يخلو تماماً من مجرد الإشارة إليه، ولعلَّ الجاحظ فيما يبدو يعتبر أول من أشار إلى الفصل والوصل في كتابه البيان والتبيين حينما نقل عن الفارسي قوله: (إن البلاغة معرفة الفصل والوصل)، ولم يزد على ذلك بمعنى أنه لم يحدثنا عنه أو لم يعطنا فكرة عن مباحثه، ويمكن القول أن أبا هلال العسكري هو أول من اعتنى بمبحث الفصل والوصل، فقد أفرد له باباً في كتابه (الصناعتين) جمع فيه نصوصاً وشواهد كثيرة تحث على مراعاة مواطن الفصل والوصل في الكلام والكتابة، وساق شواهد من الشعر والنثر على أحواله، فاستشهد لما سماه المأمون في قوله باسم المحلول والمعقود، ووضَّح المقصود بالمحلول والمعقود بقوله: (هو إنك إذا ابتدأت مخاطبة ثم لم تنتبه إلى موضع التخلص مما عقدت عليه كلامك سمي الكلام معقوداً، وإذا شرحت المستور وأبنت عن الغرض المنزوع إليه سمي الكلام محلولاً)،

واستشهد لما لم يبن موضع الفصل فيه وللمقطع الحسن في الشعر ولجودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها في موضعها، وقسم ذلك إلى ثلاثة أنواع: الأول: أن يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتي بلفظ قصير قليل الحروف فيتم به البيت.

والثاني: أنْ يضيقَ به المكان أيضاً ويعجز عن إيراد كلمة سالمة تحتاج إلى إعراب ليتم بها البيت فيأتي بكلمة معتلة لا تحتاج إلى إعراب فيتمه به.

الثالث: أنْ تكونَ الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت من الشعر وتكون مستقرة في قرارها متمكنة في موضعها حتى لا يسد مسدها غيرها وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [النجم: 43ـ 45]، وقوله تعالى: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 4ـ 5]، فأبكى مع أضحك وأحيا مع أمات، والأنثى مع الذكر والأولى مع الآخرة والرضا مع العطية في نهاية الجودة وغاية حسن الموقع، وهنا نقف على لفتة بلاغية من لفتات أبي هلال حيث نبَّه على التناسق البديع في السياق القرآني للآيات السابقة، على أن أبا هلال العسكري حشد هذه المادة الكثيرة حول الفصل والوصل معالجاً الموضوع معالجة أدبية دون العناية بالترتيب والتقنين والتحديد، ولهذا لا نجد فيما ذكره ما يضع بين أيدينا مقاييس بلاغية واضحة المعالم لمبحث الفصل والوصل.

وأما شأن عبد القاهر الجرجاني مع الفصل والوصل فقد كان في طليعة مَن بحثوه بحثاً منسقاً مفصلاً يعتمد التقسيم والتحليل، والتعليل والتعريف، وحينما تحدَّث عنه وضع نصب عينه نظريته في النظم فربطه بباب العطف، واستفاض في الحديث عنه، وفي نهاية المطاف أجمل مواضع الفصل والوصل بقوله: (وإذا قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب، جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون العطف البتة لشبه العطف بها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه.

وجملة: حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف.

وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون إياه ولا مشاركاً له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر

ينفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حالة لعدم التعلق بينه وبينه رأساً، وحق هذا ترك العطف البتة، فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال، والعطف هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين الحالين فاعرفه).

وليس بعيداً عن الصواب اعتبار أن عبد القاهر هو الواضع الأول لأصول وقوانين بحث الفصل والوصل، وقد انتفع بجهوده من جاء بعده من علماء البلاغة، فاختصروا بحثه ونسقوه، وقسموه، وخرجوا منه بمقاييس بجهوده من جاء بعده من علماء البلاغة، وقواعد للفصل والوصل حدَّدت معالمه أكثر مما هو عند الجرجاني، ويقع السكاكي في طليعة الذين تابعوه، بل إن الدكتور أحمد مطلوب يرى (أن السكاكي سطا سطواً عجيباً على بحث الفصل والوصل عند الجرجاني، وأدخله في كتابه بعد أن طبعه بطابعه الخاص، ولكن روح الجرجاني لم تفارق بحث الفصل والوصل في المفتاح فمواضع الفصل والوصل والكلام على جملة الحال والأمثلة هي كلام عبد القاهر في قصر البلاغة على هذا الباب يتابعه فيه).

وقد جمع القزويني بين طريقتي عبد القاهر والسكاكي عند حديثه عن الفصل والوصل في كتابه (الإيضاح)، بمعنى أنه يرسم القاعدة ويحددها من جهة ويشرح ويعلل من جهة أخرى، أما بحث الفصل والوصل في شرح التلخيص فقد جاء بحثاً مطولاً مستفيضاً مثقلاً بالتعليلات، ويبدو أن السبكي صاحب (عروس الأفراح) كان أكثر شراح التلخيص دقة وأحسنهم عرضاً وأجودهم مادة، فقد تأمل ما كتبه غيره فوجد (أقساماً متداخلة بين كثير منها عموم وخصوص من وجه، وبعضها يدفع بعضاً ووجدتهم قرروا فيه قواعد لا تخلو عن إشكال، وذكروا أموراً على غير الصواب من جعل ما ليس له محل من الإعراب ذا محل، وعكسه، إلى غير ذلك)، ويرى أن هذا الخلل لم يكن في كلام صاحب المفتاح وإنما في كلام من بعده لأنهم لم يتأملوا كلامه.

تبيَّن مما سبق أن مبحث الفصل والوصل لم يوجد له تعريف محدد المعالم في كتب البلاغة أو الأدب التي عاصرت دور نشأة البحث البلاغي، ومن الممكن استخلاص تعريف بدائي مما ذكره أبو هلال العسكري في الصناعتين، كما تبيَّن أنَّ الجاحظ أول من أشار مجرد إشارة إلى مبحث الفصل والوصل، وأنَّ الجرجاني قام بوضع الأسس الأولى لمباحث الفصل والوصل بشكل منظَّم ومحدَّد معولاً على التحليل والتعريف، وقد استفاد البلاغيون بعده مِن بحوثه وبخاصة السكاكي

الذي تأثَّر كثيراً بالجرجاني واستفاد منه، ثم جاء شراح التلخيص فوسَّعوا دائرة البحث بالتعليقات والتعليلات والحواشي [1].

المبحثُ الثالثُ: الفَصلُ والوَصلُ بين عِلْمَيْ النحوِ والبلاغةِ

علم النحو وعلم البلاغة يمثلان أساس اللغة العربية، لما يحتويان عليه من أسس وقواعد تقوم عليها اللغة العربية.

وهما عِلْمان مترابطان متصلان، لا يصحُّ فصلهما فهما يكملان بعضهما البعض، وقد بيَّن هذه العلاقة التي تربط بين هذين العلمين الإمام عبد القاهر الجرجاني حيث دافع عن علم النحو وأراد أنْ يخرجه عن مجرد دراسة أواخر الكلمات، وأنه لا بدَّ من التقاء العلمين في نظم الكلام وضم بعضه إلى بعض بحيث لا يمكن أن ندرس بلاغة الكلمات دون دراسة نحوها.

فإذا كانت البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذي يخاطبون، فهي فنٌّ يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري، ودقة إدراك الجمال وتبيُّن الفروق الخفية بين صنوف الأساليب.

فإنَّ النحو هو أنْ تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلام لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية أي كيفية التركيب في تقديم بعض الكلام على بعض.

فيظهر من ذلك أنَّ علمَيْ النحو والبلاغة يشتركان في أنَّ هدفَهما هو إخراج الكلام في أحسن صورة وأجودها.

وهناك رابطة قوية تربط بين هذين العلمين النحو والبلاغة، فهناك الكثير من المواضيع التي تشترك بين هذين العلمين.

ومن هذه المواضيع: التقديم والتأخير، والفصل والوصل، فقد بحثها النحويون والبلاغيون، فقد تحدَّث النحويون عما يجوز تقديمه وما لا يجوز تقديمه، وتحدثوا عن الفصل والوصل في أبواب العطف وأنواعه [2].

---

(1) . انظر: التطور البلاغي لمبحث الفصل والوصل، للأستاذ عبد الله عبد الرحيم عسيلان، في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (17)، 6: 274.

(2) . انظر: صلة النحو بالبلاغة، لفراح طهير، رسالة علمية مقدمة للماجستير في الجزائر في جامعة أبو بكر بلقايد قسم اللغة والأدب العربي. 1438هـ، 2016م. ص 4 وص34.

إنَّ الحديث عن الفصل والوصل وعلم النحو واسع لتعدد التراكيب اللغوية التي يمكن نطقها، فهو يشمل اللغة كلها، ومنذ الفجر الأول لدراسات العربية يظهر أن كتب النحو تناقش التراكيب اللغوية فصلاً ووصلاً، وكذلك في كتب إعراب القرآن الكريم والوقف والابتداء ذكرٌ لتلك الموضوعات، فهي في كثير من جوانبها تشير إلى ضرورة الربط بين الجمل المتصلة في البناء التركيبي وعدم فصل بعضها عن بعض، وذلك مثل جملة المبتدأ أو الخبر، والمعطوف والمعطوف عليه، والشرط والجزاء، والصفة والموصوف، والبدل والمبدل منه، وهي ما تقتضي ببنيته التركيبية التلازم اللفظي والمعنوي [1].

حيث هنا قد يصحُّ الرأي القائل بأنَّ النحو صلب البلاغة، وإن كانت البلاغة أعلى وأشمل منه، وتصح تسميتها: (النحو العالي) أو (منهج النحو الجمالي) الذي يجمع بين عِلْمَيْ النحو والبلاغة، وذلك لأنَّ شرطَ النحوِ صحةُ التركيبِ، وشرطُ البلاغةِ صحةُ التركيبِ التي تترتب عليها صحة المعنى.

الوصل عند النحويين:

لقد أشار النحويون إلى ظاهرة الربط بالأداة إشارات متفرقة ومختلفة الأبواب والاتجاهات، منها: التوابع وباب حروف المعاني، حيث يتبيَّن أنَّ للحرف أو الأداة دوراً في الربط بين الجمل أو وصلها بين بعضها البعض، كما قال ابن سراج (المتوفَّى 316هـ): (إن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع: إما أن يدخل على الاسم وحده مثل الرجل، أو الفعل وحده، أو يربط اسماً باسم: جاءني زيد وعمرو، فعلاً بفعل، أو فعلاً باسم، أو كلام تام، أو ليربط جملة بجملة، أو يكون زائداً).

وكما نقل السيوطي عن أبي الحسين في (شرح الإيضاح) أن الحروف تأتي على عشرة أقسام، ذكر منها ثلاثة أقسام تأتي للربط هي:

1ـ أنْ يكونَ رابطاً بين اسمين أو فعلين، وهي حروفُ العطفِ.

2ـ أنْ يكونَ رابطاً بين فعل واسم، وهي حروفُ الجرِّ.

3ـ أنْ يربطَ بين جملتين، وهي الكلم الدالة على الشرط.

---

[1] . انظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، للطاهر محمد المدني علي، وهي رسالة مقدمة للدكتوراه بإشراف الدكتور محمد حسني مغالسة، الجامعة الأردنية 2004. ص 20. نقلاً عن: الفصل والوصل في سورة القصص لحنان زوبيري، وهي رسالة ماجستير في جامعة محمد خيضر بسكرة عام 1436هـ، 2016م. ص 15.

كما نقل السيوطي عن ابن فلاح في (المغني) أنَّ الحرف يدخل إما للربط أو النقل أو للتأكيد أو للتنبيه أو للزيادة، ويندرج تحت الربط حروف الجر والعطف والشرط والتفسير والجواب والمصدر؛ لأنَّ الربطَ هو الداخل على الشيء لتعلقه بغيره.

قال ابن جني: (إن الغرض من الحروف إنما هو الاختصار، ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت (ما) عن (أنفي) وإذا قلت: هل قام زيد؟ فقد نابت هل عن (أستفهم)، فوقوع الحرف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار، فلو ذهبت تحذف الحرف تخفيفاً لأفرطت في الإيجاز؛ لأن اختصار المختصر إجحاف به) [1].

وهناك العديد من الحروف التي تقوم بالربط أو الوصل بين الجمل، فتؤدي إلى تماسك الجمل والتراكيب، ومنها أدوات الربط التي ذكرها وعالجها العديد من البلاغيين والنحويين [2].

أدوات الربط:

أدوات الربط في اللغة العربية كثيرة منها ما ذكره ابن هشام في (مغني اللبيب): روابط الجملة بما هي خبر عنه، وهي عشرة: أحدها: الضمير، الثاني: الإشارة، الثالث: إعادة المبتدأ، الرابع: إعادته بمعناه، الخامس: عموم يشمل المبتدأ، السادس: أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على جملة خالية منه أو بالعكس، السابع: العطف بالواو، الثامن: شرط يشمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر، التاسع: (ال) النائبة عن الضمير، العاشر: كون الجملة نفس المبدأ في المعنى [3].

وقال ابن جني في الربط بحروف العطف في كتابه: (سر صناعة الإعراب): (اعلم أن هذه الواو إذا كانت عاطفة فإنها دالة على شيئين: أحدهما: الجمع، والآخر العطف، إلا أنَّ دلالتَها على الجمع أعمُّ فيها من دلالتها على العطف) [4].

وذكر الزمخشري في شرح المفصل أن المراد من عطف الجملة على الجملة ربط إحدى الجملتين بالأخرى [5].

---

(1) . سر صناعة الإعراب لابن جني 1: 280.

(2) . انظر: الفصل والوصل في القرآن، لشكر محمود عبد الله، ص 18. والفصل والوصل في سورة القصص لحنان زوبيري، ص: 16.

(3) . مغني اللبيب 2: 573.

(4) . سر صناعة الإعراب 2: 639.

(5) . شرح المفصل للزمخشري 5: 5.

أما من ناحية حروف العطف وهي عشرة كما ذكر: (الواو والفاء وثم وحتى وأو وأم وإما مكسورة مكررة وبل ولكن ولا، فالأربعة الأولى متواخية؛ لأنها تجمع المعطوف والمعطوف عليه في حكم واحد وهو الاشتراك في الفعل... والثلاثة التي تليها في العدة متواخية، وهي أو وإما، ومن جهة أنها لأحد الشيئين أو الأشياء، وإن انفصلت أيضاً من وجوه أخرى، وبل ولكن متواخيان؛ لأن الثاني فيهما على خلاف معنى الأول في النفي والإثبات، ولا مفردة) [1].

المبحث الرابع: مواضعُ الفصلِ

مِن حقِّ الجُمل: إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعض: أنْ تُربط بالواو لتكون على نسق واحد، ولكن قد يعرض لها ما يُوجب ترك الواو فيها: ويسمى هذا فصلاً، ويقع في خمسة مواضع:

الموضع الأول: «كمال الاتصال» وهو اتحادُ الجملتين اتحاداً تاماً: وامتزاجاً معنوياً حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد بحيث تُنزَّل الثانية من الأولى منزلةَ نفسها.

أحياناً: تتقاربُ الجُملُ في معناها تقارباً تاماً، وتصير كالشيء الواحد، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الأولى، وقد تنقطع الصّلة بينهما:

إمَّا لاختلافهما في الصورة، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية.

وإمَّا لتباعد معناهما، بحيث لا يكون بين المعنيين مُناسبة.

ويكون كمال الاتصال بما يلي:

أ ـ بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى، كما في قول الله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: 133]، ومثل قوله سبحانه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: 20ـ 21]، ومثل قوله: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ. قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا﴾ [المؤمنون: 81ـ 82].

ب ـ أو: بأن تكون الجملة الثانية بياناً أو تفسيراً لإبهام في الجملة الأولى، كقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ﴾ [طه: 120]، فجملة ﴿قَالَ يَا آدَمُ﴾: بيان وتفسير لما وسوس به الشيطان إليه.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: 8]، فجملة ﴿قَالُوا...﴾ توضح للنداء، ومثل قوله

---

(1) . شرح المفصل للزمخشري، ص 4. انظر: الفصل والوصل في سورة القصص لحنان زوبيري، ص: 17.

تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة: 49]، فما جاء بعد ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ توضيح لجملة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾.

ويدخل في هذا الباب ما عرف في علم المعاني في باب الإطناب بالتفصيل بعد الإجمال والتوضيح بعد الإبهام.

جـ أو: بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى (بما يشبه أن يكون توكيداً لفظياً أو معنوياً)، كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [الطارق: 17]، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخادِعُونَ اللهَ﴾ [البقرة: 9ـ 10]، فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه «ويوجب الفصل».

ومن أمثلة ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، فالجملتان التاليتان مؤكدتان للأولى ولهذا لم يكن ثمة داع للواو.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ [لقمان: 7].

وهذا توكيد لفظي.

﴿مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31].

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ [يوسف: 40].

ومن أبرز الأمثلة على ذلك آية الكرسي فجملها تجري على هذا النحو من التوكيد.

وكلُّ ما عُرِفَ بالتذييل في علم المعاني أو التشبيه الضمني في علم البيان يمكن أنْ يدخلَ في هذا الباب.

الموضع الثاني: «كمال الانقطاع» وهو أن يكون بين الجملتين تباينٌ واختلافٌ تامٌ: بدون إيهام خلاف المراد.

أ ـ وذلك بأن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء: لفظاً ومعنىً، أو معنى فقط، مثل: (حضر الأمير حفظه الله)، ومثل: (تكلم إني مصغ اليك)، ومثل ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]، فالجملة الأولى إنشائية والثانية خبرية، ومثل قول الشاعر:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ب ـ أو: بأن لا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كل منهما مستقل بنفسه، كقولك: (عليّ كاتب، الحمام طائر)، فإنه لا مناسبة بين كتابة عليّ وطيران الحمام.

وكقوله:

إنَّما المرء بأصغريهِ ... كل امرئ رهنٌ بما لديه

فالمانع من العطف في هذا الموضع «أمر ذاتي» لا يمكن دفعه أصلاً وهو التباين بين الجملتين، ولهذا وجب الفصل، وترك العطف.

لأنَّ العطف يكون للربط، ولا ربط بين جملتين في شدَّة التباعد وكمال الانقطاع.

ومن الشواهد على كمال الانقطاع: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة:117]، ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: 101].

فائدة: وأما ما جاء من هذا الباب معطوفاً فالغالب فيه أن الواو للاستئناف لا للعطف، كقول الله تعالى: ﴿واتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللهُ﴾ [البقرة: 282]، و(حسبي الله ونعم الوكيل) ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: 121]، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾ [الحج: 22]، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، ﴿وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ، وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾ [ص: 20ـ 21].

الموضع الثالث: «شبه كمال الاتصال» وهو أن يكون بين الجملتين رابطة قوية، بأن تكون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتُفصلُ عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53]، ونحو قول الشاعر:

زعم العوازل أنني في غمرة ... صدقوا، ولكن غمرتي لا تنجلي

كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا»

ومثل:

السَّيفُ أصدقُ أنباءً مِنَ الكتبِ ... في حدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللعبِ [1]

فكأنه استفَهم، وقال: لمَ كان السيف أصدق؟ فأجاب بقوله: في حده: إلخ.

([1]) . البيت لأبي تمام. انظر: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد عبده عزام. دار المعارف، القاهرة، 1: 40.

فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين، فأشبهت حالة اتحاد الجملتين، ولهذا (وجب أيضاً الفصل).

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ما تثير هذه الأساليب في النفس، فالجملة الأولى تبعث الخواطر والهواتف فتأتي الثانية لتجيب عنها، وكأن بذرة الجملة الثانية مضمرة في الأولى، وهكذا يتوالد الكلام وتتناسل الجمل.

ويسمى شبه كمال الاتصال (الاستئناف البياني)، ولكنه ليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه، وإنما متولد منه وناشئ عنه إذ تتحرك النفس نحو مواقف جديدة تثيره الجملة الأولى، فالمعاني يستدعى بعضها بعضاً حيث تتناسل الأغراض وتتوالد المعاني.

الموضع الرابع: «شبه كمال الانقطاع» وهو أن يكون بين الجملة الأولى والثانية (جملةٌ أخرى ثالثة متوسطة) حائلة بينهما، فلو عُطفت الثالثة على «الأولى المناسبة لها» لتوهم أنها معطوفة على «المتوسطة» فُيترك العطف.

أو هو أن تُسبق جملة بجملتين يصحُ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيُترك العطف بالمرَّة: دفعاً لتوهُّم أنه معطوف على الثانية، مثل:

وتظُن سلمى أنَّني أبغى بها بدلاً ... أراها في الضلال تَهيمُ

فجملة «أُراها» يصحُّ عطفها على جملة «تظنُ»، لكن يمنع من هذا توهُّم العطف على جملة «أبغي بها» فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى مع أنه غير المقصود، ولهذا امتنع العطف بتاتاً (ووجب أيضاً الفصل).

والمانع من العطف في هذا الموضع «أمر خارجي احتمالي» يمكن دفعه بمعونة قرينة»، ومن هذا: وممَّا سبق، يُفهم الفرق بين كل من «كمال الانقطاع، وشبه كمال الانقطاع».

الموضع الخامس: «التوسط بين الكمالين» مع قيام المانع، وهو أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع: وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 14ـ 15]، فجملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لا يصحُّ عطفها على جملة ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لاقتضائه أنه من مقول المنافقين، والحال أنه من مقوله تعالى دعاء عليهم، ولا يصح عطفها أيضاً على جملة ﴿قَالُوا﴾ لئلا يُتوهم مشاركته له في التقييد بالظرف وأنَّ استهزاءَ الله بهم مقيَّدٌ بحال خُلوِّهم إلى

شياطينهم، والواقع أنَّ استهزاءَ اللهِ بالمنافقين غيرُ مقيَّدٍ بحال من الأحوال، ولهذا وجب أيضاً الفصل [1].

قال الإمام ابن عاشور: ويتعين الفصل إذا أريد التنبيه على أن الجملة الثانية منقطعة عن الأولى أي غير مشاركة لها لا في الحكم الإعرابي، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 14ـ 15] لم تعطف جملة: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لئلا يظن السامع إنها من قولهم، ولا في مجرد الحكم المعنوي حيث لم يكن إعراب نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ [الرعد: 7ـ 8] لم تعطف جملة الله يعلم؛ لأنه لم يقصد دخولها في حكم القصر إذ لا قصد للرد على معتقد أن الله لا يعلم ما تحمل كل أنثى إذ لم يكن في المخاطبين من المشركين وأهل الكتاب من يعتقد ذلك، وكذا قولهم: (مات فلان رحمه الله) فلو عطف (رحمه الله) لظن أن الجملة الدعائية إخبار عن فعل الله معه.

فالفصل في هاته الأمثلة كلها لأجل انقطاع الجملتين بعضهما عن بعض كما رأيت.

ويتعين الفصل أيضاً إذا كانت الجملة الثانية عين الأولى في المعنى أو في محصل الفائدة؛ لأن العطف يقتضي المغايرة: فالتي هي عين الأولى في المعنى نحو قول الشاعر الذي لم يعرف:

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا ... وإلا فكن في الجهر والسر مسلما

فإن معنى لا تقيمن هو ما يفيده معنى قوله ارحل، فكانت الجملة الثانية كبدل الاشتمال من الأولى والتي هي عين الأولى في محصل الفائدة مثل المؤكدة نحو ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2] فجملة: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ مؤكدة لمعنى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [2].

وقال الإمام شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ): (اعلم أن فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو، ومنها ما يفيد فائدة زائدة كـ(الفاء وثمَّ وأو)، وغرضنا هاهنا متعلق بما لا يفيد إلا الاشتراك فنقول: العطف إما أن يكون في المفردات، وهو يقتضى التشريك في الإعراب، وإما أن يكون في الجمل، وتلك الجملة إن كانت في قوَّة المفرد كقولك: (مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح)، فقد أشركت بينهما في الإعراب والمعنى لاشتراكهما في كون كل واحد منهما تقييداً للموصوف، ولا يتصور أن يكون اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشتراك فيه، وحتى

---

(1) . انظر: جواهر البلاغة للأستاذ أحمد الهاشمي: 183، وفن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه لمحمد صالح الشنطي: 91.

(2) . موجز البلاغة: 27.

يكونا كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حاله الأوَّل عساه يعرف حاله الثاني، يدلك على ذلك أنك إذا عطفت على الأول شيئاً ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره لم يستقم، فلو قلت: (خرجت اليوم من داري، وأحسن الذي يقول بيت كذا)، قلت ما يضحك منه، ومن هاهنا عابوا على أبي تمَّام قوله:

لا والذي هو عالم أن النوى ... صبر وأن أبا الحسين كريم

وإن لم تكن في قوَّة المفرد فهي على قسمين:

الأوَّل: أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقاً بمعنى الأخرى كما إذا كانت كالتوكيد لها أو كالصفة، فلا يجوز إدخال العاطف عليه؛ لأنَّ التوكيد والصفة متعلقان بالمؤكّد والموصوف لذاتهما، والتعلق الذاتيّ يغنى عن لفظ يدل على التعلق، فمثال التوكيد قوله تعالى: ﴿الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 1ـ 2] فلا ريب فيه توكيد لقوله تعالى: ﴿ذلِكَ الْكِتابُ﴾ كأنه قال: هو ذلك الكتاب، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6].

وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7].

تأكيد ثان أبلغ من الأوّل، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخادِعُونَ اللهَ﴾ [البقرة: 9ـ 10] ولم يقل: ويخادعون؛ لأن المخادعة ليست شيئاً غير قولهم: آمنَّا مع أنهم غير مؤمنين، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ [لقمان: 7] ولم يقل تعالى: وكأن، وأمثال ذلك في القرآن العزيز كثيرة.

القسم الثاني: أن لا يكون بين الجملتين تعلق ذاتيّ، فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضاً؛ لأن العطف للتشريك ولا تشريك، ومن هاهنا أيضاً عابوا على أبي تمّام البيت المتقدّم، لا والذي هو عالم...، إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وبين كرم أبي الحسين، ولذلك لم يحسن جواز العاطف.

وإن كان بينهما مناسبة فيجب ذكر العاطف.

ثم إن كان المحدّث عنه في الجملتين شيئين فالمناسبة بينهما إما أن تكون بالذي أخبر بهما، أو بالذي أخبر عنهما، أو بهما كليهما؛ وهذا الأخير هو المعتبر في العطف.

قال: ونعني بالمناسبة أن يكونا متشابهين، كقولك: (زيد كاتب وعمرو شاعر) أو متضادّين تضادّاً على الخصوص، كقولك: (زيد طويل وعمرو قصير)، وكقولك: (العلم حسن والجهل قبيح)، فلو قلت: (زيد طويل والخليفة قصير) لاختلَّ معنى عند ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة، ولو قلت: (زيد طويل وعمرو شاعر) لاختلَّ لفظاً، إذْ لا مناسبة بين الطويل القامة والشاعر.

وإن كان المحدّث عنه في الجملتين شيئاً واحداً، كقولك: (فلان يقول ويفعل ويضرُّ وينفع، ويأمر وينهى، ويسيء ويحسن)، فيجب إدخال العاطف فإن الغرض جعله فاعلاً لأمرين، فلو قلت: (يقول يفعل) بلا عاطف لتوهّم أن الثاني رجوع عن الأوّل.

وإذا أفاد العاطف الاجتماع ازداد الاشتراك، كقولك: العجب من أنك أحسنت وأسأت، والعجب من أنك تنهى عن شيء وتأتى مثله، وكقوله:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا [1].

فإن المعنى جعل الفعلين في حكم واحد، أي لا تطمعوا أن تروا إكرامنا إيَّاكم يوجد مع إهانتكم إيَّانا.

قال: وقد يجب إسقاط العاطف في بعض المواضع لاختلال المعنى عند إثباته كقوله تعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: 11ـ 12]، فقوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ كلام مستأنف، وهو إخبار من الله تعالى، فلو أتى بالواو لكان إخباراً عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم يفسدون فيختل المعنى، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ قالُوا أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ﴾ [البقرة: 13]، وأمثال ذلك كثيرة؛ وإذا كان كذلك فلا حاجة إلى العاطف بخلاف قوله تعالى: ﴿يُخادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142]، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ [آل عمران: 54]، فإن كل واحدة من الجملتين خبر من الله تعالى) [2].

المبحث الخامس: مواضعُ الوصلِ

ما يحسُنُ فيه الوصل (أي العطف بالواو) يقع في ثلاثة مواضع:

---

(1) . البيت للفضل بن العباس اللهبي كما في شرح كتاب الحماسة لأبي القاسم زيد بن علي الفارسيّ (المتوفى: 467هـ). تحقيق: د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، بيروت 2: 155.

(2) . نهاية الأرب في فنون الأدب 7: 70.

الموضع الأول: إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى أو معنى فقط، ولم يكن هناك سببٌ يقتضي الفصل بينهما وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى، فمثال الخبريتين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13ـ 14]، فيُلاحظ في هاتين الجملتين المعطوفة بالواو والمعطوف عليها توسُّطاً بين كمال الاتِّصال وكمال الانقطاع، وجامعاً يجمع بينهما، فالعلاقة بينهما قانون الجزاء الرَّبَّاني، ذي الصورتين المتضادّتين، لفريقين متضادّين، هما الأبرار والفجَّار، إنَّ عنوان الجزاء عنوانٌ جامع دون اتِّحاد ولا شِبْهِ اتِّحاد، وإنَّ التضادَّ لا يَصِلُ إلى مستوى التابين التامِّ في الفكر، لأنَّ الضدَّ أقربُ خُطُوراً بالبال عن ذكرِ الضدِّ من النظير إلى النظير، فحصلَ بذلك التوسُّط بين الكمالين، والجملتان هما أيضاً خبريتان لفظاً ومعنىً، فحَسُنَ عطفُ التالية على السابقة بالواو.

وكما في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ. وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ. يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: 17ـ 19].

فالجُمَل المَعْطُوفة على سَوَابقها في هذا النَّصِّ لَيْسَ فيها كمال اتصالٍ وَلا شِبْهُه، ولا كمال انقطاع وَلا شِبْهُه، مع وجود جامع يُحَسِّنُ العطف بالواو، إنَّ التسبيحَ مغايرٌ للحمد، لأنَّ معنى (سبحان الله) أُنَزِّه الله عمَّا لا يليق به من صفات، ومعنى: (الحمد لله) أُثْبِت لله كلَّ صفات الكمال التي تقتضي الثناء عليه بها، ومع هذا التغاير فإنَّ بينهما تلاؤماً فكريّاً لأنَّهما متكاملتان حول صفات الله عزَّ وجلَّ، والجملتان هما أيضاً خبريَّتان لفظاً ومعنى، فَحَسُنَ عطف التالية منهما بالواو على السابقة.

وكذلك في الجمل الواردة في الآية (19) إذ عُطِفَتْ الثلاثة الأخيرة منها على الأولى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ لوجود التغاير بينها مع التلاؤم الفكري.

إنَّ إخراج الميت من الحيِّ مغايرٌ لإخراج الحيِّ من الميت وملائم له، إذْ هما مظهران من مظاهر قدرة الرَّبِّ الخالق جلَّ وعلا، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها، وكذلك البعث يوم الدِّين.

فاقتضى التوسُّطُ بين الكمالين مع التلاؤم وكونها جملاً خبرية لفظاً ومعنى عَطْفَها بالواو العاطفة.

ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: 15]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: 36]، وصل جملة ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ بجملة ﴿وَاعْبُدُوا﴾

لاتحادهما في الإنشاء، ولأن المطلوبَ بهما مما يجبُ على الإنسان أنْ يؤدِّيَه لخالقه، ويختصَّه به ومن هذا النوع قول المرحوم شوقي بك:

عالجوا الحِكمة واستشفوا بها ... وانشدوا ما حلَّ منها في السِّير [1]

فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب في أنها مما يتعلق بأمر (الحكمة) وبواجب (الشباب) في طلبها، والانتفاع بها.

ومثال المختلفين، قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: 54].

أي: إني اشهدُ اللّهَ وأشهدُكُم، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية: إنشائية لفظاً، ولكنَّها خبرية في المعنى، ومثل: اذهب إلى فلان، وتقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً، ولكنها إنشائية معنى «أي: وقل له»، فالاختلاف في اللفظ، لا في المعنى المعول عليه، ولهذا (وجب الوصل) وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

الموضع الثاني: دفع توهم غير المراد، وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يُوهم خلاف المقصود كما تقول مجيباً لشخص بالنفي: (لا، شفاه الله) لمن يسألك: (هل برىء عليٌّ من المرض)؟ فترك الواو يُوهم السَّامع الدُّعاء عليه، وهو خلاف المقصود؛ لأن الغرض الدعاء له، ولهذا (وجب أيضاً الوصلُ)، وعطف (الجملة الثانية) الدُّعائية الإنشائية على (الجملة الأولى) الخبرية المصوَّرة بلفظ «لا» لدفع الإيهام، وكل من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الموضع الثالث: إذا كان (للجملة الأولى) محلٌّ من الإعراب، وقصد تشريك (الجملة الثانية) لها في الإعراب حيث لا مانعَ، نحو: (عليّ يقول، ويفعل) [2].

قال الإمام ابن عاشور: (فاعلم أنه يتعين الوصل إذا أريد تشريك الجملة المعطوفة للجملة المعطوف عليها في حكمها في الإعراب، كعطف الجمل المعمولة لعامل واحد بعضها على بعض، أو التشريك في حكمها في المعنى وإن لم يكن للمعطوف عليها محل من الإعراب.

والمراد من الحكم الكيفية الثابتة لمفهوم الجملة المعطوف عليها مثل حكم القصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7]، فقد عطف جملة ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ على جملة

([1]) . الشوقيات لأحمد شوقي. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص 171.

([2]) . انظر: جواهر البلاغة للأستاذ أحمد الهاشمي: 181، البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن الميداني: 436.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾؛ لأن المقصود تشريكها في حكم القصر، إذ المقصود من الجملتين الرد على من اعتقد خلاف ذلك وليس للجملتين محل من الإعراب) [1].

الجامع المسوِّغ للعطف بالواو بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب:

العلاقة الجامعة بين الجملتين فكرةٌ تسوِّغ الربط بالواو، وهذه الفكرة تُنْتَزَعُ من أركان الإسناد بين الجملتين وتوابع هذه الأركان، وليس باستطاعة الباحث أن يملك ضوابط محدَّدَةً للصُّور التي يُلاَحَظُ فيها الجامع المسوِّغ للعطف، يميِّزها عن الصور الأخرى التي يكون الجامع فيها ضعيفاً لا يحسُنُ معه العطف بالواو لدى أذكياء البلغاء.

وقد حاول السَّكّاكي مستفيداً من دراساته المنطقيّة والفلسفيَّة الواسعة، أن يقدِّم تصنيفاً للكليَّات التي يمكن أن يندرج تَحْتَها الجامع، فرأى أنَّ الجامع، إمَّا أن يكون عقليّاً، أو وهْميّاً، أو خيالياً.

فالجامع العقلي: له عدة صُوَر وأشكال، منها:

(1) أن يتَّحد في الجملتين واحدٌ فأكثر من المسند إليه، والمسند، وقيودهما.

(2) أن يتماثل في الجملتين واحدٌ فأكثر من المسند إليه، والمسند، وقيودهما، والتماثل هو التشابه، وهو غير الاتحاد.

(3) أن تربط بين الجملتين العلاقة التي تُسَمَّى في الفلسفة مقولة (الإضافة) وهي التي يرتبط فيها فهم الشيء بفهم شيء آخر، مثل العلاقة بين الأُبُوَّة والنُّبُوة، والعلاقة بين العلة والمعلول، والسبب والمسبّب، والأسفل والأعلى، والأقل والأكثر، والبيع والشراء، والشريك مع شريكه، إلى غير ذلك.

والجامع الوهمي: هو أن تتواصل الجملتان ببعض عناصرهما عن طريق القوة الواهمة في الذهن.

(1) فمنه أن يكون بينهما شبه تماثل، إذ الوهم من شأنه أنْ يرفع شبيه المتماثلين إلى مرتبة المتماثلين ويجمع بينهما لتقاربهما.

مثل أن يجمع بين الأبيض والأصفر لأنهما يشبهان المتماثلين، ومثل أن يجمع بين شديد الخضرة والسَّواد.

---

[1]. موجز البلاغة: 27.

(2) ومنه أن يكون بينهما تضادّ، كالسَّواد والبياض، والإيمان والكفر، والضحك والبكاء، والقيام والقعود، إذ من شأن القوة الواهمة أن تجمع بين الأضداد.

(3) ومنه أن يكون بينهما شبه تضاد، كالسَّماء والأرض، والسهل والجبل.

الجامع الخيالي: هو أن تتواصل الجملتان ببعض عناصرهما عن طريق (المخيّلة) في الذهن، لأنَّ الذهن يؤلف ويجمع بين المتقارنين في الخيال لأسباب مختلفة، كالقلم والقرطاس، والعقد والجيد، والمعصم والسوار، والخاتم والإصبع، والغراب والسواد، إلى غير ذلك.

محسنات الوصل بالعطف بالواو:

إضافة إلى الجامع المسوِّغ للعطف بالواو بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب توجد مُحَسِّنات تُحَسِّن هذا الوصل، ومن هذه المحسنات ما يلي:

(1) أن تكون الجملتان اسميتين.

(2) أن تكون الجملتان فعليتين، ويزيد في الحسن أن يكون الفعل في كلٍّ منهما ماضياً، أو مضارعاً.

هذا إذا لم يوجد داعٍ فكري يقتضي خلاف ما سبق من محسنات، فالدَّاعي الفكريُّ هو الأحقُّ بالمراعاة دواماً، إذا كانت قواعد العربية تَسْمَحُ بذلك [1].

المبحث السادس: أنواعُ الوصلِ بالنسبةِ إلى المفردِ والجملةِ

الفصل والوصل بين عناصر الجملة الواحدة:

يُراد بالوصل الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف، ويراد بالفصل عدمُ الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف.

وأجزاء الكلام قسمان:

القسم الأوَّل: (المفرد) ويراد به هنا ما يُقَابل الجملة، وهو الذي لا تتحقَّق به وحْدَةُ الفائدة من عناصر الجملة.

القسم الثاني: (الجملة) وهي القول المفيد معنىً تامّاً مُكْتَفِياً بنفسه.

والجملة تتألف من العناصر التالية:

1ـ المسند إليه.

---

(1) . انظر: البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن الميداني: 436.

2ـ المسند.

3ـ الإسناد الذي لا يُصَرَّحُ به في اللفظ.

4ـ ما يتعلَّق بواحد ممَّا سَبق من توابع وأدواتٍ إنْ وُجِدَتْ.

والعنصر من عناصر الجملة: إمَّا أنْ يكون عُنصُراً بسيطاً غير مُرَكّب.

وإمّا أن يكون عُنْصراً مُرَكَّباً، (وما تركَّبَ منه هذا العنصر من أجزاء قد صار بالتركيب جزءاً واحداً فلا تُوصَلُ بحرف عطف).

وينقسم العنصر المركب إلى سبعة أقسام:

القسم الأول: (المركَّب الإضافي) مثل: (كتابُ اللهِ) (صَلاةُ الجُمعَةِ) (رأسُ الحكمةِ) (بَابُ العِلمِ).

ومعلوم أنَّه لا عطف بين المضاف والمضاف إليه، لأنَّهما صارَا بالتركيب الإضافي بمثابة الكلمة الواحدة، ذات الأجزاء الملتحمة، والإضافةُ على تقدير حرف جرٍّ بين المضافِ والمضاف إليه.

القسم الثاني: (المركَّبُ الوصْفيُّ) مثل: (الرَّجُلُ العَالِمُ زَارَني)، (أكلتُ طعاماً طيِّباً) ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ [الإنسان: 21].

ومعلوم أنَّهُ لا عطف في الأصل بيْنَ النَّعْتِ والمنعوتِ به؛ لأنَّ الصفة جزءٌ من الموصوف فهما متشابكان، فلا معنى لعطف الصفة على الموصوف بها، إذ العطفُ في أصل معناه يقتضي التغايرُ، وكيفي للدلالة على كونها صفة إتباعها للموصوف بها في الإعراب ضمن الشروط المبينة عند النحويين.

القسم الثالث: (المركَّبُ التَّوكيديُّ) مثل: (حضر الضيوفُ كلُّهم)، ﴿فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون﴾ [الحجر: 30].

ومعلوم أنّه لا عطف بين المؤكَّد والمؤكِّدِ به؛ لأنَّ المؤكِّدَ بهِ محقِّقٌ للمرادِ من المؤكَّد، فهما بمثابة شيءٍ واحدٍ، فلا معنى للعطف بينهما، والتوكيد تابع من التوابع.

القسم الرابع: (المركَّب البَدَليُّ) سواء أكان بدلاً مطابقاً، أوْ بدلَ بعضٍ من كلٍّ، أو بدَلَ اشتمال، أو بدلاً مُبَايناً، مثل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 6ـ 7] (في البدل المطابق) ـ ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قليلاً. نِصْفَهُ أو انْقُصْ منه قليلاً. أو زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: 2ـ 4] (في بدل البعض من الكُلِّ) ـ (أفادني الشيخ عِلْمُه) (في بدل الاشتمال) ـ (نَاوِلْني كتابَ النحو كتابَ اللُّغَةِ) (في البدل المباين) وهكذا..

ومعلوم أنَّه لا عطف بين البدل والمبدَلِ منه إذ المراد أن يَحُلَّ البدلُ مكان المُبْدَل منه، والعطف يقتضي اجتماعهما.

القسم الخامس: (المركَّب البيانيُّ) وهو ما يكون الجزء الثاني منه معطوفاً على الأوَّل عطف بيان، مثل: أقسم باللهِ أبو حفْصِ عُمَرُ.

ومعلم أنه لا تتوسط أداة عطف بين البيان والمبيَّنِ، إذْ هُمَا: إمَّا بمثابة المركَّب الوصفيِّ، أو بمثابة المركَّب البَدَلِيِّ.

القسم السادس: (المركَّبُ المزجيُّ) مثل: (بعلبَكّ ـ حَضْرَمَوْت ـ مَعْدِيكَرِبَ) ونحو ذلك.

ومعلومٌ أنَّ المركَّب المزجي هو في الحقيقة كلمةٌ واحدة يُلاحَظُ في لفظها أصلُها قبل أن تمتزج عناصرها في كلمة واحدة.

القسم السابع: (الأسْماءُ المركبة من أكثر من كلمة) مثل: (عبد الله) (شابَ قرناها) (ذو نُوَاس) (ذو الخُوَيْصِرَة) ونحو ذلك.

ومعلوم أنَّ الأعلام المركبة من كلمتين فأكثر صارت بالنقل إلى العملية كلمةً واحدة جديدة، تُقال كما كانت قبل النقل إلى العلميَّة، وكذلك الألفاظ المتعدِّدة التي تُطْلَق بهيئتها التركيبيَّة على أشياء إطلاقَ النكرات على أجناسها وأنواعها.

القسم الثامن: (المركَّبُ العدديُّ) مثل: (أَحدَ عشر ـ ثلاثَةَ عشر). والمركب العددي هو بمثابة كلمة واحدة كانت كلمتين، وكان ينبغي عطف الثانية منهما على الأولى بحرف العطف، إلَّا أنَّه اسْتُغْنِيَ عن حرف العطف بينهما باعتبارهما قد صارتا مُرَكَّبَتَيْنِ تركيبَ كَلِمَةٍ واحدة [1].

ولا بد هنا من معرفة الاحتمالات الواردة على المفرد، وكذلك على الجملة التي لها محل من الإعراب.

(الاحتمالات التي يتعرَّض لها (المفرد) وكذلك (الجملة التي لها محل من الإعراب):

(المفرد) المقابل للجملة (ومثله الجملة التي لها محلٌّ من الإعراب إذ هي مؤوَّلة بالمفرد) لا يخلو عن أن يكون واحداً من الاحتمالات التاليات:

الاحتمال الأوَّل: أنْ يكون حرفاً من المعاني أو من الحروف التي تُزاد للتأكيد، في أي موقع من مواقع الجملة.

([1]) . انظر: البلاغة العربية للميداني: 557.

ومن الملاحظ أنَّ الحرف يدخل في الجملة كالجزء من العنصر الذي دخل قبله، كحرف النفي، وحرف الجرِّ، وحرف التوكيد، والجزء من العنصر الذي التحق به، كنون التوكيد، ونون الوقاية.

فالحرف بطبيعته ملتحم أو شبه ملتحم بالعنصر الذي دخل عليه أو التحق به من عناصر الجملة، ولهذا كان بطبيعته لا يحتاج وصلاً بحرف عطفٍ بداهةً.

الاحتمال الثاني: أنْ يأتي العنصر في صدر الكلام، وهذا بطبيعة حاله لا يُلاحَظُ وصْلُه بشيء قبله حتى يدخل عليه حرف عطف، إلَّا أن يُسْبَق بكلامٍ مُقَدَّرٍ ذِهْناً، فقد يكون للمقدّرات الذهنيَّة اعتبارات تُلاحظُ في المنطوق من الكلام، مثل:

قَالَتْ بَنَاتُ العَمِّ يَا سَلْمَى وإنْ ... كَانَ فَقِيراً مُعْدِماً قَالت: وَإِنْ

الاحتمال الثالث: أن يكون خبراً لمبتدأ أو لما كان مبتدأ، كاسم (كان) واسم (إنَّ).

ومعلومٌ أنَّ الرابط بين المبتدأ والخبر رابط معنويٌّ هو الإسناد الذي يجعل المُسْنَدَ وصفاً من جهة المعنى للمسند إليه في الإيجاب، أو نفي ذلك في السلب، ودليل الإسناد مع المعنى علامةُ الإعراب.

الاحتمال الرابع: أن يكون فاعلاً، والرابط بين الفعل أو ما يعمل عمله وبين الفاعل رابط معنوي، وهو الإسناد الذي يجعل المسند وصفاً من جهة المعنى للمسند إليه في الإيجاب، أو نفي ذلك في السلب، ودليله مع المعنى علامة الإعراب.

الاحتمال الخامس: أن يكون مفعولاً به واحداً أو أكثر إذا تعدَّدت المفاعيل. والرابط بين الفعل أو ما يعمل عمَلَهُ وبين المفعول به رابط معنويٌّ أيضاً مُشْتَقٌّ من الإسناد، ودليله مع المعنى في الجملة علامةُ الإعراب، ويُلْحَقُ بالمفعول به المجرورُ بحرف جرٍّ؛ لأنَّ تعدية الفعل إلى المفعول به إمَّا أنْ تكون بغير أداة، أو بأداة حرف الجرِّ سواء أكان لمجرَّد التعدية، أو لإضافة معنى يدلُّ عليه حرفُ الجرِّ.

الاحتمال السادس: أن يكون مفعولاً فيه (ظَرْفَ زمانٍ أو ظرفَ مكان)، والرابط بين الفعل أو ما يعمل عمله وبين المفعول فيه رابطٌ معنويّ أيضاً مشتقٌّ من الإسناد، وهو رابط يدخل في عموم رابط المفعول به، ودليله مع المعنى علامة الإعراب، وهو على تقدير حرف الجرِّ (في) فلمَّا حُذِف نُصِبَ الاسم الذي كان مجروراً به، وأُلْحِقَ بالمفاعيل.

الاحتمال السابع: أن يكون مفعولاً مطلقاً، وهو في الحقيقة كالجزء من عامله، فهو لا يحتاج ربطاً بحرف عطف؛ لأنَّ الربط بحرف العطف يقتضي في الأصل التغاير، وهذا جزء مكمِّلٌ للعامل به، لا مغاير له، وحركته الإعرابيَّة النصب؛ لأنه يدخل في عموم المفاعيل.

الاحتمال الثامن: أن يكون مفعولاً لأجله، وهو في الحقيقة على تقدير حرف علة، ولو كان مصرَّحاً به في اللفظ لكان جارّاً؛ لأنه من حروف الجرِّ، فلما حذف نُصِبَ الاسم الذي كان مجروراً به وأُلْحِقَ بالمفاعيل.

الاحتمال التاسع: أن يكون مفعولاً معه، مثل: (سِرْتُ والجبَلَ)، إنَّ مثل هذا التعبير الَّذِي يُفِيدُ المعيَّةَ والمصاحبة أَصْلُهُ: سِرْتُ مع الجبل، أي: مصاحباً لأجزاء الجبَلِ في مسيري، فلمَّا وُضِعتِ الواو التي من معانيها المعيَّة بدلَ (مع) والواو ليست اسماً حتَّى تُعتَبَر مضافةً إلى ما بعدها، نُصِبَ ما بعدها إلحاقاً له بالمفاعيل، ولأنَّ واو المعية هذه يُمْكِنُ أنْ يُعَبَّرَ عنها بالحال، فيقال: سِرْتُ مصاحباً الجبلَ، فألْقِيتْ حركة النصْب على المفعول معه.

فالواو في المفعول معه ليست في الحقيقة حرْف عطف، والكلام لا وصل فيه.

الاحتمال العاشر: أن يكون تمييزاً، ومعلومٌ أنَّ التمييز هو والمميَّز شيءٌ واحد، فلا يُعْطَفُ عليه بحرف عطف، لأنه في الحقيقة بيانٌ له، والتمييز:

إمَّا منصوبٌ على تقدير حذف حرف (مِنْ) الجارَّة، مثل: (اشتريتُ عشرين كتاباً) إذ المعنى اشتريت عشرين من الكتب، وتعليل النصب هنا كتعليل النصب في المفعول فيه والمفعول لأجله.

وإمَّا مجرورٌ بالإضافة، مثل: (ثلاثةُ رِجالٍ وعَشْر نِسْوَةٍ) وهذا يدخل في عموم المضاف إليه.

وطبيعيٌّ أن لا يحتاج التمييز إلى الوصل بحرف العطف.

الاحتمال الحادي عشر: أن يكون منادىً، وهو في الحقيقة بمثابة المفعول به؛ لأنَّ أداة النداء نائبة مناب (أدعو) أو (أُنَادي).

الاحتمال الثاني عشر: أن يكون مستثنى، وهو في الحقيقة على وجهين:

إمَّا أن يكون بمثابة المفعول به؛ لأنَّ أداة الاستثناء (إلَّا) نائبه مناب (أستثني).

وإمَّا أن يكون ما بعد أداة الاستثناء معمولاً لما قبلها، ويكون هذا في الاستثناء المفرَّغ.

وفي كلٍّ من الوجهين لا يحتاج المستثنى إلى الوصل بحرف عطف.

الاحتمال الثالث عشر: أن يكون حالاً مفرداً غير جملة، والحال في الحقيقة صفة لصاحبها، وهي مع صاحبها كالصفة مع الموصوف، فهي كالجزء منه، فلا تُعْطَفُ عليه بحرف عطف.

الاحتمال الرابع عشر: أن يُرادَ إدْخال عُنْصرٍ في الجملة شريكاً لأحد العناصر السابقة في الحكم، استغناءً بذلك عن تكرار الجمل.

والوسيلة لذلك في معظم الأحوال الوصل بالعطف بحرف من حروف العطف حسب اقتضاء المعنى) [1].

وينبغي ملاحظة معاني حروف العطف، وشروط العطف بها، على ما فصَّله النحويُّون واللّغويُّون.

وهذه إجمال معاني حروف العطف:

(1) (الواو) لمطلق الجمع فلا تقتضي بأصل الوضع ترتيباً ولا تعقيباً.

(2) (الفاء) للترتيب مع التعقيب حقيقةً أو مجازاً.

(3) (ثُمّ) للترتيب مع التراخي حقيقةً أو مجازاً.

(4) (حتَّى) لانتهاء الغاية.

(5) (بل) وتأتي على وجهين:

الوجه الأول: للإضراب والعدول عن شيءٍ إلى آخر بعد كلامٍ مثبت خبراً كان أو أمراً.

الوجه الثاني: للاستدراك بمنزلة (لكن) إذا وقعت بعد نفي أو نَهْي.

(6) (لكن) للاستدراك.

(7) (لا) بعد المثبت، وهي تفيد تأكيد إثبات الحكم لما قبلها، ونَفْيَهُ عمَّا بعدها.

(8) (أم) وتأتي على وجهين:

الوجه الأول: (أَمْ) المتصلة، وهي الّتي يكون ما بعدها متَّصِلاً بما قَبْلَها، ومشاركاً له في الحكم، وتقع بعد همزة الاستفهام مثل: (أعليٌّ في الدار أمْ خالد)؟ أو بعد همزة التسوية، مثل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6].

وسُمِّيتْ متّصلة لأنَّ ما قَبْلها وما بَعْدها لا يُسْتَغْنَى بأحدهما عن الآخر.

الوجه الثاني: (أَمْ) المنقطعة، وهي التي تكون لقطع الكلام الأوَّل واستئناف ما بَعْدَه، ومعناه الإضراب، مثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [الرعد: 16].

---

(1) . البلاغة العربية للميداني: 560.

هذه هي القاعدة العامَّة فيما يراد جعله شريكاً لعنصر من عناصر الجملة التي سبق بيانُها، باستثناء تعدُّد الأخبار، وتعدُّد الصفات أو تعدُّد الأحوال.

أمَّا القاعدة بالنِّسبة إلى تعدُّد الأخبار:

فإذا جاء في الجملة أخبارٌ متعدِّدة لمُبتَدأ أو لما أصله مبتدأ فإذا كان الخبران متكاملين فيما بينهما ومفردَيْن، وهما بقوَّة الخبر الواحد، لم يَجُزْ عطفُ الثاني على الأول، مثل: (هذا الرُّمَّان حُلْوٌ حامض)؛ لأنهما بمعنى خبَرٍ واحدٍ تقديره: (مُزّ).

والأصل عند تعدُّد الأخبار إذا كان اللَّاحق مفرداً لا جملة، أَنْ لا يُعْطَفَ اللَّاحِقُ منها على السَّابق، مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ. ذُو العَرْشِ المَجِيدُ. فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 14ـ 16].

ويجوز عطف بَعْضِها على بعضٍ لدى ملاحظة غَرَضٍ بلاغيٍّ خاصٍّ يدلُّ عليه العطف، فتقول مثلاً: (عليُّ بْنُ أبي طالبٍ شجاعٌ ذُو بأسٍ لا تَلِينُ له قناةٌ، وعَالِمٌ وَبليغ، وذُو بَصَرٍ في الأَقْضِية، حتَّى قيلَ: قضيَّةٌ ولا أبا حَسَنٍ لها).

أمّا إذا كان اللَّاحق جُمْلةً فيأتي موصولاً بحرف العطف، مثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: 13].

وأما القاعدة بالنسبة إلى تعدُّد الصفات:

فإذا كان الموصوف لا يتعيَّن إلَّا بعدد من الصفات فيجب إتباعُها وعدم عطف بعضها على بعض.

وإذا كان الموصوف لا يحتاج إلى تعيين أو كان يتعيَّن ببعضها فقط، فما يتحقَّقُ به تعيينُ الموصوف منها فإنَّهُ يُذْكَرُ دون توسط حرف عطف، وأمَّا سائر الصفات فيجوز فيها وجهان:

الأول: أن تذكَرَ توابع بلا عطف، وهو الأصل، مثل: (بسم اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم). ﴿للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

الثاني: أن تُذكَرَ معطوفةً، وينبغي أن يُلَاحظ في العطف غرضٌ بلاغيٌ؛ لأنَّ الأصل في النعوت أن تأتي تَوابعَ دون أن تُوصَلَ بحرف عطف.

ومما جاء من ذلك معطوفاً لغرض بلاغي قول الله عزَّ وجلَّ حكاية لمقالة إبراهيم لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: 75ـ 82].

فعطف الصفات للتأكيد على أنَّ كلَّ واحدةٍ منها كافيةٌ لعبادة الرَّبِّ وحده.

ومنه أيضاً قول الشاعر:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمَامِ ... وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمِ

القَرْمُ: السيّد المعظَّم.

الهُمَامُ: السيّد الشجاع السَّخِيُّ من الرِّجال، والأسد.

فعطَفَ الصِّفاتِ مع أنَّ الأصل عدمُ عطفها، ليَلْفِتَ النظر إلى أنَّه مع كونه ملكاً قَرْماً هو ابْنُ سيِّدٍ شجاع سخي، وهو أيضاً شجاعٌ كالأسد.

ومن الصفات المتعدِّدة التي اجتمع فيها الفصل والوصل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿حم. تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ. غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر: 1ـ 3].

إنَّ صفات (العَزِيزِ العَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ) جاءت منفصلة دون حرف عطف كما هو الأصلُ في الصفات.

وبعدها جاءت: (وَقَابِلِ التَّوْبِ) صفة معطوفة بالواو على خلاف الأصل لغرضَ بلاغي، وهو فيما أرى دفع توهُّم المطابقة بين غُفْرانِ الذّنْبِ وقبول التوبة، فغفرانُ الذَّنْب قد يكون دون أن يتوبَ المذنِبُ من ذنبه، بل يسأل اللهَ الغفران فقط، أمَّا قبولُ التوبةِ، بمعنى رجوع اللهِ إلى التائب من عباده بفيوضاتِ عطاءاته التي يُعْطِيها المتقين إذا كان منهم، أو الأبرار أو المحسنين إذا كان منهم، فهو شيءٌ آخر غير غفران الذنب.

وعاد النص بعد هذا إلى ذكر سائر الصفات دون عطف، وهذا من بدائع القرآن العظيم [1].

فالوصل قد يكون بين المفردات، وقد يكون بين الجملة والمفرد، وقد يكون بين الجملة والجملة.

1ـ الوصل بين المفردات:

وصل القرآن الكريم بأدوات الربط، ولم يقتصر على حروف العطف، وقد وصل القرآن الكريم بين المفردات (بالواو) كقوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]، و(بالفاء) في قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾ [الصافات: 1ـ 3]، وبـ (أو) كقوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً، عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾ [المرسلات: 5ـ 6]، وبـ (أم) المتصلة كقوله

---

(1) . انظر: البلاغة العربية للميداني: 563.

تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39]، وبحروف الجر مثل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء: 1]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ [البقرة: 48]... إلخ.

وقد توقف الجرجاني عند (إنَّ) التي تغني غناء الفاء العاطفة، وضرب أمثلة عديدة من القرآن الكريم منها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1]، وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: 17] وغيرها [1].

وتوقف أيضاً عند الوصل بـ (الذي) ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، كما اجتلب الحرف (ذو) ليتوصل إلى الوصف بأسماء الأجناس: نحو: (مررت بزيد الذي أبوه منطلق)، ونحو: (مررت برجل ذي مال) [2].

وتوقف الزمخشري عند حرف الجر (على) و(لام الجر) و(إلى) و(قد) و(ربما) وأداتي الشرط (إن) و(إذا).

والمتتبع لمعاني أدوت الربط في القرآن يلحظ ظاهرة جديرة بالدرس، وهي أن الأداة بمعناها العام حيث تربط بين معنيين أو تفصل بينهما تكتسب معنى جديداً إضافياً، مما نستطيع معه أن نحدد المعنى الأصلي للأداة ـ بلا اطراد ـ والمعاني الإضافية التي اكتسبتها من وصلها أو قطعها. يقول الزركشي في الكلام على المفردات من الأدوات: (..وَلِهَذَا تَوَزَّعَ الْكَلَامُ عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهَا ـ أي مواقع الحروف ـ، وَتَرَجَّحَ اسْتِعْمَالُهَا فِي بَعْضِ المَحَالِّ عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ مُقْتَضَى الحَالِ) [3]، وقد امتلأت كتب معاني الحروف والنحو والتفسير باجتهادات العلماء في هذا المضمار.

فمثلاً (الواو) يقول فيها الزركشي: الواو حرف يكون عاملاً وغير عامل، فالعامل قسمان: جار وناصب... وأما الواو غير العاملة فلها معان: الأول: وهو أصلها العاطفة تشرك في الإعراب والحكم، وهي لمطلق الجمع على الصحيح، ولا تدل على أن الثاني بعد الأول، بل، قد يكون كذلك وقد يكون قبله وقد يكون معه، فمن الأولى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1ـ 2]، فإن الإخراج متأخر عن الزلزال، وذلك معلوم من قضية الوجود

---

(1) . انظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، للجرجاني. ص 313.

(2) . انظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، للجرجاني. ص 199.

(3) . البرهان في علوم القرآن للزركشي 4: 175.

من (الواو)، ومن الثاني: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: 43]، والركوع قبل السجود، ولم ينقل أن شرعهم كان مخالفاً لشرعنا في ذلك... إلخ، والمعنى الثاني: واو الاستئناف: وتسمى واو القطع، والثالث: واو الحال: كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]، والرابع: للإباحة: نحو، جالس الحسن وابن سيرين لأنك أمرت بمجالستهما معاً، وعلى هذا أخذ مالك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: 60]، والخامس: واو الثمانية: نحو قوله تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: 7]، والسادس: للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: 4]، بدليل الآية الأخرى فالمعنى الأصلي للواو، كما يقرر الزركشي وغيره، أن تكون عاطفة تشرك في الإعراب والحكم وهي لمطلق الجمع، أما المعاني الإضافية فتلك التي اكتسبتها من وصلها بين مفردين أو جملتين أو فصلها بينهما [1].

2ـ الوصل بين الجملة والمفرد:

وصل القرآن بين الجملة والمفرد، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: 19]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ [الحديد: 18]، وكذا قوله تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾ [العاديات: 3ـ 4]، وغيرها.

3ـ الوصل بين الجملة والجملة:

وصلهما القرآن الكريم بالعديد من الروابط، وصلهما (بالفاء)، و(ثم)، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: 21ـ 22]، وبـ (أو)، قال تعالى: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ [المائدة: 33]، وبـ (أم) المتصلة، قال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ، أَمْ أَمِنْتُمْ﴾ [الملك: 16ـ 17]، وبـ (أن) ناصبة المضارع، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: 52]، و(أن) المخففة من الثقيلة، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ [المزمل: 20]، وهي في ربطها أضيفت إليها معان أخرى، وكذا (أن) وتكون للتوكيد كالمكسورة المشددة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ﴾ [فصلت: 39]، وتأتي بمعنى لعل، و(إن) الشرطية، نحو ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنفال: 29]، و(إذاً): وتدل على إنشاء السببية والشرط بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها نحو قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: 91]، ومثلها (إذا): الشرطية، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: 45]، و(من): نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾

---

(1) . انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 4: 435.

[الأنعام: 160]، و(ما): نحو: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: 2]، و(مهما): نحو: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 132]، و(أي): نحو: ﴿أَيّاً مَا تَدْعُو فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110]، و(أينما): نحو: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ المَوْتُ﴾ [النساء: 78]، و(لو) نحو: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 176]، و(لولا): نحو: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: 31]، و(قد): وتأتي للتوكيد إذا دخلت على المضارع، قال الزمخشري عن (قد) في قوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: 5]: (معناه التوكيد، كأنه قال: وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه) [1].

وكذا وصل القرآن بين عدة جمل، كقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا المَوْؤودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ، وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: 1ـ 14]، وقوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبّاً، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً..﴾ [عبس: 25ـ 27].

الوصل بين مجموع جمل ومجموع جمل أخرى:

وإليه أشار الجرجاني بقوله: (فأمرُ العطفِ إذاً موضوعٌ على أنَّك تَعْطِفُ تارةً جملةً على جملةٍ، وتَعْمِد أخرى إلى جُملتين أو جملٍ بعضاً على بعضٍ، ثم تعْطفُ مجموعَ هذي على مجموع تلك) [2].

وأشار أيضاً إلى جمل الشرط المعطوفة على جمل الجزاء بقوله: (ويَنْبغي أنْ يُجْعَل ما يُصْنَعُ في الشرطِ والجزاءِ من هذا المعنى أصلاً يُعْتَبرُ به.

وذلك أنَّك تَرى، متى شئتَ، جملتين قد عطفت إحداهما على الأخرى، ثم جَعلنا بمجموعِهما شرْطاً، ومثالُ ذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ [النساء: 112]، الشرطُ كما لا يخفَى في مجموعِ الجملتين لا في كلِّ واحدةٍ منهما على الانفراد، ولا في واحدةٍ دونَ الأخرى، لأنَّا إنْ قلنا إنه في كل واحدة منهما على الانفرادِ، جعلناهُما

---

(1) . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 4: 524.

(2) . دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني ص 245.

شَرْطين، وإذا جعلناهُما شرطينِ اقتضَتا جَزَاءَيْن، وليس منه إشراكُ ما ليس بشرطٍ في الجزم بالشرط، وذلك ما لا يخفى فسَادُه) [1].

وكما تربط أيضاً بين أداة الربط وبين مجموع جمل ومجموع جمل أخرى، تربط أيضاً بين عناصر القصة، أو تربط بينها وبين ما يشبهها في المضمون أو الهدف، ليتحولا إلى قصة طويلة متعددة الأجزاء، ففي سورة البقرة عطف قصة المنافقين من أول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 9]، إلى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة: 20] على قصة الذين كفروا، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 6] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7]؛ لأن المنافقين جبناء يظهرون غير ما يبطنون، فلا يناسبهم في المقام إلا أن يعطفوا بقصتهم على قصة الكفار، وبهذا تصير القصتان قصة طويلة لها جزآن [2].

قال الإمام ابن عاشور: (ومن أنواع الوصل: عطف طائفة من الجمل على مجموع طائفة أخرى، بحيث تعطف قصة على قصة، أو غرض على غرض في الكلام، فلا تلاحظ إلا المناسبة بين القصة والقصة، والغرض والغرض، لا بين أجزاء كل من القصتين حتى إذا وليت الجملة الأولى من القصة المعطوفة إحدى جمل القصة المعطوف عليها لا يتطلب وجه لتلك الموالاة لأنها موالاة عارضة، وهذا نحو عطف قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [البقرة: 25] إلخ، على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة: 23]؛ لأن قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ مسوق لبيان عقاب الكافرين وقوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ مسوق لبيان ثواب المؤمنين، ونظيره من عطف المفردات قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]، فإنه لو قصد عطف الظاهر على الآخر لم يحسن، وإنما القصد عطف وصفين متقابلين على وصفين متقابلين وكلها لموصوف واحد.

عطف الإنشاء على الخبر وعكسه: منع بعض علماء العربية عطف الإنشاء على الخبر وعطف الخبر على الإنشاء، والحق أن ذلك ليس بممنوع، وهو كثير في الكلام البليغ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ.

---

(1) . دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني ص 245.

(2) . انظر: الفصل والوصل، منير سلطان: 182.

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ. وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ. وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾ [ص: 17ـ 21] عطف ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ على أخبار داوود.

واعلم أنه قد يخالف الظاهر فيؤتى بالوصل في مقام الفصل وبعكسه، لقصد دفع إيهام ينشأ عن ارتكاب مقتضى الظاهر، كما جاء الفصل في قول الشاعر الذي لم يعرف:

وتظن سلمى أنني أبغي بها ... بدلاً أراها في الضلال تهيم

كان الظاهر عطف جملة (أراها) لكنه فصلها لئلا يتوهم السامع أن ذلك مما تظنه سلمى، فالوصل سبب منع منه مانع.

وكما جاء الوصل في نحو قولهم: (لا وأيدك الله)، فإنَّ الظاهرَ الفصلُ؛ لأنَّ الجملتين غيرُ مشتركتين في الحكم ضرورة أن أحدهما خبر والأخرى إنشاء، فقد وجد مانع الوصل ولكنه خلفه مقتض، إذ لو فصل لتوهم الدعاء بنفي تأييده) [1].

وقال ابن عاشور: (وحقُّ الجمل إذا ذكر بعضها بعد بعض أن تذكر بدون عطف؛ لأنَّ كلَّ جملةٍ كلامٌ مستقلٌّ بالفائدة، إلا أنَّ أسلوبَ الكلامِ العربي غلب فيه أن يكون متصلاً بعضه ببعض بمعمولية العوامل والأدوات أو بالإتباع أو بالعطف، فلا تذكر جمل الكلام ولا كلماته تعداداً إلا في الواقع التي يقصد فيها التعداد، نحو قوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ. فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 12ـ 13]، أو في حكاية المحاورات نحو ﴿قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: 69]، وقولنا: (سئل فلان أجاب)، أو إملاء الحسبان، نحو (واحد اثنان)، أو قصد إظهار انفصال الجمل واستقلالها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو العَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ. يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: 15ـ 16].

أو في مواقع الفصل الآتية:

فعطف الجمل إما بالواو المقتضية لأصل التشريك في الحكم المتكلم فيه، وإما بحرف آخر يدلُّ على معنى زائد على التشريك أو على ضد التشريك إذا وجد معنى ذلك الحرف، نحو (الفاء وحتى وأو وبل).

وهذا الأصل الذي أشرت إليه يعدل عنه لأحد أمرين: لمانع يمنع منه، أو لشيء يغني عنه.

---

[1]. موجز البلاغة لابن عاشور: 24.

ثم شرط صحة العطف مطلقاً في المفردات والجمل وبالواو وبغيرها: وجود المناسبة التي تجمع الجملة المعطوفة والجملة المعطوفة عليها في تعقل العقول المنتظمة بحسب المتعارف عند المتكلمين بتلك اللغة.

وهاته المناسبة لا تعدو التماثل أو التضاد أو القرب من أحدها، نحو (زيد يكتب ويشعر)، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: 7] إلى قوله: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأنَامِ﴾ [الرحمن: 10]، بخلاف نحو (زيد يكتب وينام. ويعطي وينظم الشعر. وخرجت من السوق وأبدع امرؤ القيس في شعره). وإن كان كل ذلك كلاماً صادقاً حتى كان العطف في المقام الذي لا توجد فيه المناسبة مؤذناً بمقصد كمقصد التشبيه في قول كعب: (أن الأماني والأحلام تضليل)، فإن الكلام على مواعيد سعاد وأمانيها ولا كلام على الأحلام، فلما عطف الأحلام على الأماني علمنا أنه قصد تشبيه أمانيه الناشئة عن دعواها بالأحلام في اللذاذة وعدم التحقق، وهذا وجه الاحتراز فيما مضى بقولي: (المنتظمة بحسب المتعارف)، وقد يكون التناسب موهوماً ومجرد دعوى في المقامات الشعرية واللطائف كقوله:

ثَلاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيا ببَهْجَتِها ... شَمْسُ الضُّحَى، وأَبو إِسْحقَ، والقَمَرُ

وقد يكون التناسب غريباً تابعاً لتناسب شيئين آخرين كقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: 6]، فإن التناسب أوجده ما يأتي بعده من قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: 7] وقوله: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ [الرحمن: 10]؛ لأن النجم من توابع السماء والشجر من توابع الأرض، ثم يكفي في هذه المناسبة التقارن في الغرض المسوق له الكلام.

ولهذا كان العطف بـ(الفاء وثم وحتى) أوسع في هذه المناسبة المشروطة؛ لأنَّ الترتيبَ أو المهلة أو الغاية كلها مناسبات كافية لتصحيح العطف؛ لأنها دالة على التقارن في الوجود.

وهذا التقارن مهيء للمناسبة ومسوغ للعطف، لكنه يزداد حسناً إذا قوي التناسب، ولذا كان أصل الفاء التفريع ما لم تبعد المناسبة، ألا ترى كيف حسن العطف في قول عمرو بن كلثوم:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيافِ مِنَّا ... فَعَجَّلْنا القِرَى أَن تَشْتِمُونا

وكيف يقبح العطف بالفاء لو قلت: (جاء زيد فصفعوه)، ويزيد قبحاً لو قلت: (جاء زيد فنهق الحمار)، لبعد المناسبة، وكيف يحسن أن تقول: (طلع الفجر فأذن المؤذن).

وقول ابن زمرك:

هبَّ النسيم على الرياض مع السحر ... فاستيقظت في الدوح أجفان الزهر

ويكون دونه حسناً (طلع الفجر فصاح الديك)، وكيف يقبح أن تقول: (طلع الفجر فاستيقظ زيد)، إذا لم يكن الحديث قبل ذلك على زيد) [1].

المبحث السابع: الفصلُ والوصلُ بين الجملِ التي لا محلَّ لها من الإعراب

يقسِّم السكاكي الجمل إلى قسمين: (جمل لها محل من الإعراب) وأخرى (لا محل لها من الإعراب)، ويبين أنَّ عطف جملة على ما لها محل من الإعراب ليس مشكلاً، إنما المشكل أن تعطف جملة على أخرى لا محل لها من الإعراب.

وسهولة العطف بحروف العطف جميعاً تتحقق من اتباع ثلاثة أصول هي: معرفة الموضع الصالح له حرف العطف، ومعرفة فائدة هذا الحرف في ربط الجملتين ـ إذا كان الفاء أو ثم أو حتى أو بل... إلخ ـ، ومعرفة كونه مقبولاً في مكانه لا مردوداً، واتباع هذه الأصول مع الواو يحتاج إلى بصر بالحاجة إلى الوصل بها أو طرحها.

وإذا كان كل واحد من وجوه الإعراب دالاً على معنى كما تشهد لذلك قوانين علم النحو، فإنَّ فائدة الواو هي مشاركة المعطوف والمعطوف عليه في ذلك المعنى، وشرط كون العطف بالواو مقبولاً أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة، بخلاف مثل: (الشمس ومرارة الأرنب)، و(سورة الإخلاص والرجل اليسرى من الضفدع) [2].

فسبب دقة مسلك الوصل بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب أنَّ الأصول الثلاثة السابقة في شأنه غير ممهدة، وهذا ما جعل أئمة علم الأصول يقصرون البلاغة على معرفة الفصل والوصل [3].

قال الإمام الجرجاني: (الجمل المعطوف بعضُها على بعضٍ على ضربين:

أحدُهما: أن يكونَ للمعطوفِ عليها موضعٌ من الإعراب، وإذا كانت كذلك، كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكونَ واقعة موقعَ المفرد، وإذا كانت الجملةُ الأولى واقعة موقعَ المُفْرَدِ، كان عطفُ الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد على المفرد، وكان وجهُ الحاجة إلى (الواو) ظاهراً، والإشراكُ بها في الحُكْمِ موجوداً) [4].

---

(1) . موجز البلاغة: 24.

(2) . انظر: مفتاح العلوم للسكاكي ص 249.

(3) . انظر: الفصل والوصل في القرآن، لمنير سلطان: 150.

(4) . دلائل الإعجاز: 223.

بعد أن ذكر الدكتور محمد أبو موسى هذا الكلام لعبد القاهر الجرجاني قال: (ويؤصل عبد القاهر هنا بأن المعاني كالأشخاص، وكأنه يومئ إلى أن الواو في المعاني كالوسيط في الرجال، فإذا تضام الرجلان واشتد ما بينهما لا يحتاجان إلى واصل يصل بينهما، وإذا تنافر الرجلان غاية التنافر بحيث لا يكون هناك ظن في وصلهما، كان وجود الوسيط عبثاً، وإنما يكون وجود الوسيط في الحالة التي بين بين، هذا واضح في أحوال الناس، وهو كذلك في كلامهم؛ لأن الكلام في حقيقته تشكيلٌ للسلوك والأمزجة والعادات والطبائع، وإذا ذهبت تبحث في المتشابهات بين تقاليد اللسان وتقاليد السلوك وجدت متشابهات كثيرة) [1].

الجُمَل التي لها محلٌّ من الإعراب:

كُلُّ جملة صحَّ تأويلها بمفرد فلَهَا محلٌّ من الإعراب: (الرفع أو النصب أو الجرّ) كالمفرد الذي تُؤَوَّل به، ويكون إعرابُهَا كإعرابه، إذْ تكون واقعة موقعة.

وكُلُّ جملة لا يصحُّ تأويلها بمفرد، لأنَّها غير واقعة موقع مفرد فليس لها محلٌّ من الإعراب.

والجمل التي لها محلٌّ من الإعراب سبعٌ:

الجملة الأولى: هي الواقعة خبراً، ومحلُّها من الإعراب الرفع أو النصب بحسب الخبر المفرد الذي وقعت موقعه، مثل: (العلمُ يَرْفَعُ مَنزلةَ صاحبه)، (كان رسُولُ الله يُواظبُ على قيام اللّيل).

الجملة الثانية: هي الواقعة مفعولاً به، ومحلُّها من الإعراب النصب، مثل: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ [مريم: 30] فجملة ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ في محلِّ نصب مفعول به لفعل ﴿قَالَ﴾.

الجملة الثالثة: هي الواقعة موقع المضاف إليه، ومحلُّها من الإعراب الجرُّ، مثل: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: 119] فجملة ﴿يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ في محل جرٍّ؛ لأنَّها في تأويل مفرد هو مضافٌ إليه، والتقدير: يَوْمُ نَفْعِ الصِدْقِ للصادقين.

الجملة الرابعة: هي الواقعة جواباً لشرطٍ جازمٍ، وشرطها أنْ تقترن بالفاء أو بإذا الفجائية، ومحلُّها من الإعراب الجزم، مثل: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: 33]، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: 36].

فكل جملة من هاتين الجملتين: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ واقعة موقع فعل مجزوم هو جواب الشرط.

---

(1) . دلالات التركيب دراسة بلاغية، للدكتور محمد محمد أبو موسى: 296.

الجملة الخامسة: هي الواقعة موقع الصفة، ومحلُّها من الإعراب بحسب الموصوف بها، مرفوعاً كان أو منصوباً أو مجروراً، مثل: ﴿وجاء رجلٌ مِنْ أقْصَى المدينةِ يَسْعَى﴾ [القصص: 20]، (الزَمْ عالماً يُعَلِّمُ عُلُومَ الدِّينِ الإسلامي)، (اعتَصِمْ بِحَبْلٍ يَصِلُكَ باللهِ).

فكل جملة من هذه الجمل الثلاث: (يَسْعَى ـ يُعَلِّم علوم الدين الإسلامي ـ يَصِلُكَ بالله) واقعة موقع صفة للاسم النكرة الذي قبلها.

الجملة السادسة: هي الجملة التابعة لجملة لها محلٌّ من الإعراب، ومحلُّها من الإعراب يكون بحسب الجملة التي هي تابعة لها، رفعاً أو نَصْباً أوْ جرّاً، مثل: (كُلُّ إنسانٍ يأْكُلُ وَيَشْرَبُ)، (كَانَ رَسُولُ الله يَحْمِلُ الكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ ويُعِينُ عَلَى نَوائب الدهر)، (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ يأكُلُ بِشَرَهٍ).

الجملة السابعة: هي الجملة الواقعة موقع الحال، ومحلُّها من الإعراب النصب، كالحال التي جاء لفظها (مفرداً غير جملة) ومؤولة بمفرد، فقول القائل: (وُلِدَ الطفْل يَبْكي) هو بمثابة قوله: (وُلِدَ الطفلُ بَاكياً).

وكان الأصل في الجملة الحالية أن تكون خالية من الواو؛ لأنَّها كالنعت مع المنعوت به، وأن يكون الربط بين الجملة الحالية وصاحبها ضميراً فيها يعود عليه.

ولكن قد تكون الجملة الحاليَّة خاليةً من هذا الضمير الرابط، مثل: (صلَّى المتهجِّد، الناسُ نَائمون) إذا أُريد أن تكون جملة (الناسُ نائمون) جملةً حاليَّة. أو يكون هذا الضمير الرابط صدر الجملة الحالية، مثل: (سافر خالد، هو صائم) إذا أريد أن تكون جملة (هو صائم) حاليَّة. إلَّا أنَّ مثل هذين التعبيرين لا دليل فيهما على أنَّ جملة كلٍّ منهما جملة حاليَّة، فجاء في اللغة العربية اختيار حرف (الواو) التي تستعمل في العطف، رابطاً يدلُّ على أنَّ الجملة حالية، سواء قِيلَ بتجريد هذه الواو من معنى العطف، أو قِيلَ بأنَّ معنى العطف ما زال باقياً يجمع الصفة التي دلَّتْ عليها الحال مع الصفة المسندة إلى صاحب الحال التي دلَّ عليها المُسْنَدُ فِعلاً كان أو غيره، وقد أُضيف إلى معنى الجمع بين الوصفين معنى الحاليَّة.

وهناك ذَوْقِيَّاتٌ جماليَّةٌ وفكريَّةٌ في الجمل الحاليَّة جعلت واوَ الحال واجبةً في بعضها، وممتنعةً في بَعْضِها، أو يجوز ذكرها وتركها في بعضها.

فتجب واو الحال في ثلاث صور، وتمتَنِعُ في سبْع صُور، ويجوز ذكرها وتركها فيما سوى ذلك على ما فصله النحويُّون في باب الحال، وذكره البلاغيُّون في باب (الفصل والوصل) استكمالاً لذكر أحوال (الواو) في الجُمَل وجوداً وعدماً، على اعتبار أنَّ (واو) الحال تدخل في عموم الواو العاطفة.

ويظهر ممَّا سبق أنَّ الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب هي بمثابة المفرد، لأنَّها تُؤَوَّلُ بمفرد، وتَشْمَلُها أحكام المفرد في الوصل والفصل، حتَّى الجملة الحالية التي تدخل عليها واو الحال رابطةً، عند ملاحظة أنَّ هذه الواو قد استدعاها حاجة الجملة الحالية إلى رابط، والأصل فيه أن يكون ضميراً يعود على صاحب الحال، وحين تُسْتَخْدَمُ واو الحال للربط فليس ذلك من وصل الجمل بالعطف، وإنما هو للدلالة على معنى الحالية بحرف رابط [1].

واهتم البلاغيون هنا بالجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ لأن الجمل التي لها محل من الإعراب يكون إعرابها هو المناسبة الصحيحة، فلا تحتاج إلى كثير إعمال فكر ونظر، وأما الجمل التي لا محل لها من الإعراب فتحتاج إلى التأمل لإدراك المناسبة.

(والإعرابُ يعني العلاقةَ ولحمةَ النسبِ بين الكلماتِ في الجملة الواحدة، وإذا صحَّت العلاقةُ الإعرابيَّةُ واستقامت في ذوق النحو، فهي تلك المناسبة الصحيحة التي يرضاها ذوقُ البلاغةِ، فلا داعي إذن لأنْ يشغلَ بحث البلاغة بما يقوم به النحو؛ لأنَّ العلومَ تتكامل ولا تتكرَّر) [2].

لقد اهتم البلاغيُّون بالبحث لاستخْراج الأسس الفكريَّة العامَّة للفصل والوصل بين الجمل التي لها محلّ من الإعراب، بعد أن نظروا نظرات عامَّاتٍ إلى المفرد، وإلى الجملة التي لا محلّ لها من الإعراب باعتبارها بمنزلة المفرد، وتُؤَوَّلُ بمفرد.

وقد أبان البلاغيُّون أهميَّة معرفةِ مواطن الفصل والوصل بين الجمل الَّتي لا محلَّ لها من الإعراب، واعتبروا إدْراكَ ذلك من الأمور التي تحتاج بصيرةً نفَّاذةً قادرةً على إدْراك مدَى التلاقي والافتراق، والتقارب والتباعد بين المضامين الفكريَّة للجمل التي يتلو بعضُها بعضاً في الكلام، وأنَّ هذا ممَّا يَصْعُبُ على الكثيرين إدْراكُه، فلا يستطيعون دواماً تَحْدِيدَ ما يجبُ أو يَحْسُن فَصْلُهُ، ومَا يجبُ أو يَحْسُن وصله، وَما يستوي فيه الأمران، فَلا يَرْتَقي ما يُنْشؤون من كلامٍ مؤلفٍ من جُمَلٍ كثيرةٍ في مراقي البلاغة الرفيعة، وفي حُسْنِ وضْعِ كُلٍّ من الفصل والوصل في موضعه.

ولا تُكْتَسَبُ ملكةُ وضْع كلٍّ من الفصل والوصل في موضعه الملائم بتلقائيَّةٍ إلَّا بممارسةٍ طويلةٍ، مع حِسٍّ فطريٍّ مُرْهف، وموهبة بلاغيَّة متميزة.

ويتفاوت الكلام بالفصل والوصل تفاوُتاً كبيراً ارتقاءً أو نزولاً من المراتب البلاغيَّة، ويتفاضل في هذا المجال أيضاً الكتَّاب والشعراء والخطباء والمُحَدِّثون.

---

(1) . انظر: البلاغة العربية للميداني: 567.

(2) . دلالات التركيب دراسة بلاغية، للدكتور محمد محمد أبو موسى: 268.

الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب

لمَّا كان الكلام يتناول الفَصْلَ والوصل في الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، فمن المناسب ذكر كلام النحويِّين عنها، ليكون ذلك تمهيداً لكلام البلاغيين حولها.

ذكر النُّحاةُ أنَّ الجُمَل التي لا محلَّ لها من الإعراب تِسْعُ جمل، وهي ما يلي:

الأولى: (الجملة الابتدائية) وهي التي تكونُ في بدء الكلام، مثل: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: 35] فهي جملة لا محلّ لها من الإعراب.

وهذه الجملة بطبيعتها لا توصل بشيء قبلها، إلا أن تُسْبَقَ بكلامٍ مُقَدَّر ذهناً، فقد يكون للمقدّرات الذهنيَّة اعتباراتٌ تُلاحظُ في المنطوق من الكلام، كأن يسأل رجلٌ صديقه: (هلْ تَعَشَّيْتَ عند فلان)؟ فيقول له: (وَبِتُّ عِنده حتَّى الصباح).

الثانية: (الجملةُ الاستئنافية) وهي التي تقع في أثناء الكلام منقطعةً عمَّا قبْلَها لاستئناف كلام جديد، وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب.

والأصل فيها أن تكون منفصلةً غير مقترنَةٍ بحرف عطف، مثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 3]، فجملة: ﴿تعالَى عمَّا يشركون﴾ جملة استئنافيَّة.

وقد تقترن بالفاء الاستئنافيَّة، مثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: 190]، وقد تقترن بالواو الاستئنافية، مثل قول الله عزَّ وجلَّ في عرض قصة امرأة عمران: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]، فجملة: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ جملة استئنافية اقترنت بالواو الاستئنافية.

الثالثة: (الجملة التعليليَّة) وَهِي الّتِي تَقَعُ في أثناءِ الكلام تَعْلِيلاً لما قَبْلَها، وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب.

والأصل في هذه الجملة أن تكون منفصلة غير مقترنة بحرف عطف، مثل قول الله عزَّ وجلَّ خطاباً لرسوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103]، فجملة: ﴿إنّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهم﴾ جملة تعليلية.

وقد تقترن بفاء التعليل، مثل أن تقول: (الْزَمْ سَبِيلَ الهُدَى فَإِنَّهُ سَبَبُ السَّعَادَةِ).

الرابعة: (الجملة الاعتراضيَّة) وهي التي تعترض بين شيئَيْن متلازِمَيْن: (كالمبتدأ والخبر، والفعل ومرفوعه، والفعل ومنصوبه، والشرط وجوابه، والحال وصاحبها، والصفة والموصوف بها، وحرف الجرّ ومتعلَّقه، والقسم وجوابه) وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب.

قالوا: ويُؤْتَى بالجملة الاعتراضيَّة لإفادة الكلام تقويةً وتسديداً وتحسيناً.

الخامسة: (الجملة الواقعة صلةً للموصول) سواءٌ أكان الموصول موصولاً اسمياً أَمْ موصولاً حرفيّاً.

فالموصول الاسمي: كالّذِي ـ والَّتِي ـ ومَنْ ـ مثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿الم. ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة 1ـ 4]، فجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ﴾ صلة لموصول اسمي، لا محلّ لها من الإعراب.

والموصولُ الحرفيُّ هو الحرف المصدريُّ الذي يُؤوّل مع ما بعده بمصدر، والحروف المصدرية هي (أنْ الناصبة للفعل المضارع ـ أَنَّ – كَيْ ـ ما المصدرية ـ لو ـ همزة التسوية).

ومن الأمثلة قول الله عزَّ جلَّ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ...﴾ [المائدة: 52]، فجملة ﴿تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ لا محلّ لها من الإعراب لأنَّها صلة موصولٍ حرفي، وهي مع الموصول الحرفي في تأويلِ مصدرٍ مفعول به لفعل (نَخْشَى).

السادسة: (الجملة التفسيرية) وهي الّتي تأتي مفسِّرَةً لجملةٍ أو مفردٍ قبلها، وتأتي خبريَّةً أو إنشائيّة. والجملة المفسِّرة لما قبلها، قد تأتي مقرونة بكلمة (أيْ) أو بكلمة (أن) أو مجرَّدَةً منهما، وهي لا محلَّ لها من الإعراب.

فمِنْ أمثلة المقرونة بكلمة (أي) قول الشاعر:

وَتَرْمِينَنِي بالطَّرْفِ أي: أَنْتَ مُذْنِبٌ.

ومن أمثلة المقرونة بكلمة (أنْ) قول الله عزَّ وجلَّ في عرض قصة نوح عليه السلام: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا...﴾ [المؤمنون: 27].

ومن أمثلة المجرَّدَة من (أي) و(أنْ) قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: 10ـ 11]، فجملة ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ وما عُطِفَ عليها مُفَسِرَةٌ للتّجارة المنجية.

السابعة: (الجملة الواقعة جواباً لقسم) مثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 1ـ 3]، فجملة: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جواب القسم الوارد في ﴿وَالْقُرْآنِ

الحَكِيمِ﴾ وهي لا محلّ لها من الإعراب. وكذلك قول الله عزَّ وجلَّ في عرض قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 57]، فجملة: ﴿لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ جواب القسم في ﴿تَاللهِ﴾ وهي لا محلّ لها من الإعراب.

الثامنة: (الجملة الواقعة جواباً لشرط غير جازم) وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب.

وأدوات الشرط غير الجازم هي: (لو ـ لَوْلا ـ لَوْمَا ـ أمَّا ـ لمَّا ـ إذَا).

مثل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22]، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾ [الواقعة: 70]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة: 251]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 26]، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: 17]، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 14].

فجوابُ الشرط الواردُ في هذه الأمثلة جُمَلٌ لا محلّ لها من الإعراب.

التاسعة: (الجملة التابعَةُ لجملةٍ لا محلّ لها من الإعراب) فلها حكم الجملة التابعة لها، مثل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: 1ـ 3]، فجملة ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ معطوفة على جملة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وهي لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم [1].

الأسس العامَّة للفصل والوصل بين الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب:

قبل بيان هذه الأسس لا بدَّ من التنبيه على أنَّ المَعْنَى إذا كان يقتضي العطف بحرف من حروف العطف غير الواو، وهي: (الفاء، ثُمَّ، حتَّى، بل، لَكِنْ، لا، أم) فالأصل العطف بالحرف الذي يقتضيه المعنى من هذه الحروف، ولا يُتْرَكُ هذا الأصل إلَّا لغرضٍ من الأغراض التي يَقْصِدُها البلغاء، ومنها أن لا يريد صاحب الكلام بيانَ المعنى الذي يدلُّ عليه حرف العطف ذو المعنى الخاص، وإنْ كَانَ واقع الحال مطابقاً لدلالته لو عطف به، إذْ له غرضٌ في إغفال المعنى وعَدَمِ التعبير عنه، وهذا موضوع لا يحتاج بحثاً ولا تأصيلاً.

ولا بُدَّ من التَّنْبِيهِ أيضاً على أنَّ عطف الجملة التالية على الجملة السابقة بالواو، إذا كان يُفِيدُ إشراكَها في حكمها، والمتكلِّم لا يُريد أن يَدُلَّ على هذا الاشتراكِ لأمْرٍ ما، فإنَّه لا يَرْبطُ الجملة التالية بحرف العطف، بل يأتي بها منفصلة، لئلا يدُلَّ كلامه على ما لا يريدُ بيانه والدلالة عليه، وهذا أيضاً موضوع لا يحتاج بحثاً ولا تأصيلاً.

---

(1) . انظر: البلاغة العربية للشيخ الميداني: 571.

إذن: ينحصر الكلام هنا في العطف (بالواو) أو عدم العطف بها، ضمن المقاصد التي يريد المتكلِّم التعبير عنها والدلالة عليها.

و(الواو) العاطفة التي يدور البحث هنا حول استخدامها عاطفةً أو عدم استخدامها، بين الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب، لها أرْبَعُ صفات:

الصفة الأولى: أنَّها لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً ولا غير ذلك من معاني حروف العطف، سواءٌ أعطفت المفردات أَمْ عطفت الجمل.

الصفة الثانية: أَنَّها تُفِيدُ الإشراك في الحكم في عطف المفردات وفي عطف الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب؛ لأنها مؤولة بالمفردات التي حلَّت محلّها.

الصفة الثالثة: أنَّها تقتضي التغاير بين المعطوف بها والمعطوف عليه، فلا يُعْطَفُ بها المتَّحِدَان في المعنَى.

الصفة الرابعة: أنَّ الربط بها يتَطَلَّبُ مُنَاسبَةً فِكْرِيَّةً بَيْنَ المعطوف والمعطوف عليه بها، تُسَوِّغُ عند البلغاء هذا العطف.

فلا بُدَّ من ملاحظة هذه الصفات لدى العطف بالواو حتى يكون الْعَطْفُ مستقيماً نَحْوِيّاً وبَلاغيّاً، فما قد يَرَاهُ النحويُّ جائزاً بحسب القواعد النحويَّة، قد لا يراه البلاغيُّ جائزاً إذا نظر إلى المعاني.

وبالنظر إلَى الصِّفَاتِ الأربع للواو العاطفة تظهر لنا الاحتمالات التالية للعطف بها أو عدم العطف بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، والتي يُرَادُ رَصْفُ بعضها وَرَاءَ بعْضٍ.

الاحتمال الأول: أن يكون المعنيان في الجملتين السابقة واللاحقة لا يتلاءم معهما مفهوم التغايرُ بينهما، لشدَّة اتِّحادهما أو لشدَّة تقاربهما، أو كانت التالية منهما جواب سؤالٍ مطويٍّ تستدعيه السابقة منهما.

وفي هذه الحالة لا يَصِحُّ بلاغيّاً العطف (بالواو)؛ لأنَّ الواو تقتضي التغايُر بين المعطوف بها والمعطوف عليه، وهذا العطف يُفْسِدُ المعنَى المقصود بالبيان.

لكن إذا كان ترك الواو يوهم خلاف المقصود، كان إدخال (الواو) بين الجملتين أمراً لازماً كأن يسألَكَ سائل: هل شُفِي معلِّمكُمْ؟ فتقول له: لا، وشفاه الله، إذْ لو حذفت الواو لأوهم أنَّك تدعو عليه بعَدَم الشفاء، والمعنى: لم يُشْفَ وشفاه الله.

الاحتمال الثاني: أنْ يكون بين الجملتين السابقة واللاحقة تغايرٌ في المعنى، ولكن ليس بينهما تناسبٌ أو تلاؤُمٌ فكريٌّ يسمح بأنْ يُجْمَعَ بينهما برباطٍ تشير (الواو) الرابطة إليه حين العطف بها.

فإذا وُجِدَتْ هذه الواو الرابطة وكان واقع حال الجملتين خالياً من التناسب والتلاؤم، إذْ لَيْسَ بينهما خيوطٌ فكريَّةٌ متلائمة، كان وجود الواو الرابطة بمثابة مُدَّعٍ كذَّاب، يدَّعي وُجُودَ التَّنَاسُب والتلاؤم، وهو في الواقع غير موجود، وهذا أمْرٌ تنفر منه النفوس وتأباه، ولا يَسْمَحُ البلغاء وأهل الفكر باستخدامه.

ويستثنى من هذا أن يَحْدُث من ترك الواو بين الجملتين إيهام خلال المقصود، فَتُذْكَر الواو للدلالة على استئناف الكلام الذي بعدها، كأن يسألك سائل: هل أنت مذنب؟ فتقول: لا، وغفر الله لك.

الاحتمال الثالث: أن يتوافر في الجملتين السابقة واللاحقة شرطا التغايُرِ في المعنى من جهة، والتناسب بين معنَيَيْهِما المتغايرين من جهة أخرى.

فإذا كان غرض المتكلِّم أن يجمع بينهما برباط (واو) العطف الدَّالة على مطلق الجمع مع التغاير والتناسُب بين مَعْنَيَيْهِما، ليَدُلَّ بها على ذلك، كان استخدامه هذا الرابط عملاً بليغاً، ويَدُلُّ على حِسٍّ مُرْهف، وذَوْقٍ رفيع، باستثناء بعض الصور التي يوجد فيها سبب في نظم الكلام يقتضي عدم العطف، كإيهامِ خلاف المقصود، مثل قول الشاعر:

وتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا ... بَدَلاً أَرَاهَا فِي الضَّلالِ تهِيمُ

إنَّ جملة (وتَظُنُّ سَلْمَى) يناسبُها أن تُعْطَفَ عليها بالواو جملة: (أراها في الضلال تهيم) أي: هي تَظُنُّ بي شيئاً مخالفاً لواقع حالي، وأنا أرى جازماً أنَّها في هذا الظَّنِّ تهيمُ في الضلال.

لكنَّهُ لو عطفها (بالواو) لأوهم أنَّ هذه الجملة معطوفة على جملة (أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلاً) أي: وتظُنُّ أيضاً أنني أراها في الضلال تهيم، وهذا خلاف مقصود الشاعر [1].

المبحث الثامن: أغراضُ الفَصلِ والوَصلِ

هناك أغراض ومعاني وأسباب للفصل والوصل، منها:

([1]) . انظر: البلاغة العربية للشيخ الميداني: 577.

1ـ الإيضاح، ويكون في صور عديدة، منها: التفسير والاستطراد، والتفصيل بعد الإجمال، واللفت إلى معنى يحدده سياق الكلام.

ومن أمثلة الفصل لإيضاح المعنى وبيانه وتفسيره قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة: 26]، فقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بـ (أما) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 26] و ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ [البقرة: 26] وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نوراً إلى نورهم، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطاً في ظلماتهم.

ومن أمثلة الوصل، قوله تعالى: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ [غافر: 82ـ 83]، يقول الزمخشري: (أما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فجار مجرى البيان والتفسير بقوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾، كقولك: رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء)[1].

وقد يكون الإيضاح بالاستطراد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ. لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾. [آل عمران: 110ـ 111] فـ (ثم) للتراخي في المرتبة؛ لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار، أما جملتا ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ فهما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: (وعلى ذكر فلان، فإن من شأنه كيت وكيت). ولذلك جاءا من غير عاطف.

وقد يأتي التفصيل بعد الإجمال للإيضاح، كما في قوله تعالى: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: 97]، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 132ـ 134]، وقوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: 146ـ 148].

([1]) . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 4: 183.

وقد يكون الإيضاح باللفت إلى معنى يحدده سياق الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: 6]، قال الزمخشري: (قرأ جماعة (وأرجلَكم) بالنصب، فدل على أن الأرجل مغسولة، فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها. فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها) [1].

2ـ الإيجاز:

ويكون بين الجمل كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: 52ـ 53]، وكذلك ما ذكره الفراء في قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: 112]، وذلك بعد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ...﴾ [التوبة: 111].

3ـ تثبيت المعنى:

ويكون بتوكيد المعنى في نفس المخاطب وتثبيته، ويكون في الفصل مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾ [الإنسان: 23].

قال الزمخشري: (تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً لأنه تأكيد على تأكيد، لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرَّر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيل على أي وجه نزل إلا حكمةً وصواباً) [2].

وفي الوصل، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: 22]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: 4]. ويكون بعطف البيان، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء: 10ـ 11]، وبالبدل مثل قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة 6ـ 7]، وبالاختصاص، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1]، يقول الزمخشري: (ويجوز أن يجري مجرى قولك: سرني زيد

---

(1) . الكشاف 1: 610. انظر: الفصل والوصل في القرآن، منير سلطان: 196.

(2) . الكشاف 4: 674.

وحسن حاله، وأعجبت بعمرو وكرمه، وفائدة هذا الأسلوب: الدلالة على قوة الاختصاص، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى، سلك به ذلك المسلك) [1].

4ـ حسن النسق:

وكما يبرز جمال الصياغة في الإيضاح والإيجاز وتثبيت المعنى في نفس المخاطب، يقوم حسن الترتيب بدوره في إضفاء البهاء والفخامة على العبارة، ففي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79] نسقت المفردات في الجملة نسقاً محكماً، فقدَّم الأدلَّ على القدرة الإلهية، وفي قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: 2] قدم الأصل على الفرع، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾ [يونس: 12] قدَّم الأشد على الأخف على الممكن، وكذلك في الجمل، قدَّم الأعرق في القدرة على ما دون ذلك، وقدَّم الأكثر في العدد على الأقل، وقدَّم الأقوى أثراً في حياة الناس، وقدَّم الأسرع ورواداً في النفس على غيره. بل، عمد إلى الترتيب لتهذيب النفس، والأروع والأعجب أن يغفل الترتيب بقصد تصوير اضطراب النفس أو تصوير سوء طويتها [2].

5ـ تقطيع الموضوع إلى أجزاء موصولة:

حينما يكون الموضوع المقصود التعبير عنه متعدِّدَ المراحل، أو متغيرَ الأشكال أو متشعبَ الأجزاء، فإنه يحتاج إلى عدَّة جمل أو مفردات لبسطه والإحاطة به، وبطبيعة الحال ستترابط هذه الجمل برباط معنوي واحد، وهو وحدة الموضوع الذي تدور حوله، ومن الممكن أن تترابط كل جملتين برباط لفظي ليكونا وحدة لها خصائصها الذاتية ومرتبطة بالمعنى العام في الوقت نفسه، مثلها مثل الجداول، كل جدول له طبيعته وخصائصه ولكنه عضو في المجرى الكبير.

وترى هذه الظاهرة في القرآن الكريم، يعمد أحياناً إلى الفكرة الرئيسة لموضوع ما، ويضعها في شكل جملة قصيرة أو طويلة، ثم ينثرها في أجزاء موصولة مختلفة القرب أو البعد من الفكرة العامة، والقرآن في هذا لا يلتزم وتيرة واحدة في هذا العرض، فقد يجيء بالفكرة الرئيسة أولاً ينثرها إلى أجزائها، وقد يقدم الأجزاء ثم يأتي بالفكرة من بعد، وهكذا.

---

(1) . الكشاف 4: 350. انظر: الفصل والوصل في القرآن، منير سلطان: 198.

(2) . انظر: الفصل والوصل في القرآن، منير سلطان: 199.

فسورة المطففين مثلاً تبدأ بآية: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1]، وهذا هو الموضوع الرئيسي الذي ستتلاحق أجزاؤه لتصب فيه، تقول الآيات: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: 2ـ 4].

وكذلك سورة الانشقاق التي بدأت آياتها هكذا: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: 1ـ 6]، فالآية الأولى والثانية في نسق، والثالثة والرابعة والخامسة في نسق، أما السادسة فهي الموضوع الرئيسي، إن هذا المخلوق المغرور مهما أوتي من قوة وجبروت، فإنه يسعى حثيثاً لنهاية محتومة، يلقى فيها ذا العرش المجيد، الفعال لما يريد، واللقاء المحقق سيكون يوم القيامة، وفيه تتجلى عظمة الخالق وهوان المخلوق. فانشقاق السماء مشهد من مشاهد يوم القيامة، وزوال الجبال والآكام واستواء ظهرها مشهد، وخلو الأرض من كل ما في باطنها مشهد، أما انقياد السماء لربها وانصياعها لأمره سبحانه فجزء من بيان عظمة ذي القوة المتين، وكذا ما فعلت الأرض، وإذا كان هذا شأن السماء والأرض، فما بال الإنسان الذي ينتظره الموت ليلقيه أمام خالقه الواحد القهار، أحداث تلو أحداث، تتصاعد إلى أن تصل إلى الذروة، إلى قمة الحدث الأعظم ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾.

والأمثلة عديدة، يلعب فيها فن الوصل دوراً بارزاً، يقدم لب الموضوع ثم تأتي أجزاؤه، أو تتعدد الأجزاء ثم تنتهي بلب الموضوع، بقمة الحدث.

وكذلك في سورة النبأ تتحدث الآيات عن النبأ العظيم، عن البعث الذي يتساءل عنه الناس، وبعد تقديم السؤال تأتي الإجابة مصورة عظمة الله تعالى بما يؤكد قدرته على البعث في ميقاته المقدر، تقول الآيات: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالجِبَالَ أَوْتَاداً. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً. وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً. وَأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً. إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾ [النبأ: 6ـ 17].

فالقادر على كل هذه العظائم قادر على بعث الناس يوم القيامة، بل إن بعثهم لأمر هين في قدرة الواحد الأحد الذي جعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقنا أزواجاً وبنى فوقنا سبعاً شداداً.

ونلحظ أن هذه الأجزاء التي جاءت لتؤكد أنَّ يوم البعث حقٌّ وأنَّ مَن ينكره سيعلمه علم اليقين، قد اختتمت بآية: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾، وهي تكرار عرض الموضوع الرئيسي

﴿عن النَّبَإِ العَظِيمِ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: 2ـ 3]. كل جزء مشهد مستقل، وكل الأجزاء تصل بنا إلى النتيجة النهائية.

وهكذا يعمد القرآن الكريم إلى فن الوصل، ليعرض ما يعرض من صور فنية، فهو لا يفجؤ المخاطب بلب الموضوع ويتركه، بل يعرض عليه الأجزاء، أو الصور الجزئية ليعيها ذهنه ويعيش فيها وجدانه ويستثار بها خياله، ويظل يتنقل من جزء إلى جزء، ومن جانب إلى جانب إلى أن يصل إلى قمة الحدث، وحين يصل المخاطب إليه يكون قد زود به على مراحل.

وتارة يعرض القرآن للحدث العام مرة واحدة بإيجاز وتركيز ثم ينتقل منه المخاطب إلى أجزائه -وهو مزود بجوهر الموضوع- ويظل يضيف إليه جزءاً جزءاً وكأنه يعيده في قطع صغيرة إلى أن تنتهي الأجزاء وينتهي معها عرض الموضوع الرئيسي الذي قدم في مطلع العرض، وقد تبلور واتضح وتكامل في نضوج وجمال.

ويأتي دور الفصل، الذي يقوم بعرض الموضوع كاملاً مرة ثم يعود يعرضه بشكل ثان وثالث، وكلها هي هي، ولكنها لها غرض فني لا يقوم به إلا فن الفصل.

وهذا غير التكرار، فتكرار الصياغة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: 17ـ 18] له غرض بلاغي غير الغرض الذي من أجله يعرض الموضوع بأشكال متعددة، في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: 1ـ 3] فرب الناس سبحانه، هو ملك الناس، هو إله الناس، هو المستعاذ به من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، الربوبية والإلهية والملكية صفات للعزيز الجبار، صفات مفصولة متعددة تمثل صفة الإله، ولكنها تختلف في قوة تصويرها، فرب الناس لفظ مشترك، فمن الناس من ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: 31]. وملك الناس صورة أخرى، ولكنها أضيق في الشركة لقلة عدد ملوك الناس عن عدد أحبارهم ورهبانهم، أما إله الناس فخاص لا شركة فيه، لذا جاء متأخراً، وجعل غاية للبيان، كما يقول الزمخشري [1]. فهذه الصفات صورة واحدة تعرض منفصلة شكلاً متصلة مضموناً، وهنا تختلف عن الغرض البلاغي للتكرار في أنها تتصاعد مع المعنى، من الربوبية إلى الملكية إلى الإلهية، من الكثرة إلى القلة إلى

(1) . انظر الكشاف 4: 823.

التفرد. إن عرض الموضوع بأشكال متعددة من أجمل فنون الفصل في القرآن الكريم، ولا يضارعه في هذا إلا فن الوصل حين يعرض للأجزاء الموصولة ثم يؤلف منها موضوعاً متكاملاً [1].

6ـ تصوير الهيئة المنفصلة والهيئة المتصلة:

والهيئة هي الحال التي يكون عليها صاحبها حين وقوع الحدث الأصلي، مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: 247]، و﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ [البقرة: 266]، فالحدث الأصلي في الآية الأولى: كون الملك له والهيئة المصاحبة له كونهم أحق بالملك منه، وفي الثانية، امتلاكه لكل الثمرات، والهيئة المصاحبة إصابته بالكبر، وهذه الهيئة، التي هي (جملة الحال)، بمنزلة الخبر من حيث نثبت بها المعنى لذي الحال كما نثبته بالخبر للمبتدأ، وبالفعل للفاعل، والفرق بينهما أن خبر المبتدأ وفعل الفاعل جزء من الجملة، لا تتم الفائدة دونه، أما الحال، فهي ليست بجزء من الجملة، ولكنها زيادة في خبر آخر سابق لهذا الجزء.

ورابط الجملة الحالية التي تصور هيئة صاحبها مرتبطاً بحدوث الحدث الأصلي في الجملة، إما أن يكون الواو مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: 30]، وإما الضمير مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21]، أو هما معاً مثل: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 44] وعن واو الحال يقول الجرجاني: (وتسميتنا لها (واو الحال) لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لضم جملة إلى جملة، ونظيرها في هذا (الفاء) في جواب الشرط مثل (إن تأتني فأنت مكرم)، فإنها وإن لم تكن عاطفة فإن ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لتربط جملة ليس من شانها أن ترتبط بنفسها).

فهناك مواضع تقتضي ربط جملة الحال بالواو، وأخرى تقتضي طرح الواو، يوجزها الجرجاني بأن (كلَّ جملةٍ وقعَتْ حالاً ثم امتنعَتْ منَ (الواو)، فذاك لأَجْل أنَّك عمَدْتَ إلى الفعل الواقع في صدرِها ـ أي في صدر جملة الحال ـ فضَمَمْتَه إلى الفعلِ الأَول في إثباتٍ واحدٍ، وكلُّ جملةٍ جاءتْ حالاً، ثم اقتضتْ (الواو)، فذاكَ لأنكَ مستأنِفٌ بها خَبَراً، وغيرُ قاصدٍ إلى أنْ تَضُمَّها إلى الفعلِ الأولِ في الإثبات.

---

(1) . انظر: الفصل والوصل في القرآن، منير سلطان: 200.

تفسيرُ هذا: أَنك إذا قلْتَ: (جاءني زيدٌ يُسْرِعُ)، كانَ بمنزلة قَوْلِك: (جاءني زيدٌ مُسرعاً)، في أنك تُثْبِتُ مَجيئاً فيه إسْراعٌ، وتَصِلُ أَحَد المعنَيَيْنِ بالآخَرِ، وتجعلُ الكلامَ خبراً واحداً، وتريدُ أن تقولَ: جاءني كذلك، وجاءني بهذه الهيئة) [1].

وربط الحدث بالهيئة المصاحبة له بالواو أو طرحها، إنما يهدف إلى رصد الحركة التي نتجت عن حدوث الحدث أو صاحبته، فإن طرحنا الواو كان حدثاً متحركاً، حدثاً مصورة هيئته حين وقع، وإن وصلنا كان حدثاً صادراً عن فاعل متحرك. ويكون الحدث جزءاً من حركته، فلننظر إلى هذه الآية الكريمة: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: 60]. فاسوداد وجوههم هيئة تصحبهم في الآخرة لما اقترفوه من إثم ولما سيلقونه من عذاب ولما يحسونه من ندم، والاسوداد هنا توكيد لما صدر عنهم من كذب، والتوكيد والمؤكد شيء واحد، كعطف البيان والبدل، ومثلها كل هيئة جاءت مفصولة عن الحدث الأصلي في الجملة مثل قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: 12]، و﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]، و ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: 36]... إلخ.

والأمر يختلف إذا وصلنا الهيئة بالحدث الأصلي بالواو، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: 30]. فتسبيح الملائكة تصوير لهيئتهم قبل جعل الخليفة في الأرض وفي أثنائه وفيما بعده إلى يوم القيامة، وهيئة التسبيح مغايرة لحدث جعل الإنسان خليفة في الأرض لذا وصلت بالواو، وحينذاك أضفت عليه عمقاً واتساعاً وحركة وجمالاً، والأمثلة عديدة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ﴾ [البقرة: 187]، و(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: 5] إلخ.

كل هذه الأمثلة إثبات صريح للهيئة الحادثة، إثبات مباشر، وثم إثبات آخر غير مباشر، هو (الإثبات بالنفي).

الإثبات بالنفي:

([1]) . دلائل الإعجاز للجرجاني: 213.

وقد يقصد النفي لذاته؛ لأن المناسبة تقتضيه، كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11]، و﴿أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 80]، وهو النفي الصريح.

وقد يقصد التعبير به لأنه أقوى من الإثبات الصريح وأبلغ، مثل قوله تعالى على لسان مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾ [مريم: 20]، و﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أبلغ من (وأنا عزبة لم أتزوج) وهي كناية رقيقة تتناسب مع أدب القرآن الكريم، كناية عن صفة بها ما بها من الدقة والوضوح والهيئة النابضة بالحياة ما لا تستطيع تصويره لفظة (عزبة) التي لم ترد في القرآن مذكرة ولا مؤنثة.

وهذا ما ينطبق على الهيئات المنفصلة أو المتصلة التي أثبتت بطريق النفي، وصورت بطريق المخالفة اسمية كانت أو فعلية، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: 256] بدلاً من (العروة المتينة)، أو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ. وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 51ـ 52] بدلاً من (هو ذكر للعالمين)، أما الفعلية الماضوية المتصلة فمثل قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ [الأعراف: 43]، والمنفصلة مثل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾ [الشورى: 52]، والمضارعية المتصلة مثل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: 283]، والمنفصلة: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: 174].

فالجملة الحالية المنفية، أو الهيئة المثبتة بطريق المخالفة قد حوت ما حوته الجملة المثبتة من عمق واتساع وحركة مع انتقال من المباشرة الصريحة إلى غير المباشرة بما في ذلك من تلوين للتعبير وإضفاء جمال.

هذا، وإذا أخذنا في الاعتبار أن الجملة الاسمية بطبيعتها تفيد الثبات بينما تفيد الفعلية التجدد والاطراد، أحسسنا بأهمية دور الفصل والوصل في تصوير الهيئة حادثة أو غير حادثة، ثابتة أو متجددة، هادئة أو ثائرة، متحدة أو مغايرة [1].

7ـ تناسب الإيقاع الصوتي مع الإيقاع الدلالي:

يرى ابن خلدون أن الأذن هي الوسيلة الطبيعية لكل ثقافة لغوية، بل هي خير وسيلة لإتقان اللغة وإجادتها، و(السمع أبو الملكات اللسانية) [1].

([1]) . انظر: الفصل والوصل في القرآن، منير سلطان: 208.

ويحدثنا من كتبوا في علم النفس الموسيقي عن كيفية شعور المرء بنغم الكلام، فيقولون: إن هناك ميلاً غرزياً في كل كتلة من عدة مقاطع كشبه الفقرات القصار أو العبارات الصغيرة، فقد نسمع في عشر ثوان ما يكاد يبلغ خمسين مقطعاً صوتياً تسمعها الأذن فتلتقطها كتلاً من المقاطع تطول أو تقصر، فإذا ترددت في أواخر هذه الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها وأحسسنا بغبطة وسرور حين سماعها وبعث هذا فينا الرضى والاطمئنان.

وقد نزل القرآن الكريم في أمة تسمع أكثر مما تكتب، فلم يكن غريباً أن يهتم نص كتابها بالصورة الصوتية المسموعة، فيأتي وفيه من الأسجاع ذلك القدر الكثير الذي يتلى عليهم، ويرتل ترتيلاً يسمعون فيه نمطاً من الموسيقى لا عهد لهم به، وهم أمة الشعر والموسيقى.

وهنا يبرز الوقف والابتداء ثانية، الوقف التام المختار، والكافي الجائز، والحسن المفهوم، والقبيح المتروك.

والمسألة: أينبغي في الوقف اعتبار المعنى، وإن لم يكن رأس آية، وهو مذهب أكثر القراء؟ أم نقف على رأس الآية اقتضى المعنى الوقف أم لم يقتضه؟ اختلف العلماء ورجَّحوا الوقف على رؤوس الآي عملاً بالسنة النبوية الشريفة، فإن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كان يقف عند كل آية، فيقول: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1] ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] ويقف، ثم يقول: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 3] ويقف، وهكذا [2]، وأكثر أواخر الآي في القرآن تام أو كاف، وأكثر ذلك في السور القصار. ذهب هذا المذهب كل من الأخفش علي بن سليمان، والحافظ أبي بكر البيهقي والإمام الزركشي وغيرهم.

إذن، فرأس الآية هو نهاية المقاطع الصوتية التي تسمى آية، وهي الفاصلة، وهي أيضاً الوحدة القياسية لبيان تناسب الإيقاع الموسيقي مع مضمون السورة، فيتكرر متصلاً أو يتكرر منفصلاً.

انظر إلى هذا الإيقاع السريع الذي يصور يوم القيامة ومسمياً إياها بـ (الواقعة)، وفي كلمات مختصرة مدوية مع فاصلة على وزن فاعل منتهية بتاء تأنيث مربوطة، مكررة حرف القاف والعين، تأتي الصور المتلاحقة كأنها طبول حرب قادمة.. تقول: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ. لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ. خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ. إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً. وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً. فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً. وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً

---

(1) . مقدمة ابن خلدون: 566.

(2) . روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين (2910) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ ثُمَّ يَقِفُ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ يَقِفُ.

ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: 1ـ 12].

ظلت درجة الإيقاع في سرعتها وهي تصف رج الأرض وبس الجبال ثم مالت إلى الهدوء النسبي حين تحدثت عن أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقين إلى أن تصل إلى تقرير جنة النعيم لهؤلاء المقربين.

وإيقاع آخر هادئ مفصول، يحكي لنا حالة الاسترخاء والنعيم الذي سيناله الأبرار، فتكثر الياء والواو ليمثلا المد الزمني والاسترخاء النفسي، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ. يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين 22ـ 26].

وهذه كاف الخطاب التي تعطي موسيقى جريان الماء في الجدول حين ترتطم بحاجز عند المصب ثم تجتازه وتنطلق في الشعاب والوديان، كاف الخطاب هنا فيها تسرية للنفس، نفس النبي الكريم وبعدها تأتي ألف الإطلاق تصور الأمل الذي لا حدود له، كل ذلك في نغمات موصولة هادئة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ. فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾. [الشرح: 1ـ 6].

فالفصل والوصل استخدم في ربط تلك النغمات بعضها ببعض، واستخدم أيضاً في فصل بعضها عن بعض، وهو في ذلك لا يختلف عما يقوم به في فصل المفردات والجمل أو وصلها. فقد يأتي الإيقاع الثاني مفصولاً عن الأول ليوضحه ويبينه، وقد يكون موصولاً به لاختلافه عنه وارتباطه به في نفس الوقت، وهكذا.

ثم تضاف عناصر أخرى خاصة بطبيعة الإيقاع الصوتي، كالقصر والطول، والثبات والتغير، والاطراد والتنوع، وهذه لها ما لها من أثر في الإيقاع وفي وظيفته، ويأتي عنصر آخر فريد، وهو عنصر (اللازمة)، وهي آية تتكرر مرات على مدى السورة بعد إيقاعات مختلفة لتعمل على ربط الإيقاعات السابقة بتلك اللاحقة إلى أن تأتي (اللازمة) التالية، وهكذا. وقد تكون (اللازمة) قريبة الموقع مثل آية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن، التي تكررت إحدى وثلاثين مرة من خلال ثمان وسبعين آية عدد سورة (الرحمن).

وقد تكون بعيدة الموقع مثل آية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ التي تكررت ست مرات من خلال سبع وعشرين ومائتي آية عدد سورة (الشعراء)، ومثلها آية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ التي تكررت عشر مرات من خلال خمسين آية عدد سورة (المرسلات).

واللازمة أيضاً تكون مفصولة أو موصولة ليتم التكامل بين الإيقاع الصوتي والإيقاع الدلالي في أسلوب القرآن الكريم [1].

الفصل الثاني: الفصل والوصل في سورة الأعراف،

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أنواع الفصل، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفصل بالاستئناف

المطلب الثاني: الفصل بالجملة المعترضة

---

(1) . انظر: الفصل والوصل في القرآن، منير سلطان: 212.

المطلب الثالث: الفصل بالاستئناء المنقطع

المطلب الرابع: الفصل بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل)

المطلب الخامس: الفصل بـ: (حتى الابتدائية)

المبحث الثاني: أنواعُ الوصلِ، وفيه أربعةُ مطالب:

المطلب الأول: الوصلُ بالواو

المطلب الثاني: الوصلُ بالفاء

المطلب الثالث: الوصلُ بـ (ثم)

المطلب الرابع: الوصلُ بـ (أو)

المبحث الثالث: من أسباب الفصل، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: من أسباب الفصل: طَرِيقَةُ المُحَاوَراتِ

المطلب الثاني: من أسباب الفصل: أن تكون الجملة بيانية،

المطلب الثالث: من أسباب الفصل: لَفْتُ الْأَذْهَانِ إِلَيْهِ

المطلب الرابع: من أسباب الفصل: إفادةُ التَّعليلِ

المطلب الخامس: من أسباب الفصل: أن تكون معترضة

المطلب السادس: من أسباب الفصل: أن تكون الجملة مؤكِّدة

المبحث الرابع: من أسباب الوصل، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: من أسباب الوصل: وجود المناسبة المتوسطة بَيْنَ كَمَالِ الِاتِّصَالِ وَكَمَالِ الِانْقِطَاعِ

المطلب الثاني: من أسباب الوصل: إفادة معنى زائد على ما في الجملة السابقة.

المطلب الثالث: مِن أسبابِ الوصلِ: الاتحادُ في الإنشاء أو الاتحادُ في الخبر

المطلب الرابع: من أسباب الوصل: إفادة المغايرة

الفصل الثاني: الفصل والوصل في سورة الأعراف

الفصل قد يكون بعدم العطف، وقد يكون الفصل بضمائر الفصل، وقد يكون الفصل بالجملة المعترضة، وقد يكون كذلك بالواو أو الفاء أو ثم عندما يكونون للاستئناف، ويكون كذلك بأم المنقطعة، وبل، والجملة الاعتراضية، والاستثناء المنقطع.

فأما الفصل بضمائر الفصل فقد أشار إليه سيبويه والفراء والمبرد والجرجاني والزمخشري وغيرهم، ويشرح المالقي معنى ضمائر الفصل بقوله: (اعلم أن هذه الألفاظ (أنا وأنتَ وأنتِ وأنتما وأنتن) ضمائر منفصلة... وإنما سماه البصريون باب الفصل؛ لأن هذه الألفاظ المذكورة يفصل بها بين الخبر وذي الخبر من غير اعتداد بها في الإعراب ولا احتياج إليها في العودة على الأسماء، وإنما وضعت تأكيداً... ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: 64]، وقوله: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: 32]، وقوله: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ﴾ [القصص: 58])[1].

وأما الفصل بواو الاستئناف فهي التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ولا مشاركة في الإعراب ويكون بعدها الجملتان، وتسمى (واو القطع)، فالاسمية كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: 2]، والفعلية كقوله تعالى: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [الحج: 5]. وإنما سميت واو الاستئناف لئلا يتوهم أنَّ ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها[2].

وأما الفصل بالفاء فمن أمثلته فاء الاستئناف في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 4] ﴿فَيُضِلُّ﴾ بالرفع، ولم ينصب على المعطوف على ﴿لِيُبَيِّنَ﴾؛ لأن العطف يجعل معنى المعطوف كمعنى المعطوف عليه. والرسل أرسلوا للبيان لا للضلال، وقال الزجاج: ولو قرئ بالنصب على أن تكون اللام للعاقبة لجاز.

وكذلك في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ [النحل: 28]، ﴿فألقوا﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، ويجوز أنْ يكونَ معطوفاً على ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾ ويجوز أن يكون مستأنفاً[3].

وذكر المالقي في رصف المباني أننا إذا أردنا الاستئناف بعدها من غير تشريك بجملتين، كانت حرف ابتداء، إما للكلام، وإما يأتي بعدها المبتدأ وخبره نحو: قام زيد فهل قمت، وقام زيد فعمرو منطلق[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: 108]،

---

(1). انظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد المالقي، ص 209.

(2). انظر: الفصل والوصل، منير سلطان: 174.

(3). انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة (ت 1404 ه). 2: 242.

(4). انظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد المالقي، ص 441.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: 28].

وأما الفصل بـ (ثم)، فإن (ثم) قد تأتي للاستئناف، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران: 111]، ومنها قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 15ـ 16].

وأما الفصل بـ أم المنقطعة فقد أشار إليه الزمخشري، ويقول الزركشي فيها: وهي بمعنى (بل) [1]، وتقدر بـ (بل) و(الهمزة) واختلفوا في كونها عاطفة أو غير عاطفة، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿الم، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [السجدة: 1ـ 2]، ثم قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [السجدة: 3] تقديره: بل أيقولون؟

وأما الفصل بـ (بل) فقد أشار إليه الزمخشري، ويقول الزركشي فيه: حرف يفيد الإضراب عن المعنى الأول وإثبات المعنى الثاني [2]، فهو يقطع ويفصل، ولأن إثبات الثاني لم يجئ إلا بإبطال الأول، فهو مرتبط به موصول بوجوده، أي أنه فصل موصول، أو قطع مربوط، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]. ومن أنواع الإضراب الانتقال من حديث إلى حديث آخر، والخروج من قصة إلى قصة من غير رجوع عن الأولى، وهي في هذه الحالة عاطفة ـ كما قال الصفار ـ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾ [الكهف: 48]، وكقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [السجدة: 3]، انتقل من القصة الأولى إلى ما هو أهم منها، ومن أنواع الإضراب: القطع الصريح، بأن تكون (بل) استئنافية، كقوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ المَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا﴾ [ق: 1ـ 2]، وقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: 1ـ 2].

والفصل بالاستثناء المنقطع أشار إليه الطبري والزمخشري، ويقول عنه الإمام المالقي (المتوفى 702هـ): اعلم أن (إلا) حرف معناه الاستثناء ولفظه موضوع لذلك... وهي تنقسم إلى قسمين: قسم يخرج بعض الشيء من كله وهو الذي يسمى: (الاستثناء المتصل)، وقسم بمعنى

---

(1) . انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 4: 182.

(2) . انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 4: 258.

(لكن) ويسمى ما يكون له كذلك (الاستثناء المنفصل، والاستثناء المنقطع) [1]، وضرب الزركشي أمثلة له منها قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: 22ـ 23]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: 57]، وقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: 93] [2].

وسأتحدث عن الفصل وأنواعه وأسبابه في سورة الأعراف جاعلاً ذلك في أربعة مباحث:

المبحث الأول: أنواع الفصل، وفيه خمسة مطالب:

سأذكر في هذا المبحث أنواع الفصل فمنه الفصل بالاستئناف، والفصل بالجملة المعترضة، والفصل بالاستثناء المنقطع، والفصل بـ(أم) المنقطعة وبـ (بل)، وبـ (حتى) الابتدائية، مع ذكر الأمثلة على كل نوع من سورة الأعراف، وسيكون الكلام من خلال خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفصل بالاستئناف

الاستئناف في اللغة هو الابتداء، يقال: استأْنفتُ الشَّيْءَ إِذَا ابتدأْتُه.

قال الخليل: (وائتنفت ائتنافاً، وهو أوّل ما تَبتدىء به من كلِّ شيءٍ من الأَمْر والكَلام كذلك، وهو من أَنْف الشّيء، يقال: هذا أَنْفُ الشَّدِّ، أي: أوّله، وأَنْفُ البَرد أَوّله) [3].

(واسْتَأْنَفَ الشيءَ وأْتَنَفَه: أَخذ أَوّله وابتدأَه، وَقِيلَ: اسْتَقْبَلَه، وأَنا آتَنِفُه ائْتِنافاً، وَهُوَ افْتِعالٌ مِنْ أَنْفِ الشَّيْءَ) [4].

(وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَاذَا قالَ آنِفاً﴾ [محمد: 16]، أَيْ مَاذَا قَالَ الساعةَ فِي أَوّل وَقْتٍ يَقْرُبُ مِنّا، وَمَعْنَى آنِفاً مِنْ قَوْلِكَ استأْنَفَ الشيءَ إِذَا ابتدأَه. وَقَالَ ابْنُ الأَعرابي: ﴿مَاذَا قالَ آنِفاً﴾ أَي مُذْ سَاعَةٍ... والاسْتِئنافُ: الِابْتِدَاءُ، وَكَذَلِكَ الائْتِنافُ) [5].

والاستئناف في الاصطلاح هو الفصل للإجابة عن سؤال مقدر، ويعرِّف الزمخشري الاستئناف بأنه: (جواب لسؤال مقدر) [6]. ويكون الجواب لإفادة السامع معلومة تزيل

([1]) . انظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد المالقي، ص171.

([2]) . انظر: الفصل والوصل في القرآن، منير سلطان: 176.

([3]) . العين للخليل 8: 378.

([4]) . لسان العرب 9: 14.

([5]) . لسان العرب 9: 15.

([6]) . انظر: الكشاف 1: 43.

الغموض الذي أدى إلى حاجته إلى السؤال، وقد يخرج الاستئناف عن هذا الغرض إلى أغراض أخرى، ومِن أهم أغراض وأسباب الاستئناف: التعليل أو التعجب أو التوكيد أو بيان السبب [1].

قال الزمخشري: (واعلم أنَّ هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث، كقولك: قد أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان. وتارة بإعادة صفته، كقولك: أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ، لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه) [2].

قال الجرجاني: (الاستئناف: هو ما وقع جواباً لسؤال مقدر معنى كما قال المتكلم: جاءني القوم، فكأن قائلاً قال: ما فعلت بهم؟ فقال المتكلم مجيباً عنه: أما زيد فأكرمته، وأما بشر فأهنته، وأما بكر فقد أعرضت عنه) [3].

والاستئناف هو حذف السؤال المقدر؛ وذلك ضرب من التأليف لطيف الأمر، عجيب المغزى، ولا تجد باباً من أبواب الحذف أحسن مأخذاً منه، ولا أطرف خبراً، وهو ينقسم قسمين: الأول: إعادة الأسماء والصفات. وهذا القسم يجيء تارة بإعادة اسم من تقدم الحديث عنه، كقولك: (أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان)، وتارة يجيء بإعادة صفة، كقولك: (أحسنت إلى زيد، صديقك القديم أهل لذلك منك) وهو أحسن من الأول وأبلغ، لانطوائه على بيان الموجب للإحسان وتخصيصه، فمما جاء من هذا الباب قوله تعالى: ﴿الم. ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1ـ 2] إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5].

فلمَّا قيل: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ عُلِم بأن الكتاب لهم هدى فاتجه للسائل أن يقول: (ما بالهم خصوا بذلك)؟ فوقع قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إلى سياقه كالجواب، وجيء بصفة (المتقين) المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله عز وجل اللطف والاختصاص على غيرهم، أي الذين هذه عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله وأن يعطيهم الفلاح.

وإن جعلت قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تابعاً (للمتقين)، وقع الاستئناف على (أولئك)، كأنه قيل: (وما للمتقين). بهذه الصفات قد اختصوا

---

(1) . انظر: الفصل والوصل، منير سلطان. ص 101.

(2) . الكشاف 1: 44.

(3) . كتاب التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، ص 18.

بالهدى؟ فأجبت: أن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس، بالهدى عاجلاً، وبالفلاح آجلاً.

الثاني: الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 22] إلى قوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: 27].

فهذا القول خرج مخرج الاستئناف؛ لأنَّ ذلك من مظان المسألة عن حالة عند لقاء ربه، كأن قائلاً قال له: (كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي لوجهه بروحه)؟ فقيل: قيل ادخل الجنة، ولم يقل: (قيل له) لانصباب الغرض إلى القول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوماً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: 26] مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد.

ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93] [1].

والاستئناف في اللغة العربية نوعان: استئناف بياني، واستئناف نحوي.

فأما (الاستئناف البياني) فهو الذي تنقطع بسببه الصلة الإعرابية بين الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها، دون الصلة المعنوية بينهما؛ فكلتاهما مستقلة بنفسها في الإعراب وحده، أما في المعنى فلا بد بينهما من نوع ارتباط يجعل الثانية في الغالب بمنزلة جواب عن سؤال ناشئ عن معنى الأول.

أما في (الاستئناف غير البياني) (الاستئناف النحوي) فتنقطع فيه الصلة الإعرابية والمعنوية بين الجملتين، فتكون الجملة المستأنفة مستقلة بإعرابها وبمعناها الجديد [2].

فيلزم في الاستئناف البياني أمران:

الأول: هو أن يكون هناك سؤال مقدر. والثاني: هو عدم تعلق الجملة بما قبلها نحوياً.

والاستئناف غير البياني (الاستئناف النحوي): هو الذي يترتب عليه تغير في الحركة الإعرابية، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282] برفع ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ على الاستئناف، حيث لو شارك ما قبله لانتصب بأن مضمرة وجوباً بعد واو المعية.

---

(1) . انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لنصر الله بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ)، ص 137.

(2) . انظر: النحو الوافي 4: 390.

فالجملة الاستئنافية هي جملة منقطعة عما قبلها ليست مرتبطة بها صناعة، بل بالمعنى لإتمام الفكرة السابقة أو لتفسيرها وتعليلها.

ففي الاستئناف البياني جملة تفيد معنىً جديداً، ولهذا المعنى علاقة بالجملة التي قبله.

أما الاستئناف النحوي فهو جملة تفيد معنىً جديداً، ولكن ليس له علاقة بالجملة السابقة عليه.

ومن مواضع الفصل ـ التي سبق ذكرها ـ: الموضع الثالث: شبه كمال الاتصال، ويسمى بـ (الاستئناف البياني).

ومن الأمثلة على الاستئناف في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11]، فقوله تعالى: ﴿لم يكن﴾ هذه الجملةُ استئنافيةٌ؛ لأنها جواب سؤال مقدر، ولعلَّ فائدةَ هذه الجملة التوكيدُ لِـمَا أخرجه الاستثناء من نفي سجود إبليس. وقال أبو البقاء: إنها في محل نصب على الحال أي: إلا إبليس حال كونه ممتنعاً عن السجود [1].

ومن الأمثلة كذلك: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17]، فقوله: ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ﴾ هذه الجملة فيها وجهان: أحدهما: أن تكونَ هذه الجملةُ المنفيةُ دَاخِلَةً فِي خَبَرِ القَسَمِ مَعْطُوفَةً عَلَى جَوَابِهِ، والثاني: أَنْ تَكُونَ اسْتِئْنَافَ إِخْبَارٍ لَيْسَ مُقْسَماً عَلَيْهِ أَخْبَرَ أَنَّ سِعَايَتَهُ وَإِتْيَانَهُ إِيَّاهُمْ مِنْ جَمِيعِ الوجوه يفعل ذلك [2].

ومن الأمثلة: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27]، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ هذه الجملة استئنافية تفيد تعليل النهي، وتأكيد التحذير من فتنة الشيطان الذي يرانا ولا نراه [3].

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28]، فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(1) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 261.

(2) . انظر: البحر المحيط 5: 23.

(3) . انظر: محاسن التأويل 5: 31.

فَعَلُوا﴾ هذه الجملةُ الشرطية لا محلَّ لها من الإعراب لأنها استئنافية وهو الظاهر، وجوَّز ابنُ عطية أن تكونَ داخلةً في حَيِّز الصلة لعطفها عليها، ليقع التوبيخُ بصفةِ قومٍ قد جعلوا أمثالاً للمؤمنين إذ أشبه فعلُهم فِعْلَ الممثَّل بهم [1].

ومن الأمثلة كذلك على الاستئناف قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38]، فجُمْلَةُ: ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافاً ابْتِدَائِيّاً، لِوَصْفِ أَحْوَالِهِمْ فِي النَّارِ، فَتَكُونُ جُمْلَةُ ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ دَاخِلَةً فِي حيّز الاستئناف.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هذه الجملة: ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ مُعْتَرِضَةً بَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿قالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ وَبَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها﴾، عَلَى أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ مُرْتَبِطَةً بِجُمْلَةِ ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾، ويكون المعنى بِتَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: فَيَدْخُلُونَ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا [2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، قال أبو حيان: (و﴿تَجْرِي﴾ حَالٌ قَالَهُ الْحَوْفِيُّ قَالَ: وَالعَامِلُ فِيهِ ﴿وَنَزَعْنَا﴾، وَقَالَ أَبُو البَقَاءِ: حَالٌ وَالعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الإِضَافَةِ وَكِلَا القَوْلَيْنِ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ ﴿تَجْرِي﴾ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الفَاعِلِ الَّذِي هُوَ ضَمِيرُ ﴿وَنَزَعْنَا﴾ وَلَا صِفَاتِ المَفْعُولِ الَّذِي هُوَ ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾، وَلِأَنَّ مَعنَى الإِضَافَةِ لَا يَعْمَلُ إِلَّا إِذَا كانت إضافة يمكن للمضاعف أَنْ يَعْمَلَ إِذَا جُرِّدَ مِنَ الإِضَافَةِ رَفْعاً أَوْ نَصْباً فِيمَا بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ خَبَرٌ مُسْتَأْنَفٌ عَنْ صِفَةِ حَالِهِمْ) [3].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89]، يجوز في هذه الجملةِ وجهان،

([1]) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 295.

([2]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 120.

([3]) . البحر المحيط 5: 53.

أحدهما: أنها استئنافُ إخبارٍ فيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أَكْذَبَنا على الله إن عُدْنا في الكفر.

والثاني: أنها جوابُ قسمٍ محذوف حُذِفَت اللامُ منه، والتقديرُ: (واللهِ لقد افترينا) [1].

ومن الأمثلة كذلك قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 92]، قال الزمخشري: (وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص، كأنه قيل: الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا، كأن لم يقيموا في دارهم، لأنَّ الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله، الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بالخسران العظيم، دون أتباعه فإنهم الرابحون. وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير: مبالغة في ردِّ مقالة الملإ لأشياعهم، وتسفيه لرأيهم، واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم) [2].

وقال أبو حيان: (﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ﴾ هَذَا أَيْضاً مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ... وَأَجَازَ أَبُو البَقَاءِ فِي إِعْرَابِ ﴿الَّذِينَ﴾ هُنَا أن يكون بدلاً من الضَّمِيرِ فِي ﴿يَغْنَوْا﴾ أَوْ مَنْصُوباً بِإِضْمَارِ أَعْنِي، وَالِابْتِدَاءُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَقْوَى وَأَجْزَلُ) [3].

وقال أبو السعود: (﴿الذين كَذَّبُواْ شُعَيْباً﴾ استئنافٌ لبيان ابتلائهم بشؤم قولِهم فيما سبق ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ﴾ يا شعيب والذين آمنوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا وعقوبتِهم بمقابلته والموصولُ مبتدأٌ خبرُه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ أي استُؤصِلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم أصلاً أي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المُخرَجين من القرية إخراجاً لا دخولَ بعده أبداً وقولُه تعالى: ﴿الذين كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الخاسرين﴾ استئناف آخرُ لبيان ابتلائِهم بعقوبة قولِهم الأخيرِ وإعادةُ الموصولِ والصلةِ كما هي لزيادةِ التقريرِ والإيذانِ بأنَّ ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين أي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الأخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه الصلاة والسلام) [4].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: 113]، قال أبو حيان: (وَجاءَ ﴿قَالُوا﴾: بِغَيْرِ حَرْفِ عَطْفٍ لِأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ جَوَابِ سَائِلٍ

---

(1) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 381.

(2) . الكشاف 2: 131.

(3) . البحر المحيط 5: 117.

(4) . إرشاد العقل السليم 3: 252.

سَأَلَ: مَا قَالُوهُ إِذْ جَاءَ؟ ﴿قَالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً﴾ أَيْ جُعْلاً، وَقَالَ الحَوْفِيُّ: و﴿قالُوا﴾ فِي مَوْضِعِ الحَالِ مِنَ ﴿السَّحَرَةِ﴾ وَالعَامِلُ ﴿جاء﴾) [1].

فقوله تعالى: ﴿قالوا إِنَّ لَنَا﴾: في هذه الجملة وجهان، أظهرهما: أنها لا محلَّ لها من الإعراب لأنها استئنافُ جوابٍ لسؤال مقدر، ولذلك لم تُعْطَفْ بالفاء على ما قبلها.

والوجه الثاني: أنها في محلِّ نصبٍ على الحال من فاعل «جاؤوا» [2].

ومن الأمثلة كذلك قوله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 148].

فقوله: ﴿وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ هذه الجملة فيها وجهان: أحدهما: وهو الأظهر، أنها استئنافية، فقد أَخْبَرَ عنهم بهذا الخبرِ وأنه دَيْدَنهم وشأنهم في كلِّ شيء فاتِّخاذُهم العجلَ من جملة ذلك.

والثاني: يجوز أن تكون حالاً، أي: وقد كانوا اتخذوه في هذه الحالِ المستقرةِ لهم [3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: 190]، فقوله: ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذه الجملة استئنافية، والضميرُ في ﴿يشركون﴾ يعود على الكفار، والكلامُ قد تَمَّ قبله. وقيل: يعودُ على آدم وحواء وإبليس، والمرادُ بالإشراك تسميتهُما لولدٍ ثالث بعبد الحرث، وكان إبليس قد أشار بذلك، فالإشراك في التسمية فقط. وقيل: لم يكن آدمُ عَلِم [4].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127].

(قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ قرأ العامَّةُ: «ويَذَرَك» بياء الغيبة ونصبِ الراء. وفي النصبِ وجهان: أظهرهما: أنه على العطف على «ليُفْسدوا». والثاني: أنه منصوبٌ على جواب الاستفهام، كما يُنصب في جوابه بعد الفاء... والمعنى: كيف يكون الجمعُ بين تَرْكِكَ موسى وقومه مفسدين وبين تركِهم إيَّاك وعبادةِ آلهتك، أي لا يمكنُ وقوعُ ذلك.

---

(1) . البحر المحيط 5: 132.

(2) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 413.

(3) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 461.

(4) . انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 536.

وقرأ الحسن في روايةٍ عنه ونعيم بن ميسرة «ويذرُك» برفع الراء. وفيها ثلاثةُ أوجه، أظهرُها: أنه نسقٌ على «أتذر» أي: أتطلق له ذلك. الثاني: أنه استئنافُ إخبار بذلك. الثالث: أنه حالٌ. ولا بدَّ من إضمارِ مبتدأ، أي: وهو يَذَرُك) [1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65]، فهذه الجملة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ استئنافاً ابْتِدَائِيّاً. وَقَدْ شَابَهَتْ دَعوَةُ هُودٍ إلى قَوْمه دَعْوَةَ نُوحٍ إلى قَوْمه فِي المُهِمِّ مِنْ كَلَامِهم؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ مُرْسَلُونَ مِنَ اللّهِ تعالى وَالحِكْمَةُ مِنَ إرسالهم وَاحِدَةٌ، فَلَا عجب أَنْ تَتَشَابَهَ دَعَوَاتُهُمْ، وَقد قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى﴾ [الشورى: 13] [2].

ومن الأمثلة: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 92]، فهذه الجملة ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ استئنافاً ابْتِدَائِيّاً، وَجاء التَّعْرِيفُ بِالمَوْصُولِيَّةِ لِلإِيمَاءِ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الخَبَرِ، وَهُوَ أَنَّ اضْمِحْلَالَهُمْ وَانْقِطَاعَ دَابِرِهِمْ وأثرهم كَانَ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وإعراضهم [3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 101]، فهذه الجملة: ﴿تِلْكَ الْقُرى﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافَ الفَذْلَكَةِ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الْقَصَصِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 59] ثُمَّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نبي﴾ [الأعراف: 94] [4].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: 105]، فجُمْلَةُ ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافاً بَيَانِيّاً؛ لِأَنَّ مَقَامَ الإِنْكَارِ مِمَّا يُثِيرُ سُؤَالَ سَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: هَذِهِ دَعْوَى غَرِيبَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ وحُجَّة وبرهان [5].

---

(1) . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 423.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 201.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 9: 13.

(4) . التحرير والتنوير 9: 29.

(5) . انظر: التحرير والتنوير 9: 39.

ومن الأمثلة: ﴿وَجاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ﴾ [الأعراف: 113]، فهذه الجملة: ﴿قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً﴾ مستأنفة اسْتِئْنَافاً بَيَانِيّاً، ويكون المعنى على تَقْدِيرِ سُؤَالِ مَنْ يَسْأَلُ: مَاذَا صَدَرَ مِنَ السَّحَرَةِ حِينَ مَثُلُوا بَيْنَ يَدَيْ فِرْعَوْنَ؟ [1].

ومن الأمثلة: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146]، قال أبو حيان: (ويحتمل أن الصَّرْفَ سَبَبُهُ التَّكْذِيبُ وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾ اسْتِئْنَافَ إِخْبَارٍ مِنْهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَيْ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا غَافِلِينَ عَنِ الآيات وتدبرها فَأَوْرَثَتْهُمُ الغَفْلَةُ التَّكْذِيبَ بِهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ ﴿ذَلِكَ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أَيْ ذَلِكَ الصَّرْفُ كَائِنٌ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا، وَجَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ مَنْصُوباً فَقَدَّرَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَقَدَّرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ صَرَفَهُمُ اللهُ ذَلِكَ الصَّرْفَ بِعَيْنِهِ) [2].

فجملة ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافاً بَيَانِيّاً؛ لِأَنَّ وصفهم بهذه الصفات يُثِيرُ سُؤَالاً [3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 147]، فهذه الجملة ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مستأنفة استئنافاً بَيَانِيّاً، جَوَاباً عَنْ سُؤَالٍ يَنْشَأُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ﴾ فقد قَدْ يَقُولُ سَائِلٌ: كَيْفَ تَحْبَطُ أَعْمَالُهُمُ الصَّالِحَةُ، فَأُجِيبُ بِأَنَّهُمْ جُوزُوا بما كَانُوا يَعْمَلُونَ، فحين كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ كَانُوا قَدْ أَحَالُوا الرِّسَالَةَ وَالتَّبْلِيغَ عَنِ اللهِ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِأَنَّ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ جَزَاءً حَسَناً، مع أن ذلك لا يُعْرَفُ إِلَّا بِإِخْبَارٍ مِنَ اللهِ تعالى، وَهُمْ قَدْ عَطَّلُوا طَرِيقَ الإِخْبَارِ وَهُوَ الرِّسَالَةُ، وَكذلك الجَزَاء يَظْهَرُ فِي الآخِرَةِ، وَهُمْ مكذبون بها، فلهذا حبطت أعمالهم جزاءً لِاعْتِقَادِهِمْ [4].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 184]، فجُمْلَةُ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مستأنفة اسْتِئْنَافاً بَيَانِيّاً لِجَوَابِ سَائِلٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: فَمَاذَا

([1]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 45.

([2]) . البحر المحيط 5: 174.

([3]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 106.

([4]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 108.

شَأْنُهُ، أَوْ هِيَ تَقْرِيرٌ لِحُكْمِ جُمْلَةِ: ﴿مَا بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾، فَفُصِلَتْ الجملة لِكَمَالِ الِاتِّصَالِ بَيْنَهُمَا، وكمال الاتصال يغني عَنِ العَطْفِ [1].

وبعد أن تحدثت عن الفصل بالاستئناف وأمثلته في سورة الأعراف أنتقل إلى الكلام عن الفصل بالجملة المعترضة.

المطلب الثاني: الفصل بالجملة المعترضة

الاعتراض كما يعرفه الزركشي هو (أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ أَوْ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ مَعْنىً بِشَيْءٍ يَتِمُّ الغَرَضُ الأَصْلِيُّ بِدُونِهِ وَلَا يَفُوتُ بِفَوَاتِهِ، فَيَكُونُ فَاصِلاً بَيْنَ الكلامِ وَالكَلَامَيْنِ لِنُكْتَةٍ.

وَقِيلَ: هُوَ إِرَادَةُ وَصْفِ شَيْئَيْنِ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا قَصْداً وَالثَّانِي بِطَرِيقِ الِانْجِرَارِ وَلَهُ تَعْلِيقٌ بِالْأَوَّلِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْكِيدِ) [2].

ويقول عنه ابن عاشور: (الجُمْلَةَ المُعْتَرِضَةَ هِيَ الوَاقِعَةُ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ شَدِيدَتَيِ الِاتِّصَالِ مِنْ حَيْثُ الغَرَض المَسُوق لَهُ الكَلامُ. وَالِاعتِرَاضُ هُوَ مَجِيءُ مَا لَمْ يُسَقْ غَرَضُ الكلامِ لَهُ، وَلَكِنْ لِلْكَلَامِ وَالغَرَضِ بِهِ عَلَاقَةً وَتَكْمِيلاً) [3].

والجملة الاعتراضية أشار إليها ابن جني وابن وهب والجرجاني والزمخشري، وهي (عِنْدَ النُّحَاةِ جُمْلَةٌ صُغْرَى تَتَخَلَّلُ جُمْلَةً كُبْرَى عَلَى جِهَةِ التَّأْكِيدِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ فِي أَمَالِيهِ: الجُمْلَةُ المُعْتَرِضَةُ تَارَةً تَكُونُ مُؤَكِّدَةً وَتَارَةً تَكُونُ مُشَدِّدَةً؛ لِأَنَّهَا إِمَّا أَنْ لا تَدُلَّ عَلَى مَعْنىً زَائِدٍ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الكَلَامُ بَلْ دَلَّتْ عَلَيْهِ فَقَطْ فَهِيَ مُؤَكِّدَةٌ، وَإِمَّا أَنْ تَدُلَّ عَلَيْهِ وَعَلَى مَعْنىً زَائِدٍ فَهِيَ مُشَدِّدَةٌ) [4].

ومن أهم أغراض وأسباب الاعتراض: تَقْرِيرُ الكَلَامِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأرض﴾ [يوسف: 73] ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعْتِرَاضٌ والمُرادُ تَقْرِيرُ إِثباتِ البَرَاءَةِ مِنْ تُهْمَةِ السَّرِقَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: 2]. ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34] واعترض بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ بين كلامها.

وقوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ [البقرة: 25].

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 195.

(2) . البرهان في علوم القرآن 3: 56.

(3) . التحرير والتنوير 1: 671.

(4) . البرهان في علوم القرآن 3: 56.

ومن الأغراض والأسباب كذلك: قَصْدُ التَّنْزِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: 57]، فَاعْتِرَاضُ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ لِغَرَضِ التَّنْزِيهِ وَالتَّعْظِيمِ وَفِيهِ الشَّنَاعَةُ عَلَى مَنْ جَعَلَ البَنَاتَ للهِ.

وَمِنْهَا: قَصْدُ التَّبَرُّكِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: 27] [1].

ومن أسباب وأغراض الاعتراض أيضاً: قَصْدُ التَّأْكِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 75ـ 76].

وَفِيهَا اعْتِرَاضَانِ، فَإِنَّهُ اعْتَرَضَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ بَيْنَ: الْقَسَمِ وَجَوَابِهِ وَاعْتَرَضَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ بَيْنَ: الصِّفَةِ وَالمَوْصُوفِ وَالمُرَادُ تَعْظِيمُ شَأْنِ مَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ مَوَاقِعِ النُّجُومِ وَتَأْكِيدُ إِجْلَالِهِ فِي النُّفُوسِ لَا سِيَّمَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً. أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف: 30ـ 31] و﴿أُولَئِكَ﴾ الخبر و﴿إنا لَا نُضِيعُ﴾ اعْتِرَاضٌ.

وَمِنْهَا: كَوْنُ الثَّانِي بَيَاناً لِلْأَوَّلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] فإنه اعتراض وقع بين قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ [البقرة: 222] وبين قوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 223] وَهُمَا مُتَّصِلَانِ مَعْنىً؛ لِأَنَّ الثَّانِيَ بَيَانٌ لِلْأَوَّلِ كَأَنَّهُ قِيلَ: فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ يَحْصُلُ مِنْهُ الحَرْثُ، وَفِيهِ اعْتِرَاضٌ بِأَكْثَرِ مِنْ جُمْلَةٍ.

وَمِنْهَا: تَخْصِيصُ أَحَدِ المَذْكُورَيْنِ بِزِيَادَةِ التَّأْكِيدِ عَلَى أَمْرٍ عُلِّقَ بِهِمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ﴾ [لقمان: 14]، فَاعْتَرَضَ بِقَوْلِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ بَيْنَ ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ وَبَيْنَ المُوصَى بِهِ، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ تذكيرُ الوَلَدِ بِمَا كَابَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ المَشَقَّةِ فِي حَمْلِهِ وَفِصَالِهِ، فَذِكْرُ الحَمْلِ وَالفِصَالِ يُفِيدُ زِيَادَةَ التَّوْصِيَةِ بِالأُمِّ لِتَحَمُّلِهَا مِنَ المَشَاقِّ وَالمَتَاعِبِ فِي حَمْلِ الْوَلَدِ مَا لَا يَتَكَلَّفُهُ الوَالِدُ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ التَّوْصِيَةُ بِالْأُمِّ ثَلَاثاً وبالأب مرة [2].

ومن الأمثلة في سورة الأعراف على الجملة الاعتراضية: قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2]، فالفَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلا يَكُنْ

---

(1) . انظر: البرهان في علوم القرآن 3: 57.

(2) . انظر: البرهان في علوم القرآن 3: 58.

فِي صَدْرِكَ﴾ اعتراضية، فالجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ فِعْلِ أُنْزِلَ وَمُتَعَلِّقِهِ وَهُوَ ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾، والِاعْتِرَاضُ قد يَكُونُ مُقْتَرِناً بِالْفَاءِ كَمَا قد يَكُونُ مُقْتَرِناً بِالْوَاوِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: 57] وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى﴾ [النِّساء: 135].

وَلَيْسَتِ الفَاءُ زَائِدَةً لِلِاعْتِرَاضِ وَلَكِنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى مَعنَى التَّسَبُّبِ، وَالِاعْتِرَاضُ حَصَلَ بِتَقْدِيمِ جُمْلَتِهَا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ مُبَادَرَةً مِنَ المُتَكَلِّمِ بِإِفَادَتِهِ لِأَهَمِّيَّتِهِ، وَأَصْلُ تَرْتِيبِ الكَلَامِ هُنَا: كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ.

فاللهُ أَنْزَلَ الكتابَ إِلَيْكَ لا لِيَكُونَ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ، بَلْ لِيَنْشَرِحَ صَدْرُكَ بِهِ [1].

ومن الأمثلة: قوله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]، فهي اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف: 31] وَبَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأعراف: 35] وذلك أن اللهَ تعالى لَمَّا نَعَى عَلَى المُشْرِكِينَ ضَلَالَهُمْ وَتَمَرُّدَهُمْ بَعْدَ أَنْ دَعَاهُمْ إِلَى الإِيمَانِ، ونَعَى إِعْرَاضَهُمْ عَنْهُ، بِالمُجَادَلَةِ وَالتَّوْبِيخِ وَإِظْهَارِ نَقَائِصِهِمْ بِالحُجَّةِ البَيِّنَةِ الواضحة، وَكَانَ حَالُهُمْ حَالَ مَنْ لا ينتفع بذلك أَعْقَبَ ذَلِكَ بِإِنْذَارِهِمْ وَوَعِيدِهِمْ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ [2].

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ﴾ [الأعراف: 36ـ 37]، فيجوز أنْ تكون جُمْلَةُ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى﴾ [الأنعام: 144] مُعْتَرِضَةً بَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [الأعراف: 36] وَجُمْلَةِ: ﴿أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ﴾ [3].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 39] فيمكن أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَذُوقُوا العَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ مِنْ كَلَامِ اللهِ سبحانه مُخَاطِباً بِهِ الفَرِيقَيْنِ، فَيَكُونُ عَطْفاً عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَقالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 12.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 102.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 8: 112.

فَضْلٍ﴾ جُمْلَةً مُعْتَرِضَةً بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ المُتَعَاطِفَتَيْنِ، وَعَلَى هذا يَكُونُ الأَمْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَذُوقُوا﴾ لِلتَّكْوِينِ وَالإِهَانَةِ [1].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42]، فقوله ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾ هذه جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، للترغيب في اكتساب ما لا يبلغ الواصف حقيقته من النعيم الخالد [2].

فجُمْلَةُ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ المُسْنَدِ إِلَيْهِ وَالمُسْنَدِ عَلَى طَرِيقَةِ الإِدْمَاجِ. وَفَائِدَةُ هَذَا الإِدْمَاجِ الرفق بِالمُؤْمِنِينَ، فإنه لَمَّا بَشَّرَهُمْ بِالجَنَّةِ عَلَى فِعْلِ الصَّالِحَاتِ بَشَّرَهم بِأَنه لا يطلب منهم مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَخْرُجُ عَنِ طاقتهم، فلا يصيبهم اليأس وإِنَّمَا يعملون مَا فِي وُسْعِهِمْ، فذَلِكَ يُرْضِي رَبَّهُمْ [3].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، فاتِسَاقُ النَّظْمِ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ﴾ حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42]، وَتَكُون جُمْلَةُ: ﴿وَنَزَعْنا﴾ مُعْتَرِضَةً بَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42]، وَجُمْلَةُ: ﴿وَقالُوا الحَمْدُ للهِ﴾، اعْتِرَاضاً بَيَّن الله تعالى بِهِ حَالَ نُفُوسِهِمْ فِي المُعَامَلَةِ فِي الجَنَّةِ، لِيُقَابِلَ ذلك الِاعْتِرَاضَ الَّذِي أُدْمِجَ فِي وَصْفِ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ، وَالمُبَيَّنُ بِهِ حَالُ نُفُوسِهِمْ فِي المُعَامَلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾ [الأعراف: 38] [4].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]، فجُمْلَةُ: ﴿تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾ تَذْيِيلٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَةِ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ﴾ وَجُمْلَةِ ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55]

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 125.

(2) . انظر: الكشاف 2: 104.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 8: 130.

(4) . انظر: التحرير والتنوير 8: 131.

فقَدْ تَهَيَّأَ المَقَامُ لِلتَّذْكِيرِ بِفَضْلِ اللهِ عَلَى النَّاسِ، بعد أنْ ذكرَ اللهَ سبحانه عَظِيمَ قُدْرَتِهِ وَسَعَةَ عِلْمِهِ وَإِتْقَانَ صُنْعِهِ [1].

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57]، فجُمْلَةُ: ﴿كَذلِكَ نُخْرِجُ المَوْتى﴾ مُعْتَرِضَةٌ اسْتِطْرَاداً لِلْمَوْعِظَةِ وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى قدرة الله تعالى على البَعْثِ الَّذِي يَسْتَبْعِدُونَهُ، وَالإِشَارَةُ بِـ ﴿كَذَلِكَ﴾ إِلَى الإِخْرَاجِ المُتَضَمِّنِ لَهُ فِعْلُ ﴿فَأَخْرَجْنا﴾ بِاعْتِبَارِ مَا قَبْلَهُ مِنْ كَوْنِ الْبَلَدِ مَيِّتاً، ثُمَّ إِحْيَائِهِ أَيْ إِحْيَاءِ مَا فِيهِ مِنْ أَثَرِ الزَّرْعِ وَالثَّمَرِ، فَوَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ الإِحْيَاءُ بَعدَ الموت، وَلا شَكَّ أَنَّ لِذَلِكَ الإِحْيَاءِ كَيْفِيَّةً قَدَّرَهَا اللهُ وَأَجْمَلَ ذِكْرَهَا لِقُصُورِ الأفْهَامِ عَنْ إدراكها [2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 58]، فهي جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿كَذلِكَ نُخْرِجُ المَوْتى﴾ [الأعراف: 57] وَبَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً﴾ [الأعراف: 59] تَتَضَمَّنُ تَفْصِيلاً لِمَضْمُونِ جُمْلَةِ: ﴿فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾ [الأعراف: 57] إِذْ قَدْ بَيَّنَ فِيهَا اخْتِلافَ حَالِ البَلَدِ الَّذِي يُصِيبُهُ مَاءُ السَّحَابِ، دَعَا إِلَى هَذَا التَّفْصِيلِ، فلَمَّا مثَّلَ إِخْرَاجَ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ بِإِخْرَاجِ المَوْتَى مِنْهَا يَوْمَ الْبَعْثِ تَذْكِيراً بِذَلِكَ لِلمُؤْمِنِينَ، وَإِبْطَالاً لدعوى المُشْرِكِينَ، مثَّلَ هُنَا بِاخْتِلَافِ حَالِ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الأَرْضِ اخْتِلَافَ حَالِ النَّاسِ الأَحْيَاءِ فِي الِانْتِفَاعِ بِرَحْمَةِ اللهِ وهديه، فَمَوْقِعُ قَوْلِهِ: ﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ كَمَوْقِعِ قَوْلِهِ: ﴿كَذلِكَ نُخْرِجُ المَوْتى﴾ [الأعراف: 57]، وَلِذَلِكَ ذُيِّلَ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿كَذلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ كَمَا ذُيِّلَ مَا قَبْلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كَذلِكَ نُخْرِجُ المَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57] [3].

ومن الأمثلة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78]، فجُمْلَةُ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ وَبَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ [الأعراف: 79]، وقد أُرِيدُ بِهذا الاعتراض التَّعْجِيلُ بِالخَبَرِ عَنْ نَفَاذِ الوَعِيدِ فِيهِمْ بِعَقِبِ عُتُوِّهِمْ، فَالتَّعْقِيبُ

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 170.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 183.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 8: 184.

عُرْفِيٌّ، أَيْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ العُقْرِ وَبَيْنَ الرَّجْفَةِ زَمَنٌ طَوِيلٌ، فهو ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، كَمَا في قوله سبحانه: ﴿فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65] [1].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146]، فيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ﴾ مِنْ خِطَابِ اللهِ تَعَالَى لرَسُوله مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَكُونُ الجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةً فِي أَثْنَاءِ قِصَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمُنَاسَبَةِ قَوْلِهِ: ﴿سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145] تَعْرِيضاً بِأَنَّ حَالَ مُشْرِكِي العَرَبِ كَحَالِ أُولَئِكَ الْفَاسِقِينَ، وَتَصْرِيحاً بِسَبَبِ عِنَادِهم وَإِعْرَاضِهم عَنِ الإِيمَانِ، فَتَكُونُ الجُمْلَة مستأنفة استئنافاً ابْتِدَائِيّاً، وعبَّر في قوله ﴿سَأَصْرِفُ﴾ بِسِينِ الِاسْتِقْبَالِ الْقَرِيبِ ليفيد أَنَّ اللهَ يُعَجِّلُ ذَلِكَ الصَّرْفَ [2].

وكذلك قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِماتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، فهَذِهِ الجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قَصَصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَتْ استطراداً لِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ النبي الْأُمِّي، وهي تذكير لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا وَعَدَ اللهُ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِيقَاظ لِأَفْهَامِهِمْ بِأَن مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مِصْدَاقُ الصِّفَاتِ الَّتِي عَلَّمَهَا اللهُ تعالى مُوسَى عليه الصلاة والسلام [3].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163]، فَجُمْلَة: ﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [الأعراف: 161] وهي وَاقِعَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قَصَصِ الِامْتِنَانِ وَقَصَصِ الِانْتِقَامِ الْآتِيَةِ فِي قَوْله تعالى: ﴿وَقَطَّعْناهُمْ﴾ [الأعراف: 168]، وَلعلَّ مُنَاسَبَةَ الِانْتِقَالِ إِلَى هَذِهِ القِصَّةِ أَنَّ فِي القِصَّتَيْنِ حَدِيثاً يَتَعَلَّقُ بِأَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى بَنِي إِسْرَائِيلَ [4].

([1]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 226.

([2]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 104.

([3]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 139.

([4]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 147.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169]، فجُمْلَةُ: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ﴾ جَوَابٌ عَنْ قَوْلِهِمْ: ﴿سَيُغْفَرُ لَنا﴾ إِبْطَالاً لِمَضْمُونِهِ، لِأَنَّ قَوْلَهُمْ: ﴿سَيُغْفَرُ لَنا﴾ يعني أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ وَعَدَهُمْ بِالمَغْفِرَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَهذه الجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ عند الإِخْبَارِ عَنِ الصَّالِحِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَالمَقْصُودُ مِنْ هذا الكلام إِعْلَام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَحُجَّهُمْ بِهَا، فَهُمُ المَقْصُودُون بِالكَلَامِ [1].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 174].

(وَجُمْلَةُ: ﴿وَكَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ، وَالْوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةٌ، وَتُسَمَّى وَاوَ الِاسْتِئْنَافِ أَيْ مِثْلُ هَذَا التَّفْصِيلِ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ أَيْ آيَاتِ القُرْآنِ) [2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187]، فجُمْلَةُ: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمواتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُعْتَرِضَةٌ لِإِفَادَةِ هَوْلِهَا، وَالإِيمَاءِ إِلَى حِكْمَةِ وسبب إِخْفَائِهَا.

وَفِعْلُ ﴿ثَقُلَتْ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِمُجَرَّدِ الإِخْبَارِ بِشِدَّةِ، أَمْرِهَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: 27]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعْجِيباً بِصِيغَةِ فَعُلَ ـ بِضَمِّ العَيْنِ ـ فَتُقَدَّرُ الضَّمَّةُ ضَمَّةَ تَحْوِيلِ الْفِعْلِ لِلتَّعْجِيبِ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ ضَمَّةٌ أَصْلِيَّةٌ فِي الفِعْلِ، فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ﴾ [الكهف: 5] [3].

وكذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196]، فجُمْلَةُ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ مُعْتَرِضَةٌ وَالْوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةٌ.

وَمَجِيءُ المُسْنَدِ فِعْلاً مُضَارِعاً لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِ هَذَا التَّوَلِّي وَتَجَدُّدِهِ وَأَنَّهُ سُنَّةٌ إِلَهِيَّةٌ، فَكَمَا تَوَلَّى النَّبِيَّ يَتَوَلَّى المُؤْمِنِينَ أَيْضاً، فهي بِشَارَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يَنْصُرَهُمُ اللهُ كَمَا نَصَرَ أنبياءَه [4].

([1]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 162.

([2]) . التحرير والتنوير 9: 170.

([3]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 203.

([4]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 224.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَهُمْ نائِمُونَ. أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: 97ـ 98]، قال الإمام الزمخشري: (والفاء والواو في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ و ﴿أَوَأَمِنَ﴾ حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار. فإن قلت: ما المعطوف عليه؟ ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله ﴿فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى﴾ إلى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما عطف بالفاء؛ لأنَّ المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى؟ وقرئ: أو أمن، على العطف بأو ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون) [1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102]، ﴿وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ أي وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعنى أنَّ أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان، ﴿وَإِنْ وَجَدْنا﴾ وإنّ الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين، خارجين عن الطاعة مارقين. والآية اعتراض. ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين، وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله وهم في حالة شدة وخوف، لئن أنجيتنا لنؤمننَّ، ثم لـمَّا نجاهم الله تعالى نكثوا، كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾، إلى قوله: ﴿إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [2].

وكذلك قوله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2]، ففي قوله: ﴿لتنذرَ به﴾ يجوز في متعلَّق هذه اللامِ ثلاثةُ أوجه: أحدها: أنها متعلقة بـ ﴿أُنْزِل﴾ أي: أُنْزِلَ إليك للإنذار، واللام في ﴿لتنذرَ﴾ منظوم بقوله ﴿أُنْزِل﴾ على التقديم والتأخير، على تقدير: (كتابٌ أُنزل إليك لتنذرَ به فلا يكن). وعلى هذا تكونُ جملةُ النهي معترضةً بين العلة ومعلولها.

والثاني: أن اللامَ متعلقةٌ بما تعلَّق به خبر الكون، إذ التقديرُ: فلا يكنْ حرجٌ مستقراً في صدرك لأجل الإنذار، فعلى هذا لا تكونُ الجملةُ معترضةً.

---

(1) . الكشاف 2: 134.

(2) . انظر: الكشاف 2: 136.

الثالث: أنها متعلقةٌ بنفس الكون، ويجوز أن تكونَ اللامُ صلةً للكون على معنى: فلا يكن في صدرك شيءٌ لتنذر، كما يقول الرجل للرجل: لا تكن ظالماً ليقضي صاحبك دَيْنَه، فَتَحْمِل لامَ كي على الكون [1].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42]، فقوله تعالى: ﴿والذين آمَنُوا﴾: مبتدأ ويجوز في الخبر وجهان، أحدهما: أنها الجملةُ من قولِه: ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْساً﴾ وعلى هذا فلا بد من عائدٍ وهو مقدر، وتقديره: نفساً منهم.

والثاني: أن الخبر هو الجملة من قوله: ﴿أولئك أَصْحَابُ﴾، وتكون هذه الجملة المنفيَّةُ معترضةً بينهما، وهذا الوجه أقرب [2].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذَن لَخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 90]، فقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَن لَخَاسِرُونَ﴾ إذن حرفُ جوابٍ وجزاء، وهي هنا معترضةٌ بين الاسم والخبر. وهناك مَن توهَّم فجعل «إذَن» هذه هي «إذا» الظرفية في الاستقبال مثل قولك: «ألزمُك إذا جئتني» أي وقتَ مجيئك [3].

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170]، فقوله تعالى: ﴿والذين يُمَسِّكُونَ﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه مبتدأ، ويجوز في خبره أوجه، أحدُهما: الجملة من قوله: ﴿إِنَّا لا نُضيع أَجْرَ المُصْلحين﴾ وفي الرابط حينئذ أقوال، أحدها: أنه ضميرٌ محذوفٌ لفَهْم المعنى. والتقدير: المُصْلحين منهم، وهذا على قواعد جمهور البصريين، وقواعد الكوفيين تقتضي أن أل قائمةٌ مَقام الضمير تقديره: أَجْر مصلحيهم كقوله: ﴿فَإِنَّ الجنة هِيَ المأوى﴾ [النازعات: 41]، أي: مَأْواه، وقوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأبواب﴾ [ص: 50]، أي أبوابها، وقوله: ﴿فِي أَدْنَى الأرض﴾ [الروم: 3]، أي أرضهم، إلى غير ذلك.

والثاني: أنَّ الرابطَ تكرُّرُ المبتدأ بمعناه نحو: زيد قام أبو عبد الله وهو رأيُ الأخفش، وهذا كما يُجيزه في الموصول نحو: أبو سعيدٍ الذي رويتُ عن الخدريّ، والحجَّاج الذي رأيت ابنُ يوسف.

الثالث: أنَّ الرابطَ هو العمومُ في ﴿المُصْلحين﴾.

---

(1) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. 5: 242.

(2) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 323.

(3) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 384.

والوجه الثاني من وجهَيْ الخبر: أنه محذوف تقديره: والذين يمسكون مأجورون أو مُثابون ونحوه، وقوله: ﴿إنَّا لا نضيع﴾ جملةٌ اعتراضية [1].

ومن الأمثلة على الاعتراض: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32]، فالآية اسْتِئْنَافٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الخِطَابَاتِ المَحْكِيَّةِ وَالمُوَجَّهَةِ، وَهُوَ مَوْضِعُ إِبْطَالِ مَزَاعِمِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ فِيمَا حَرَّمُوهُ مِنَ اللِّبَاسِ وَالطَّعَامِ، ولهذا ابْتدئَ الله تعالى الكَلَام مبيِّناً أن اللِّبَاسَ هو نعْمَة من الله سبحانه. وَثنَّى بِالأَمر بِإِيجَاب التَّسَتُّرِ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد، وَثلَّثَ بإنكار دعواهم بتَحْرِيم اللِّبَاسِ، وَافتتاح الجُمْلَة بِـ ﴿قُلْ﴾ يدل عَلَى أن الكلام جاء لِلرَّدِّ وَالإِنْكَارِ عليهم [2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46]، فهذه الجُمْلَةُ: ﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ لِلْبَيَانِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ سبحانه: ﴿وَنادَوْا أَصْحابَ الجَنَّةِ﴾ يُثِيرُ سُؤَالاً: هل سيصيرون إِلَى الجَنَّةِ أَم لا؟ وَجُمْلَةُ: ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ يَدْخُلُوها وَالجُمْلَتَانِ مَعاً مُعتَرِضَتانِ بَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿وَنادَوْا أَصْحابَ الجَنَّةِ﴾ وَجُمْلَةُ: ﴿وَإِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ﴾ [3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: 51]، فقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾، هو اعْتِرَاضٌ حُكِيَ بِهِ كَلَامٌ مِنْ جَانِبِ اللهِ تَعَالَى، يَسْمَعُهُ الفَرِيقانِ. وَتَغْيِيرُ أُسْلُوبِ الكَلَامِ هو القَرِينَةُ عَلَى اخْتِلَافِ المُتَكَلِّمِ، وَتكون الفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ عَلَى قَوْلِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ: ﴿إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً﴾، وَهَذَا العَطفُ بِالفَاءِ يُسَمَّى بِعَطْفِ التَّلْقِينِ الذي يُمثَّلَ لَهُ غَالِباً بِمَعْطُوفٍ بِالْوَاوِ فَهُوَ عَطْفُ كَلَامِ مُتَكَلِّمٍ عَلَى كَلَامِ مُتَكَلِّمٍ آخَرَ، فيكون تَقْدِيرُ الكَلَامِ: قَالَ اللهُ فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ، فَحَذَفَ فِعْلَ الْقَوْلِ، وَهَذَا تَصْدِيقٌ لِأَصْحَابِ الجَنَّةِ [4].

---

(1) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 508.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 95.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 8: 143.

(4) . انظر: التحرير والتنوير 8: 150.

ومن الأمثلة: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]، فالآية اسْتِئْنَافٌ جَاءَ مُعْتَرِضاً بَيْنَ ذِكْرِ دَلَائِلِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى بِذِكْرِ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الخلق من غير مثال سابق، فَالجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَةِ ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ﴾ [الأعراف: 54] وَجُمْلَةِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ﴾ [الأعراف: 57]، وهذا الِاعْتِرَاضُ هو عَلَى عادَةِ القُرْآنِ فِي انتهاز فرص تهيؤ الْقُلُوبِ لِلذِّكْرَى [1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، فجملة ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها﴾، معطوفة عَلَى جُمْلَةِ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55] عَلَى طَرِيقَةِ الِاعْتِرَاضِ، لأنَّ الكَلَامَ لَمَّا بيَّنَ عِنايَةَ اللهِ بِالمُسْلِمِينَ وَتَقْرِيبه لهم حين أَمَرَهُمْ بدعائه وَشَرَّفَهُمْ بِذَلِكَ فِي قَوْله: ﴿رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف: 55]، وَعَرَّضَ لَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُمْ دُونَ أَعْدَائِهِمُ المُعْتَدِينَ، أَعْقَبَهُ بِمَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الإِدْلَالِ عَلَى اللهِ بِالِاسْتِرْسَالِ فِيمَا تُمْلِيهِ عَلَيْهِمْ شَهَوَاتُهُمْ فَذَكَّرَهُمْ بِتَرْكِ الإِفسادِ حتى لا يخالط صلاحهم أي فساد؛ لأنهم إِنْ أَفْسَدُوا فِي الأَرْضِ أَفْسَدُوا مَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةً وَأَفْسَدُوا أَنْفُسَهُمْ ضِمْنَ ذَلِكَ الإِفْسَادِ، فَأَشْبَهَ مَوْقِعَ الِاحْتِرَاسِ، وهكذا عادة القُرْآنِ أَنْ يقرن التَّرْغِيبَ بِالتَّرْهِيبِ، حتى لا يَقَعَ النَّاسُ فِي اليَأسِ أَوِ الأَمْنِ [2].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]، يَجُوزُ فِي قَوْله: ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون عَطْفاً عَلَى قَوْله: ﴿اعْبُدُوا﴾ [الأعراف: 65] وَيَكُونَ مَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضاً حُكِيَ بِهِ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ مِنَ المُحَاوَرَةِ الَّتِي قَاطَعُوهُ بِهَا بعد قَوْلِهِ لَهُمُ: ﴿اعْبُدُوا اللهَ﴾ [الأعراف: 65]، فَلَمَّا أَتَمَّ جَوَابَهُمْ عَمَّا قَاطَعُوا بِهِ كَلَامَهُ عَادَ إِلَى دَعْوَتِهِ، فَيَكُونُ رُجُوعاً إِلَى الدَّعْوَى.

والوجه الثاني: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْله: ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ عَطْفاً عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَيْ: لَا تُنْكِرُوا أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ، فَيَكُونُ تَكْمِلَةً لِلِاسْتِدْلَالِ، وَانْتَقَلَ مِنْ أَمْرِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ إِلَى تَذْكِيرِهِمْ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمُ الَّتِي لَا يُنْكِرُونَ

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 170.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 173.

أَنَّهَا مِنْ نِعَمِ اللهِ دُونَ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الخَلْقَ وَالأَمْرَ للهِ لَا لِغَيْرِهِ، تَذْكِيراً لهم مِنْ شَأْنِهِ أن يدعوهم ذلك إِلَى إِفْرَادِ اللهِ تَعَالَى بِالعِبَادَةِ [1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَلِقاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 147]، يجوز في هذه الجملة ثلاثة أوجه: الأول: أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الجُمْلَةُ مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةِ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ﴾ [الأعراف: 146] إِلَى آخِرِ الآيَاتِ عَلَى الوَجْهَيْنِ السَّابِقَيْنِ.

والوجه الثاني: يجوز أَن تكون مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةِ: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ [الأعراف: 146].

والوجه الثالث: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تَذْيِيلاً مُعْتَرِضاً بَيْنَ القِصَّتَيْنِ وَتَكُونَ الوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةً، وَأَيّاً مَا كَانَ فالمقصود هو الإِخْبَارُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ هُوَ الغَالِبَ عَلَى المُتَكَبِّرِينَ الجَاحِدِينَ لِلآيَاتِ، وَكَانَ لَا تَخْلُو جَمَاعَةُ المُتَكَبِّرِينَ مِنْ فَرِيقٍ قَلِيلٍ يَتَّخِذُ سَبِيلَ الرُّشْدِ عَنْ حِلْمٍ وَحُبٍّ لِلْمَحْمَدَةِ، وَهُمْ بَعْضُ سَادَةِ المُشْرِكِينَ وَعُظَمَاؤُهُمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ، فقَدْ يَحْسَبُ السَّامِعُ أَنْ أَعْمَالَهُم سَتَنْفَعُهُمْ، ولهذا أُزِيلَ هَذَا التَّوَهُّمُ بِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَنْفَعُهُمْ مَعَ التَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَاءِ الآخِرَةِ، وبيَّن أَنَّ التَّكْذِيبَ هُوَ سَبَبُ إحباط أَعْمَالِهِمْ، وعبَّر عن ذلك بِتَعْرِيفِهِمْ بِطَرِيقِ المَوْصُولِيَّةِ، دُونَ الإِضْمَارِ، مَعَ تَقَدُّمِ ذِكْرِهِمُ المُقْتَضِي بِحَسَبِ الظَّاهِرِ الإِضْمَارَ، فَخُولِفَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ لِذَلِكَ [2].

وبعد الكلام عن الفصل بالجملة المعترضة وعن أهم أغراض وأسباب الاعتراض، وأمثلة ذلك في سورة الأعراف أنتقل إلى الحديث عن الفصل بالاستثناء المنقطع.

المطلب الثالث: الفصل بالاستثناء المنقطع

الاستثناء المنقطع هو ما كان المستثنى فيه من غير جنس المستثنى منه، ومن أمثلته قولُه تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [النساء: 157] وقولُه تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى. إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى. وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: 19ـ 21].

وللعرب في هذا النوع من الاستثناء مذهبان:

أحدهما: وجوب النصب وهي لغة الحجازيين.

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 204.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 107.

والآخر: جواز الإتباع بأن يكون المستثنى تابعاً للمستثنى منه؛ رفعاً أو نصباً أو جرّاً، وهي لغة تميم.

فالمستثنى هو تابع للمستثنى منه على البدلية ولكلٍّ وجهٌ، فقد أوجب الحجازيون النصب؛ لأنه لا يصح الإبدال فيه حقيقةً من جهة أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، وقد قال سيبويه في (الكتاب): (وكرهوا أن يُبدلوا الآخر من الأول، فيصير كأنه من نوعه؛ فحُمِلَ على معنى: ولكنَّ، وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم). انتهى.

وأجاز بنو تميم الإتباعَ، والباعثُ عليه واحد من ثلاثة: إما الحمل على المعنى؛ لأن المقصود هو المستثنى فالقائل: ما في الدار أحد إلا حمار، بالرفع على لغة بني تميم، كأنه أراد: ما في الدار إلا حمار، وأُدخلت أحد توكيداً، وإما أنهم جعلوا الحمار من جنس أحد على سبيل المجاز، وإما أنهم خلطوا من بعض ما يعقل بما لا يعقل فغلَّبوا مَن يعقل، فقالوا: ما فيها أحد. وهم يريدون من يعقل ومن لا يعقل ثم أبدلوا من أحد على هذا التأويل، واللغتان متقاربتان فلا يجوز ردُّ إحداهما بالأخرى؛ لأن سعة القياس تُبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم [1].

ولم يغفل النحاة بيان معنى (إلا) في الاستثناء المنقطع، فتقدر عند البصريين بـ (لكن) المشددة؛ لأنه في حكم جملة منفصلة عن الاولى، فقولك: (ما في الدار أحد إلا حماراً)، في تقدير: (لكن فيها حمار)، على أنه استدراك يخالف ما بعد (لكن) فيه ما قبلها. إلا أن التركيب اللغوي يختلف في حالة الاستدراك بـ (إلا) عنه في حالة (لكن)، إذ يقع بعد هذه كلام تام، أما (إلا) فلا يقع بعدها غير المفردات، ولذلك سمي الاستدراك بها في هذه الحالة استثناءً؛ لشبهه بالاستثناء الحقيقي.

وأما الكوفيون فإنهم يقدرون (إلا) بمعنى (سوى)، وقال غيرهم: (إلا) مع الاسم الواقع بعدها في الانقطاع يعد كلاماً مستأنفاً. ويفسر سيبويه مجيء المستثنى منصوباً في المنقطع غير مبدل في لهجة أهل الحجاز بأنهم كرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول، فيصير كأنه من نوعه، فحمل

---

(1) . انظر: الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ) 1: 290. وشرح المفصل للزمخشري لأبي البقاء يعيش بن علي موفق الدين الأسدي الموصلي، (المتوفى: 643هـ) 2: 53. وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى 767 هـ)، 1: 382.

على معنى (ولكن). ويرى أن بني تميم - في إتباعهم للمستثنى منه على البدلية - كأنهم يَعُدُّونه من جنس المستثنى منه [1].

ومن الأمثلة على الاستثناء المنقطع في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89]، فقوله: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ﴾ في هذا الاستثناء وجهان، أحدهما: أنه متصل. والثاني: أنه منقطعٌ. فأما القائلون بأنه استثناء متصل فهم مختلفون فمنهم مَنْ قال: هو مستثنى من الأوقات العامة، والتقدير: وما يكونُ لنا أن نعود فيها في وقتٍ من الأوقات إلا في وقت مشيئة الله ذلك، وهذا متصورٌ في حَقِّ مَنْ عدا شعيباً، فإن الأنبياءَ لا يشاء الله ذلك لهم لأنه عَصَمهم، ومنهم مَنْ قال: هو مستثنى من الأحوال العامة، والتقدير: ما يكونُ لنا أن نعودَ فيها في كل حال إلا في حال مشيئة الله تعالى.

ويُحتمل أن يريدَ استثناءَ ما يمكن أن يَتَعَبَّد الله به المؤمنين ممَّا تفعلُه الكفرةُ من القُرُبات فلمَّا قال لهم: إنَّا لا نعودُ في مِلَّتكم، ثم خشي أن يُتَعَبَّد الله بشيءٍ من أفعال الكفرة فيعارض ملحدٌ بذلك ويقول: هذه عودةٌ إلى مِلَّتِنا استثنى مشيئة الله فيما يمكن أن يُتَعَبَّدَ به [2].

قال أبو إسحاقَ الزَّجَّاجُ: أَيْ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَي وما يَقَعُ مِنَّا العَوْدُ إِلى الكُفْرِ إِلَّا أَنْ يشاءُ اللهُ ذلك. فالاستثناءُ مُنْقَطِعٌ. وَقِيلَ: الاستثناء هنا على جِهَةِ التَّسْلِيمِ للهِ عزَّ وجلَّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ﴾ [هود: 88]. وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ بَعْدَهُ ﴿وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا﴾ [الأعراف: 89].

وقيل: هو كقولك ألا أُكَلِّمُكَ حَتَّى يَبْيَضَّ الْغُرَابُ، وَحَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ. وَالغُرَابُ لَا يَبْيَضُّ أَبَداً، والجمل لا يمكن أن يلج (فِي سَمِّ الخِياطِ) [3].

ومن الأمثلة كذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

---

(1) . انظر: البحث البلاغي عند الأصوليين، لحسن هادي محمد عباس التميمي. اسم المشرف: أ. م. د. عبد الرحمن شهاب أحمد. ص 95.

(2) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 382.

(3) . انظر: الجامع لأحكام القرآن 7: 250.

[الأعراف: 188]، فقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يجوز في هذا الاستثناء وجهان، الأول: وهو الأظهر: أنه استثناء متصل، أي: إلا ما شاء الله تمكيني منه فإني أملكه.

والوجه الثاني: أنه استثناء منقطعٌ، وبه قال ابن عطية، وسبقه إليه مكيّ [1].

وبعد الكلام عن الفصل بالاستثناء المنقطع ومذهب العرب فيه، وأمثلة ذلك في سورة الأعراف أنتقل إلى الحديث عن الفصل بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل).

المطلب الرابع: الفصل بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل)

(أم) إما أنْ تكونَ متصلةً عاطفةً في الاستفهام، وتقع بين المفردَيْن والجملتَيْن ويكون الكلام بها متعادلاً، والجملة التي بعدها مع ما قبلها في تقدير المفردين، وتتقدر مع حرف الاستفهام بـ (أيهما أو أيهم)، وجوابها أحد الشيئين والأشياء، فتقول: (أقام زيد أم عمرو؟)، ومعناه أيُّهما قام، و(أقام زيد أم قعد)، ومعناه: أيهما فَعَل.

والأحسن فيها تقدُّم الذي يسأل عنه من اسم أو فعل، مثل (أزيد قام أم عمرو) و(أقام زيد أم قعد)، ويجوز خلاف ذلك.

وإما أنْ تكونَ منفصلةً فلا تكون عاطفةً، ويقع قبلها الاستفهام وغيره، فتقول: (أقام زيد أم انطلق عمرو) و(يقوم زيد أم ينطلق عمرو). ولا يقع بعدها إلا الجملة المنفصلة من الأول، وتتقدر بـ (بل)، والهمزة في موضع، ودون همزة في موضع، فمعناها الإضراب عن الأول والرجوع إلى الثاني باستفهام أو غيره، خلاف ما ذكره أكثرهم أنها تتقدر بـ (بل) والهمزة معاً.

فأما ما تتقدر فيه بـ (بل) خاصة، فمثل قوله تعالى: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 59]، وقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [النمل: 60]، الأولى متصلة، والثانية منفصلة، والمعنى (بل الذي خلق السموات والأرض خير)، فلا استفهام هنا، ويقع الجواب بعد هذه المنفصلة بـ نعم ولا إذا تقدَّمها الاستفهام؛ لأن الكلام جملتان يصح الجواب عن كل واحدة منهما بـ نعم وحدها أو لا [2].

قال ابن هشام (المتوفى: 761هـ): (وَمعنى أم المنقطعة الَّذِي لَا يفارقها الإضراب، ثمَّ تَارَة تكون لَهُ مُجَرداً، وَتارَة تَتَضَمَّن مَعَ ذَلِك استفهاماً إنكارياً أَو استفهاماً طلبياً، فَمن الأول: ﴿قُلْ

---

(1) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 532.

(2) . انظر: رصف المباني ص178.

هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ﴾ [الرعد: 16]، أما الأولى فَلِأَن الِاسْتِفْهَام لَا يدْخل على الِاسْتِفْهَام، وَأما الثَّانِيَة فَلِأَن المَعْنى على الإِخْبَار عَنْهُم باعتقاد الشُّرَكَاء قَالَ الفراء: يَقُولُونَ: هَل لَك قبلنَا حق أم أَنْت رجل ظَالِم يُرِيدُونَ بل أَنْت، وَمن الثَّانِي: ﴿أَمْ لَهُ البَنَاتُ وَلَكُمُ البَنُونَ﴾ [الطور: 39] تَقْدِيره بل أَله الْبَنَات وَلكم البنون إِذْ لَو قدرت للإضراب الْمَحْض لزم المحَال...

وَنقل ابْن الشجري عَن جَمِيع الْبَصرِيين أَنَّهَا أبداً بِمَعْنى (بل) والهمزة جَمِيعاً وَأَن الْكُوفِيّين خالفوهم فِي ذَلِك، وَالَّذِي يظْهر لي قَوْلهم؛ إِذ المَعْنى فِي نَحْو ﴿أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ﴾ لَيْسَ على الِاسْتِفْهَام، وَلِأَنَّهُ يلْزم البَصرِيين دَعْوَى التوكيد فِي نَحْو: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ وَنَحْو ﴿أَم ماذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 84] ﴿أَم مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾ [الملك: 20]) [1].

ومن الأمثلة في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [الأعراف: 195]، فهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَتعجُّب وَتَبْيِينُ أَنَّهُمْ جَمَادٌ لَا حَرَاكَ لَهُمْ وَأَنَّهُمْ فَاقِدُونَ لهذه الأعضاء وفاقدون للانتفاع بها، وَهَذَا الِاسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ الإِنْكَارُ عليهم قَدْ يَتَوَجَّهُ الإِنْكَارُ فِيهِ إِلَى انْتِفَاءِ هَذِهِ الأَعْضَاءِ وَانْتِفَاءِ مَنَافِعِهَا فَيَتَسَلَّطُ النَّفْيُ عَلَى المَجْمُوعِ؛ لِأَنَّ تَصْوِيرَهُمْ هَذِهِ الأَعْضَاءَ لِلْأَصْنَامِ لَيْسَتْ أَعْضَاءً حَقِيقَةً.

وَقَدْ يَتَوَجَّهُ النَّفْيُ إِلَى الوَصْفِ أَيْ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ مُصَوَّرَةً فَقَدِ انْتَفَتْ هَذِهِ المَنَافِعُ الَّتِي لِلأَعْضَاءِ وَالمَعنَى أَنَّكُمْ أَفْضَلُ مِنَ الأصنام بهذه الْأَعْضَاءِ النَّافِعَةِ.

وأَمْ هُنَا مُنْقَطِعَةً، فَتُقَدَّرُ بِبَلْ وَالْهَمْزَةِ، وَهُوَ إِضْرَابٌ عَلَى مَعْنَى الِانْتِقَالِ لَا عَلَى مَعْنَى الْإِبْطَالِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَقْدِيرٌ عَلَى نَفْيِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الجُمَلِ [2].

فـ (بل) للإضراب الذي يفيد الانتقال من فنٍّ من التبكيت بعد تمامِه إلى فن آخرَ منه [3].

وقال ابن عاشور: (و(أَمْ) حَرْفٌ بِمَعْنَى (أَوْ) يَخْتَصُّ بِعَطْفِ الِاسْتِفْهَامِ، وَهِيَ تَكُونُ مِثْلَ (أَوْ) لِأَحَدِ الشَّيْئَيْنِ أَوِ الْأَشْيَاءِ، وَلِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، أَوِ الْإِبَاحَةِ أَيِ الْجَمْعِ بَيْنَهَا، فَإِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ هَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ الْمَطْلُوبُ بِهَا التَّعْيِينُ كَانَتْ مِثْلَ (أَوْ) الَّتِي لِلتَّخْيِيرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ آللهُ أَذِنَ

---

(1) . مغني اللبيب: 66.

(2) . انظر: البحر المحيط 5: 251.

(3) . انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3: 306.

لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يُونُس: 59] أَيْ عَيِّنُوا أَحَدَهُمَا، وَإِنْ وَقَعَتْ بَعْدَ اسْتِفْهَامٍ غير حَقِيقِيّ كَانَت بِمَعْنَى (أَو) الَّتِي لِلْإِبَاحَةِ، وَتُسَمَّى، حِينَئِذٍ مُنْقَطِعَةً وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ إِنَّهَا بِمَعْنَى (بَل) الِانْتِقَالِيَّةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهِيَ مُلَازِمَةٌ لِمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ فَكُلَّمَا وَقَعَتْ فِي الْكَلَامِ قُدِّرَ بَعْدَهَا اسْتِفْهَامٌ، فَالتَّقْدِيرُ هُنَا، بَلْ أَلَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا، بَلْ أَلَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا، بَلْ أَلَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا [1].

أما الفصل بـ (بل) ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: 81]، فـ (بَلْ) يفيد الإضرابَ الانتِقَالِيَّ، لِلِانْتِقَالِ مِنْ غَرَضِ الإِنْكَارِ إِلى غَرَضِ الذَّمِّ وَالتَّحْقِيرِ والتبيين لحَقِيقَةِ حَالِهِمْ [2].

وكذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]، فـ (بَلْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ تفيد الانتقال وَالتَّرَقِّي فِي التَّشْبِيهِ فِي الضَّلَالِ وَعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِمَا يُمْكِنُ الِانْتِفَاعُ بِهِ، وَلَمَّا كَانَ وَجْهُ الشَّبَهِ الذي يفيده قَوْله: ﴿كَالْأَنْعامِ﴾ يؤول إِلَى مَعْنَى الضَّلَالِ، كَانَ الارتِقاءُ فِي التَّشْبِيهِ بِطَرِيقَةِ اسمِ التَّفْضِيلِ فِي الضَّلَالِ [3].

وبعد الحديث عن الفصل بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل)، وأمثلة ذلك في سورة الأعراف أنتقل إلى الكلام عن الفصل بـ (حتى الابتدائية).

المطلب الخامس: الفصل بـ: (حتى الابتدائية)

(حتى) حرف، له عند البصريين ثلاثة أقسام: يكون حرف جر، وحرف عطف، وحرف ابتداء. وزاد الكوفيون قسماً رابعاً، وهو أن يكون حرف نصب، ينصب الفعل المضارع. وزاد بعض النحويين قسماً خامساً، وهو أن يكون بمعنى الفاء. فأما القسم الأول فهو: حتى الجارة. ومعناها انتهاء الغاية. ومذهب البصريين أنها جارة بنفسها. وقال الفراء: تخفض، لنيابتها عن إلى. وربما أظهروا (إلى) بعدها. قالوا: جاء الخبر حتى إلينا. جمعوا بينهما على تقدير إلغاء أحدهما.

---

(1) . التحرير والتنوير 9: 222.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 231.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 9: 184.

ومجرورها إما اسم صريح، مثل: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: 35]، أو مصدر مؤول من أن والفعل المضارع، مثل: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: 214]، لأن التقدير: حتى أن يقول.

هذا مذهب البصريين. وزاد ابن مالك، في أقسام مجرورها، أن يكون مصدراً مؤولاً من أن وفعل ماض، مثل: ﴿حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا﴾ [الأعراف: 95]. قال أبو حيان: ووهم في هذا؛ لأن حتى ههنا ابتدائية، وأن غير مضمرة بعدها.

وأما القسم الثاني فهو: حتى العاطفة، نحو: قدم الحجاج حتى المشاة، ورأيت الحجاج حتى المشاة، ومررت بالحجاج حتى المشاة. فهذه حرف عطف، تشرك في الإعراب والحكم. وقد روى سيبويه، وغيره من أئمة البصريين، والعطف بها. وخالف الكوفيون، فقالوا: حتى ليست بعاطفة. ويعربون ما بعدها، على إضمار عامل.

وأما القسم الثالث فهو: حتى الابتدائية. وليس المعنى أنها يجب أن يليها المبتدأ والخبر. بل المعنى أنها صالحة لذلك. وهي حرف ابتداء، يستأنف بعدها الكلام، فيقع بعدها المبتدأ والخبر.

ويليها الجملة الفعلية، مصدرة بمضارع مرفوع، مثل: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ﴾، على قراءة الرفع، أو بماض، مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا﴾.

والجملة بعدها لا محل لها من الإعراب، خلافاً للزجاج. فإنه ذهب إلى أن حتى هذه جارة، والجملة في موضع جر بـ (حتى). وهو ضعيف. قال ابن الخباز: لأنه يفضي إلى تعليق حرف الجر عن العمل، وذلك غير معروف.

وحتى هذه ـ الابتدائية ـ تدخل على جملة مضمونها غاية لشيء قبلها، فتشارك الجارة والعاطفة، في معنى الغاية.

وأما القسم الرابع: فهو حتى الناصبة للفعل. هذا القسم أثبته الكوفيون. فإن حتى عندهم تنصب الفعل المضارع بنفسها. وأجازوا إظهار أن بعدها توكيداً. ومذهب البصريين أنها هي الجارة، والناصب أن مضمرة بعدها.

ويتعلق بها مسألتان: الأولى: في معناها. والمشهور أنَّ لها معنيين: أحدهما: الغاية، مثل: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه: 91]. والثاني: التعليل، مثل: (لأسيرن حتى أدخل المدينة). وعلامة كونها للغاية أن يحسن في موضعها (إلى أن)، وعلامة كونها للتعليل أن يحسن في موضعها (كي).

وزاد ابن مالك في التسهيل معنى ثالثاً، وهو أن تكون بمعنى (إلا أن)، فتكون بمعنى الاستثناء المنقطع.

وأما القسم الخامس فهو: حتى التي بمعنى الفاء، حتى إذا رفع المضارع بعدها لكونه حالاً، أو مؤولاً به، فهي كالفاء في إفادة معنى السببية. وتصلح الفاء في موضعها، ولكنها مع ذلك حرف ابتداء، لا حرف عطف، لأن حتى العاطفة لا تعطف الجمل عند الجمهور.

وذهب أبو الحسن إلى أنها إذا كانت بمعنى الفاء فهي عاطفة، وتعطف الفعل. وذلك إذا دخلت على الماضي، أو المستقبل، على جهة وتعطف الفعل على الفعل. وذلك إذا دخلت على الماضي، أو المستقبل، على جهة السبب. مثل: (ضربت زيداً حتى بكى. ولأضربنه حتى يبكي). وثمرة الخلاف أنَّ الأخفشَ يجيز الرفع في يبكي، على العطف، والجمهور لا يجيزون فيه إلا النصب [1].

وحرف (حتى) يَأْتِي لأحد ثَلَاثَة معَان: الأول: انْتِهَاء الغَايَة وَهُوَ الغَالِب في معناها، وَالثاني: معنى التَّعْلِيل، والثالث: بِمَعْنى إِلَّا فِي الِاسْتِثْنَاء، وَهَذَا أقلُّهَا [2].

ومن الأمثلة في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 37]، فقوله (﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ حتى تفيد الغاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له، أي إلى وقت وفاتهم، وهي «حتى» التي يبتدأ الكلام بعدها [3].

وقال أبو حيان: (وَوَقَعَ فِي التَّحْرِيرِ حَتَّى هُنَا لَيْسَ بِغَايَةٍ بَلْ هِيَ ابْتِدَاءٌ وَجَرٌّ وَالجُمْلَةُ بَعْدَهَا فِي مَوْضِعِ جَرٍّ، وَهَذَا وهم بل معناها هنا الْغَايَةُ، وَالخِلَافُ فِيهَا إِذَا كَانَتْ حَرْفَ ابْتِدَاءٍ أَهِيَ حَرْفُ جَرٍّ وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا فِي مَوْضِعِ جَرٍّ وَتَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهَا كَمَا تَتَعَلَّقُ حُرُوفُ الجَرِّ؟ أَمْ لَيْسَتْ حَرْفَ جَرٍّ وَلَا تَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهَا تَعَلُّقَ حُرُوفِ الجَرِّ مِنْ حَيْثُ المَعنَى لَا مِنْ حَيثُ الإِعرابِ؟ قَوْلَانِ: الأَوَّلُ لِابْنِ دُرُسْتَوَيْهِ وَالزَّجَّاجِ، وَالثَّانِي لِلجُمْهُورِ، وَإِذَا كَانَتْ حَرْفَ ابْتِدَاءٍ فَهِيَ لِلْغَايَةِ... قَالَ الحَوْفِيُّ: وَحَتَّى غَايَةٌ متعلقة بينا لهم فَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ أَنْ يُرِيدَ التَّعَلُّقَ الصِّنَاعِيَّ وَأَنْ يُرِيدَ التَّعَلُّقَ الْمَعْنَوِيَّ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَنَالُهُمْ حَظُّهُمْ مِمَّا كُتِبَ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ رُسُلُ الْمَوْتِ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ

---

(1) . انظر: الجنى الداني ص 542.

(2) . انظر: مغني اللبيب ص166.

(3) . انظر: الكشاف 2: 102.

فَيَسْأَلُونَهُمْ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيرٍ أَيْنَ مَعْبُودَاتُكُمْ مَنْ دُونِ اللهِ؟ فَيُجِيبُونَ بِأَنَّهُمْ حَادُوا عَنَّا وَأَخَذُوا طَرِيقاً غَيْرَ طَرِيقِنَا أَوْ ضَلُّوا عَنَّا هَلَكُوا وَاضْمَحَلُّوا) [1].

و(حَتَّى) هنا ابْتِدَائِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الوَاقِعَ بَعْدَهَا جُمْلَةٌ فَتُفِيدُ السَّبَبِيَّةَ، فَالمَعْنَى: فَإِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا..

و(حتّى) الِابْتِدَائِيَّةُ لَهَا صَدْرُ الكَلَامِ، فَالغَايَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا هِيَ غَايَةُ مَا يُخْبِرُ بِهِ المُخْبِرُ، وَلَيْسَتْ غَايَةَ مَا يَبْلُغُ إِلَيْهِ المَعْطُوفُ عَلَيْهِ بِـ (حَتَّى)؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لا يُلْتَزَمُ إلا إِذَا كَانَتْ حَتَّى عَاطِفَةً، وَلَا تُفِيدُ إِلَّا السَّبَبِيَّةَ فَهِيَ لَا تُفِيدُ أَكْثَرَ مِنْ تَسَبُّبِ مَا قَبْلَهَا فِيمَا بَعْدَهَا.

وَإِنَّمَا وَجَبَ مَعَ الرَّفْعِ السَّبَبِيَّةُ؛ لِأَنَّ الِاتِّصَالَ اللَّفْظِيَّ لَمَّا زَالَ بِسَبَبِ الِاسْتِئْنَافِ شُرِطَ السَّبَبِيَّةُ الَّتِي هِيَ مُوجِبَةٌ لِلِاتِّصَالِ الْمَعْنَوِيِّ، جَبْراً لِمَا فَاتَ مِنَ الِاتِّصَالِ اللَّفْظِيِّ.

و(حتّى) الِابْتِدَائِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَضْمُونَ الكَلَامِ الَّذِي بَعْدَهَا أَهَمُّ بِالِاعْتِنَاءِ لِلْإِلْقَاءِ عِنْدَ المُتَكَلِّمِ؛ لِأَنَّهُ أَجْدَى فِي الغَرَضِ المَسُوقِ لَهُ الكَلَامُ [2].

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38]، فـ (حَتَّى) غَايَةٌ لِمَا قَبْلَهَا، وَالمَعْنَى أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي النار فَوْجاً فَفَوْجاً يلعن بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَى انْتِهَاءِ تَدَارُكِهِمْ وَتَلَاحُقِهِمْ فِي النَّارِ وَاجْتِمَاعِهِمْ فِيهَا [3].

وَ(حَتَّى) ابْتِدَائِيَّةٌ، فَهِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، و(حَتَّى) الِابْتِدَائِيَّةَ تُفِيدُ مَعْنَى التَّسَبُّبِ، أَيْ تَسَبُّبِ مَضْمُونِ مَا قَبْلَهَا فِي مَضْمُونِ مَا بَعْدَهَا، فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُتَرَتِّبَةً فِي الْمَعْنَى عَلَى مَضْمُونِ قَوْلِهِ: ﴿قالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُتَرَتِّبَةً عَلَى مَضْمُونِ قَوْلِهِ: ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾ [4].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57]، فـ (حَتَّى) هنا ابْتِدَائِيَّةٌ وَهِيَ غَايَةٌ لمضمون قَوْله: ﴿بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ

---

(1). البحر المحيط 5: 47.

(2). انظر: التحرير والتنوير 8: 116.

(3). انظر: البحر المحيط 5: 49.

(4). انظر: التحرير والتنوير 8: 121.

رَحْمَتِهِ﴾، الَّذِي هُوَ فِي مَعْنَى مُتَقَدِّمَةً رَحْمَتَهُ، أَيْ تَتَقَدَّمُهَا مُدَّةً وَتَنْشُرُ أَسْحِبَتَهَا ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً﴾ أَنْزَلْنَا بِهِ المَاءَ، فَإِنْزَالُ المَاءِ هُوَ غَايَةُ تَقَدُّمِ الرِّيَاحِ وَسَبْقِهَا المَطَرَ.

والغَايَةُ هنا مُجَزَّأَةٌ إلى أجزاء، فَأَوَّلُهَا مَضْمُونُ قَوْلِهِ: ﴿أَقَلَّتْ﴾ أَيِ الرِّيَاحُ السَّحَابَ، ثُمَّ مَضْمُونُ قَوْلِهِ: ﴿ثِقالاً﴾، ثُمَّ مَضْمُونُ قوله: ﴿سُقْناهُ﴾ أَيْ إِلَى البَلَدِ الَّذِي أَرَادَ اللهُ غَيْثَهُ، ثُمَّ أَنْ يَنْزِلَ مِنْهُ الْمَاءُ. فكُلُّ ذَلِكَ غَايَةٌ لِتَقَدُّمِ الرِّيَاحِ؛ لِأَنَّ المُفَرَّعَ عَنِ الغَايَةِ هُوَ غَايَةٌ [1].

وبعد الكلام عن أنواع الفصل، وهو الفصل بالاستئناف، والفصل بالجملة المعترضة، والفصل بالاستثناء المنقطع، والفصل بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل)، والفصل بـ: (حتى الابتدائية) والأمثلة على ذلك من سورة الأعراف، أنتقل إلى الحديث عن أنواع الوصل.

المبحث الثاني: أنواع الوصل، وفيه أربعة مطالب:

سأتحدث عن أنواع الوصل، فمنه الوصل بالواو، وبالفاء، وبـ (ثم)، وبـ (أو)، مع ذكر الأمثلة على هذه الأنواع من سورة الأعراف، جاعلاً ذلك في أربعة مطالب.

المطلب الأول: الوصل بالواو

الواو هي أمُّ حروف العطف، لكثرة استعمالها فيه، ومعناها الجمع والتشريك، ولا تخلو عن هذين المعنيين في عطف المفردات؛ لأنها لا تخلو أنْ تعطفَ مفرداً على مفرد أو جملة على جملة، فإنْ عطفت مفرداً على مفرد فإنها تُشَرِّك بينهما في اللفظ والمعنى.

أما اللفظ فهو الاسمية والفعلية، والرفع والنصب والخفض والجزم. فيَتْبَعُ الثاني الأول في اسمين من ستة: في واحد من الاسمية والفعلية، وفي واحد من الرفع والنصب والخفض والجزم.

وأما المعنى فهو الجمع بين الاثنين في نفي الفعل أو إثباته، مثل: (قام زيد وعمرو، ورأيت زيداً وعمرواً، ومررت بزيد وعمرو، وزيد يقوم ويقعد، ولن يقوم ولن يقعد).

ولا تفيد الواو الترتيب عند البصريين، فإنه قد يكون الثاني في العمل قبل الأول تارة، ومعه أخرى، فالذي قبله كقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 181.

[آل عمران: 43]، فالركوع قبل السجود، وأما الذي معه فكقوله: (اختصم زيد وعمرو) فالاختصام لا يصح إلا من اثنين معاً.

وتفيد الواو الترتيب عند الكوفيين، كالفاء عند البصريين، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1ـ 2]، وبقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: 77]، ومعلوم أن إخراج الأثقال إنما هو بعد الزلزال، والسجود في الشرع لا يكون إلا بعد الركوع [1].

ومن الأمثلة في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2]، فقوله: ﴿وذكرى﴾ يجوز أن يكونَ في محلِّ رفعٍ أو نصبٍ أو جَرّ. فالرفعُ له وجهان، أحدهما: أنها عطفٌ على ﴿كتابٌ﴾ أي: كتاب وذكرى أي تذكير، فهي اسمُ مصدرٍ وهذا قول الفراء.

والثاني من وجهي الرفع: أنها خبرُ مبتدأ مضمر أي: هو ذكرى، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج.

وأما النصبُ فمن ثلاثة أوجه، أحدُها: أنه منصوبٌ على المصدر بفعلٍ من لفظه تقديره: وتَذَكَّرْ ذكرى أي: تذكيراً. والثاني: أنَّها في محلِّ نصب نسقاً على موضع «لتنذرَ» فإنَّ موضعَه نصبٌ، فيكون إذ ذاك معطوفاً على المعنى، وهذا كما تُعْطَف الحال الصريحة على الحال المؤولة كقوله تعالى: ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾ [يونس: 12] ويكونُ حينئذ مفعولاً من أجله كما تقول: «جئتك لتكرمَني وإحساناً إليّ».

والثالث: أنها حالٌ من الضمير في ﴿أُنْزِل﴾ وما بينهما معترض. وهذا الوجه بعيد؛ لأن الواو مانعة من ذلك، وكيف تدخل الواوُ على حال صريحة [2]؟

وكذلك قَوله تَعَالَى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25]. فالأصل في الواو أن تعطف هذه الأفعال بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَكِنْ فُصِلَ بَيْنَهُمَا بِالظَّرْفِ؛ لِأَنَّهُ عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ [3].

ومن الأمثلة: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26]، فقوله ﴿وريشاً﴾ يُحْتمل أن يكونَ

---

(1) . انظر: رصف المباني ص473.

(2) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 244.

(3) . انظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: 616هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه. 1: 561.

من باب عطف الصفات، والمعنى: أنه وصف اللباس بشيئين: مواراةِ السَّوْءة والزينة، وعبَّر عنها بالريش، لأنَّ الريش زينةٌ للطائر، كما أن اللباس زينة للآدميين.

ويُحْتَمل أن يكون من باب عطف الشيء على غيره أي: أَنْزَلْنا عليكم لباسَيْن لباساً موصوفاً بالمواراة ولباساً موصوفاً بالزينة، أي: أنزلنا عليكم لباسَيْن لباساً يواري سَوْءاتكم ولباساً يُزَيِّنُكم، لأن الزينةَ غرضٌ صحيح كما قال تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: 8] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل: 6]، وعلى هذا فالكلام في قوة حذف موصوف وإقامة صفته مُقامه والتقدير: ولباساً ريشاً أي: ذا ريش [1].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 63]، فقد فُتِحَتِ الْوَاوُ في قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾؛ لِأَنَّهَا وَاوُ عَطْفٍ، دَخَلَتْ عَلَيْهَا أَلِفُ الِاسْتِفْهَامِ لِلتَّقْرِيرِ. وَالأصل في الوَاوِ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى حُرُوفِ الِاسْتِفْهَامِ إِلَّا الأَلِفَ لِقُوَّتِهَا [2].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65]، فقوله: ﴿أخاهم﴾ معطوفة على قوله ﴿نوحاً﴾. وقوله ﴿هُوداً﴾ عطف بيان له. وحذف العاطف من قوله: ﴿قالَ يا قَوْمِ﴾ ولم يقل «فقال» كما في قصة نوح؟ لأنه على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود؟ فقيل: قال يا قوم اعبدوا الله، وكذلك ﴿قالَ المَلَأُ﴾ [3].

ومن الأمثلة: ﴿قَالَ المَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: 88]، قال الزمخشري: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ الهمزة للاستفهام، والواو واو الحال، تقديره: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا، ومع كوننا كارهين. وما يكون لنا، وما ينبغي لنا، وما يصح لنا) [4].

وتعقب أبو حيان الزمخشريَّ فقال: (فَجَعَلَ الِاسْتِفْهَامَ خَاصّاً بِالعَوْدِ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الِاستِفهامُ هُوَ عَنْ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ الإِخْرَاجِ أَوِ العَوْدِ وَجَعَلَ الوَاوَ وَاوَ الحَالِ وقدره أَتُعِيدُونَنَا فِي حَالِ كَرَاهَتِنَا وَلَيْسَتْ وَاوَ الحَالِ الَّتِي يُعَبِّرُ عَنْهَا النَّحْوِيُّونَ بِوَاوِ الحَالِ بَلْ هِيَ وَاوُ العَطْفِ عُطِفَتْ

([1]) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 286.

([2]) . انظر: الجامع لأحكام القرآن 7: 235.

([3]) . انظر: الكشاف 2: 116.

([4]) . الكشاف 2: 130.

عَلَى حَالٍ مَحْذُوفَةٍ كَقَوْلِهِ «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفِ مُحْرَقٍ» لَيْسَ المَعنَى رُدُّوهُ فِي حَالِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِ بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ بَلِ المَعْنَى رُدُّوهُ مَصْحُوباً بِالصَّدَقَةِ وَلَوْ مَصْحُوباً بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ) [1].

وقال السمين الحلبي بعد أن ذكر كلامهما: (قلت: وقد تقدَّمتْ هذه المسألةُ وأنه يَصِحُّ أن تُسَمَّى واوَ الحال وواوَ العطف) [2].

ومن الأمثلة: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: 98]، قرأ نافع وابن عامر وابن كثير (أو) بسكون الواو والباقون بفتحها. ففي القراءة الأولى تكون (أو) بجملتها حرفَ عطف ومعناها حينئذ التقسيم. وزعم بعضهم أنها للإباحة والتخيير. وهذا ليس بظاهر، وفي الثانية هي واو العطف دخلَتْ عليها همزةُ الاستفهام مقدمةً عليها لفظاً، وإن كانت بعدها تقديراً عند الجمهور.

ومعنى الاستفهام هنا التوبيخ والتقريع. وقال بعضهم: إن الاستفهام بمعنى النفي [3].

ومن الأمثلة كذلك: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100]، قال الزمخشري: (فإن قلت: بم تعلق قوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؟ قلت: فيه أوجه، أن يكون معطوفاً على ما دلَّ عليه معنى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ كأنه قيل: يغفلون عن الهداية، ونطبع على قلوبهم. أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعاً بمعنى: ونحن نطبع على قلوبهم) [4].

وتعقَّب الرازيُّ الزمخشريَّ فقال: (تَقْرِيرُ قَوْلِ صَاحِبِ «الكَشَّافِ» عَلَى أَقْوَى الْوُجُوهِ وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ مَطْبُوعاً عَلَيْهِ إِنَّمَا يَحْصُلُ حَالَ اسْتِمْرَارِهِ وَثَبَاتِهِ عَلَيْهِ، فَهُوَ يَكْفُرُ أَوَّلاً، ثُمَّ يَصِيرُ مَطْبُوعاً عَلَيْهِ فِي الكُفْرِ، فَلَمْ يَكُنْ هَذَا مُنَافِياً لِصِحَّةِ العَطْفِ) [5].

وتعقَّب كذلك أبو حيان الزمخشريَّ فقال: (وهذا الرَّدُّ ظَاهِرُهُ الصِّحَّةُ وَمُلَخَّصُهُ أَنَّ المَعْطُوفَ عَلَى الجَوَابِ جَوَابٌ سَوَاءٌ تَأَوَّلْنَا المَعْطُوفَ عَلَيْهِ أَمِ المَعْطُوفَ، وَجَوَابُ لَوْ لَمْ يَقَعْ بَعْدُ سَوَاءٌ كَانَتْ حَرْفاً لِمَا كَانَ سَيَقَعُ لِوُقُوعِ غَيْرِهِ أَمْ بِمَعْنَى إِنِ الشَّرْطِيَّةِ، وَالإِصَابَةُ لَمْ تَقَعْ وَالطَّبْعُ عَلَى القُلُوبِ وَاقِعٌ

([1]) . البحر المحيط 5: 113.

([2]) . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 380.

([3]) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 392.

([4]) . الكشاف 2: 134.

([5]) . مفاتيح الغيب 14: 323.

فَلَا تصحّ أَنْ يُعطَفَ عَلَى الجَوَابِ، فَإِنْ تَأَوَّلَ وَنَطْبَعُ عَلَى مَعْنَى وَنَسْتَمِرُّ عَلَى الطَّبْعِ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَمْكَنَ التَّعَاطُفُ؛ لأنَّ الاستمرار لَمْ يَقَعْ بَعْدُ وَإِنْ كَانَ الطَّبْعُ قَدْ وَقَعَ...

وَالعَطْفُ فِي ﴿وَنَطْبَعُ﴾ بالواو يمنع مَا ذَكَرَهُ لِأَنَّ جَعْلَ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ إِمَّا الْإِهْلَاكُ وَإِمَّا الطَّبْعُ وَظَاهِرُ الْعَطْفِ بِالْوَاوِ وَيَنْبُو عَنِ الدَّلَالَةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَإِنْ جَعَلْتَ الْوَاوَ بِمَعْنَى أَوْ أَمْكَنَ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ يَنْبُو عَنْ قَوْلِهِ إِنْ لَمْ نُهْلِكْهُمْ بِالْعَذَابِ وَنَطْبَعْ عَلَى قُلُوبِهِمُ العَطْفُ بِالْوَاوِ) [1].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَقالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127]، فقوله: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ يجوز أن يكون عطف على ﴿لِيُفْسِدُوا﴾؛ لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم، وكان ذلك مؤدِّياً إلى ما دعوه فساداً وإلى تركه وترك آلهته، فكأنه تركهم لذلك.

أو هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء، والنصب بإضمار «أن» تقديره: أيكون منك ترك موسى، ويكون تركه إياك وآلهتك [2].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]، قرأ ابن مسعود بنصب (العاقبة) نسقاً على (الأرض) ويكون قوله: ﴿للمتقين﴾ خبرُها، فيكون قد عطف الاسم على الاسم والخبر على الخبر فهو مِنْ عطفِ الجمل [3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137] فقد عطفَ بالواو عَلَى قوله: ﴿فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: 136]، وَيكون المَعنَى: فَأَخَذْنَاهُمْ بالعذاب الَّذِي اسْتَحَقُّوهُ، وَجَازَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بالنِّعَم العظيمة والفضل الكبير [4].

ومن الأمثلة كذلك سبحانه: ﴿وَيا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 19]، فالوَاوُ في قوله: ﴿وَيا آدَمُ﴾ عَاطِفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿اخْرُجْ مِنْها مَذْؤوماً مَدْحُوراً﴾ [الأعراف: 18]، فَهَذِهِ الوَاوُ مِنَ المَحْكِيِّ لَا مِنَ الحِكَايَةِ،

---

(1) . البحر المحيط 5: 122.

(2) . انظر: الكشاف 2: 142.

(3) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 425.

(4) . انظر: التحرير والتنوير 9: 76.

فَالنِّدَاءُ وَالأَمْرُ مِنْ جُمْلَةِ المَقُولِ المَحْكِيِّ يُقَالُ: أَيْ قَالَ اللهُ لِإِبْلِيسَ اخْرُجْ مِنْهَا وَقَالَ لِآدَمَ وَيا آدَمُ اسْكُنْ، وَهَذَا مِنْ عَطْفِ المُتَكَلِّمِ بَعْضَ كَلَامِهِ عَلَى بَعْضٍ، إِذَا كَانَ لِبَعْضِ كَلَامِهِ اتِّصَالٌ وَتَنَاسُبٌ مَعَ بَعْضِهِ الآخَرِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدُ الكَلَامَيْنِ مُوَجَّهاً إِلَى الَّذِي وُجِّهَ إِلَيْهِ الكَلَامُ الآخَرُ، مَعَ اتِّحَادِ مَقَامِ الْكَلَامِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَكَلِّمُ مَعَ مُتَعَدِّدِينَ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ فَيُقْبِلُ عَلَى كُلِّ مُخَاطَبٍ مِنْهُمْ بِكَلَامٍ يَخُصُّهُ.

كما جاء فِي قَوْله تَعالى حِكَايَةً لِكَلَامِ العَزِيزِ: ﴿قالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ [يُوسُف: 28، 29]، فالعَزِيز عَطَفَ خِطَابَ امْرَأَتِهِ عَلَى خِطَابِهِ لِيُوسُفَ.

وعلى هذا فَلَيْسَتِ الوَاوُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيا آدَمُ اسْكُنْ﴾ بِعَاطِفَةٍ عَلَى أَفْعَالِ القَوْلِ الَّتِي قَبْلَهَا حَتَّى يَكُونَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ [1].

وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: 20]، فعَطْفُ جُمْلَةِ: ﴿وَقالَ مَا نَهاكُما رَبُّكُما﴾ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿فَوَسْوَسَ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ وَسْوَسَ لَهُمَا وَسُوسَةً غَيْرَ قَوْلِهِ: ﴿مَا نَهاكُما..﴾ ثُمَّ ثَنَّى وَسْوَسَتَهُ بِأَنْ قَالَ مَا نَهَاكُمَا، وَلَوْ كَانَتْ جُمْلَةُ: ﴿مَا نَهاكُما..﴾ بَيَاناً لِجُمْلَةِ فَوَسْوَسَ لَكَانَتْ جُمْلَةُ: ﴿وَقالَ مَا نَهاكُما﴾ بِدُونِ عَاطِفٍ؛ لِأَنَّ البَيَانَ لَا يُعْطَفُ عَلَى المُبَيَّنِ. وَفِي هَذَا العَطْفِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ آدَمَ وَزَوْجَهُ تَرَدَّدَا فِي الْأَخْذِ بِوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ فَأَخَذَ الشَّيْطَانُ يُرَاوِدُهُمَا، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يُعْطَفْ قَوْلُهُ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلى﴾ [طه: 120]. فَإِنَّ ذَلِكَ حِكَايَةٌ لابتداء وسوسته فابتداء الْوَسْوَسَةَ بِالْإِجْمَالِ فَلَمْ يُعَيِّنْ لِآدَمَ الشَّجَرَةَ الْمَنْهِيَّ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا اسْتِنْزَالاً لِطَاعَتِهِ، وَاسْتِزْلَالاً لِقَدَمِهِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي تَأْوِيلِ نَهْيِ اللهِ إِيَّاهُمَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا فَقَالَ مَا حُكِيَ عَنْهُ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿مَا نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ﴾ فَأَشَارَ إِلَى الشَّجَرَةِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ مَعْرُوفَةً لَهُمَا زِيَادَةً فِي إِغْرَائِهِمَا بِالْمَعْصِيَةِ بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَقَدْ وُزِّعَتِ الوَسْوَسَةُ على السّورتين عَلَى عَادَةِ القُرْآنِ فِي الِاخْتِصَارِ والاكتفاء بمغزى القصة [2].

([1]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 52.

([2]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 58.

وعند قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 35ـ 36]، فهذه الجملة: ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عُطِفَتْ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يَعطف بالمفرد بِأَنْ يُقَالَ وَلَا حُزْنٌ، وإنما عَطف بالجُمْلَةِ: لِيَتَأَتَّى بِذَلِكَ بِنَاءُ المُسْنَدِ الفِعْلِيِّ عَلَى ضَمِيرِهِمْ، فَيَدُلُّ ذلك عَلَى أَنَّ الحُزْنَ وَاقِعٌ بِغَيْرِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا.

فَإِنَّ بِنَاءَ الخَبَرِ الفِعْلِيِّ عَلَى المُسْنَدِ إِلَيْهِ المُتَقَدِّمُ عَلَيْهِ يُفِيدُ تَخْصِيصَ المُسْنَدِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ الْخَبَرِ، نَحْوَ: مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا، فَإِنَّهُ نَفْيُ صُدُورِ القَوْلِ مِنَ المُتَكَلِّمِ مَعَ كَوْنِ القَوْلِ وَاقِعاً مِنْ غَيْرِهِ، فَيُفِيدُ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَحْزَنُونَ إِفَادَةً بِطَرِيقِ الْمَفْهُومِ، لِيَكُونَ كَالْمُقَدِّمَةِ لِلْخَبَرِ عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

وَجُمْلَةُ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ﴾ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿فَمَنِ اتَّقى وَأَصْلَحَ﴾. وَالرَّابِطُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ وَكَذَّبُوا [1].

ومن الأمثلة على الوصل بالواو قوله سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، فجُمْلَةُ: ﴿وَنُودُوا﴾ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿وَقالُوا﴾ فَتَكُونُ حَالاً، لِأَنَّ هَذَا النِّدَاءَ جَوَابٌ لِثَنَائِهِمْ، يَدُلُّ عَلَى قَبُولِ مَا أَثْنَوْا بِهِ، ويدلُّ عَلى أنَّ اللهَ تعالى قد رضي عنهم وأكرمهم [2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنادى أَصْحابُ الجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا مَا وَعَدَنا رَبُّنا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 44]، فجُمْلَةُ: ﴿وَنادى أَصْحابُ الجَنَّةِ﴾ فيها وجهان: أحدهما: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةِ: ﴿وَقالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدانا لِهذا﴾ [الأعراف: 43]، عَطْفَ القَوْلِ عَلَى القَوْلِ، إِذْ حُكِيَ قَوْلُهُمُ المُنْبِئُ عَنْ بَهْجَتِهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، ثُمَّ حُكِيَ مَا يَقُولُونَهُ لِأَهْلِ النَّارِ حِينَمَا يُشَاهِدُونَهُمْ.

وَالوجه الثاني: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَة: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها﴾ [الأعراف: 43] عَطْفَ القِصَّةِ عَلَى القِصَّةِ بِمُنَاسَبَةِ الِانْتِقَالِ مِنْ ذِكْرِ نِدَاءٍ مِنْ قِبَلِ اللهِ إِلَى ذِكْرِ

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 110.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 134.

مُنَادَاةِ أَهْلِ الْآخِرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، فَعَلَى الْوَجْهَيْنِ يَكُونُ التَّعْبِيرُ عَنْهُمْ بِأَصْحَابِ الجَنَّةِ دُونَ ضَمِيرِهِمْ تَوْطِئَةً لِذِكْرِ نِدَاءِ أَصْحَابِ الأَعرافِ وَنِدَاءِ أَصْحَابِ النَّارِ، لِيُعَبِّرَ عَنْ كُلِّ فَرِيقٍ بِعُنْوَانِهِ وَلِيَكُونَ مِنْهُ مُحَسِّنُ الطِّبَاقِ فِي مُقَابَلَتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَصْحابَ النَّارِ﴾ [1].

ومن الأمثلة كذلك: ﴿وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 52]، فالوَاوُ فِي ﴿وَلَقَدْ جِئْناهُمْ﴾ عَاطِفَةٌ هَذِهِ الجُمْلَةَ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿وَنادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 50]، عَطْفَ القِصَّةِ عَلَى القِصَّةِ، وَالْغَرَضِ عَلَى الْغَرَضِ، فَهُوَ ابتداء كلام انْتُقِلَ بِهِ مِنْ غَرَضِ الإخبار عَنْ حَالِ المُشْرِكِينَ فِي الآخِرَةِ إِلَى غَرَضِ وَصْفِ أَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، الأحوال التي جعلتهم مستوجبين لِمَا سَيُلَاقُونَهُ فِي الآخِرَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الكَلَامِ الَّذِي عَقَّبَ اللهُ بِهِ كَلَامَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: 51]؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ هُنَا: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: 53] يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ عَنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ فِي الدُّنْيَا، فَضَمِيرُ الْغَائِبِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿جِئْناهُمْ﴾ عَائِدٌ إِلَى الَّذِينَ كَذَّبُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ﴾ [الأعراف: 40] [2].

وكذلك قوله عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]، التَّضَرُّعُ: إِظْهَارُ التَّذَلُّلِ بِهَيْئَةٍ خَاصَّةٍ، وَيُطْلَقُ التَّضَرُّعُ عَلَى الْجَهْرِ بِالدُّعَاءِ؛ لِأَنَّ الْجَهْرَ مِنْ هَيْئَةِ التَّضَرُّعِ، لِأَنَّهُ تَذَلُّلٌ جَهْرِيٌّ، وَقَدْ فُسِّرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: 63] بِالجَهْرِ بِالدُّعَاءِ، وهو أَنْسَبُ بِمُقَابَلَتِهِ بِالخُفْيَةِ، فَيَكُونُ أُسْلُوبُهُ وَفْقاً لِأُسْلُوبِ نَظِيرِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [الأعراف: 56] وَتَكُونُ، الْوَاوُ لِلتَّقْسِيمِ بِمَنْزِلَةِ (أَوْ) وَقَدْ قَالُوا: إِنَّهَا فِيهِ أَجْوَدُ مِنْ (أَوْ).

ويجوز في معنى الآية أن يكون التَّضَرُّع عَلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ التَّذَلُّلُ، فَيَكُونُ مَصْدَراً بِمَعْنَى الحَالِ، أَيْ مُتَذَلِّلِينَ، أَوْ مَفْعُولاً مُطْلَقاً لِـ ﴿ادْعُوا﴾؛ لِأَنَّ التَّذَلُّلَ بَعْضُ أَحْوَالِ الدُّعَاءِ فَكَأَنَّهُ نَوْعٌ مِنْهُ [3].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى

([1]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 135.

([2]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 151.

([3]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 171.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57]، فهذه الجملة ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ معطوفة عَلَى جُمْلَةِ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ﴾ [الأعراف: 54] وَقَدْ حَصَلَتِ الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ آخِرِ الجُمَلِ الْمُعْتَرِضَةِ وَبَيْنَ الجُمْلَةِ الْمُعْتَرَضِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا عُطِفَتْ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ قُرْبَ رَحْمَتِهِ مِنَ المُحْسِنِينَ ذَكَرَ بَعْضاً مِنْ رَحْمَتِهِ الْعَامَّةِ وَهُوَ الْمَطَرُ. فَذِكْرُ إِرْسَالِ الرِّيَاحِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَهَمُّ؛ لِأَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ الْقُدْرَةِ وَالتَّدْبِيرِ.

وَيجوز أن تكون معطوفة عَلَى جُمْلَةِ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] [1].

ومن الأمثلة كذلك: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: 65ـ 66]، هذا العطف فيه وجهان: أحدهما: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَطْفِ الجُمَلِ، وذلك بِأَنْ يُقَدَّرَ بَعْدَ وَاوِ الْعَطْفِ «أَرْسَلْنَا» لِدَلَالَةِ حَرْفِ (إِلَى) عَلَيْهِ، مَعَ دَلَالَةِ سَبْقِ نَظِيرِهِ فِي الْجُمْلَةِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهَا، وَالتَّقْدِيرُ وَأَرْسَلْنَا إِلَى عَادٍ، فَتَكُونُ الْوَاوُ لِمُجَرَّدِ الجَمْعِ اللَّفْظِيِّ مِنْ عَطْفِ القِصَّةِ عَلَى القِصَّةِ وَلَيْسَ مِنْ عَطْفِ المُفْرَدَاتِ.

وَالوجه الثاني: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَطْفِ المُفْرَدَاتِ: فتكون الوَاوُ عَطَفَت ﴿هُوداً﴾ على ﴿نُوحاً﴾ [الأعراف: 59]، وتكون الوَاو نائبة عَنِ العَامِلِ وَهُوَ ﴿أَرْسَلْنا﴾ [الأعراف: 59]، وَالتَّقْدِيرُ: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ وَهُوداً أَخَا عَادٍ إِلَيْهِمْ، وَقُدِّمَتْ (إِلَى) فَهُوَ مِنَ العَطْفِ عَلَى مَعْمُولَيْ عَامِلٍ وَاحِدٍ، وَتَقْدِيمُ (إِلَى) اقْتَضَاهُ حُسْنُ نَظْمِ الكَلَامِ فِي عَوْدِ الضَّمَائِرِ، وَالوَجْهُ الأَوَّلُ أَحسَنُ [2].

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: 94]، فقد عَطَفَتِ الْوَاوُ جُمْلَةَ: ﴿مَا أَرْسَلْنا﴾ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً﴾ [الأعراف: 85]، وهو من عَطْف الأَعَمِّ عَلَى الأَخَصِّ؛ لِأَنَّ مَا ذُكِرَ مِنَ الْقَصَصِ قبله المقصود به العِبْرَةُ بِالأُمَمِ الخَالِيَةِ موعظة لِكُفَّارِ العَرَبِ فَبعد أن تَلَا عَلَيْهِمْ هذه القصص جَاءَ بِحُكْمٍ كُلِّيٍّ يَعُمُّ سَائِرَ الأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، وَهَذِهِ الجُمَلُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى﴾ [يُونُس: 75] كَالْمُعْتَرِضَةِ بَيْنَ الْقَصَصِ، لِلتَّنْبِيهِ عَلَى مَوْقِعِ الْمَوْعِظَةِ، وَذَلِكَ هُوَ المَقْصُودُ مِنْ تِلْكَ القَصَصِ، فَهُوَ اعْتِرَاضٌ بِبَيَانِ المَقْصُودِ مِنَ الكَلَامِ وَهَذَا كَثِيرُ الوُقُوعِ فِي اعْتِرَاضِ الكَلَامِ [3].

([1]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 178.

([2]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 200.

([3]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 16.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100]، جُمْلَةُ: ﴿وَنَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ لَيْسَتْ مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةِ: ﴿أَصَبْناهُمْ﴾ حَتَّى تَكُونَ فِي حُكْمِ جَوَابِ (لَوْ) لِأَنَّ هَذَا يُفْسِدُ الْمَعْنَى، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَرِثُوا الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا قَدْ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلِذَلِكَ لَمْ تُجْدِ فِيهِمْ دَعْوَةُ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ بُعِثَ إِلَى زَمَنِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَلَوْ كَانَ جَوَاباً لِـ (لَوْ) لَصَارَ الطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مُمْتَنِعاً وَهَذَا فَاسِدٌ.

فظهر بذلك أن جُمْلَةَ وَنَطْبَعُ مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةِ الِاسْتِفْهَامِ بِرُمَّتِهَا فَلَهَا حُكْمُهَا مِنَ الْعَطْفِ عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ. وَالتَّقْدِيرُ: وَطَبَعْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُ صِيغَ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِ هَذَا الطَّبْعِ وَازْدِيَادِهِ آناً فَآناً.

ويجوز أن تكون (الوَاوُ) لِلِاسْتِئْنَافِ وَالجُمْلَة مُسْتَأْنَفَة، أَيْ: وَنَحْنُ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَمَا طَبَعْنَا عَلَيْهَا فِي المَاضِي، وَيُعْرَفُ الطَّبْعُ عَلَيْهَا فِي المَاضِي بِأَخْبَارٍ أُخرَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: 6]، فَتَكُونُ الجُمْلَةُ تَذْيِيلاً لنهاية القِصَّةِ. ومَوْقِعُ الوَاوِ فِي أَوَّلِ الجُمْلَةِ يُرَجِّحُ الوَجْهَ الأَوَّلَ [1].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 101]، فجُمْلَةُ: ﴿وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ معطوفة عَلَى جُمْلَةِ: ﴿تِلْكَ الْقُرى﴾ لِمُنَاسَبَةِ مَا فِي الْجُمْلَتَيْنِ مِنْ قَصْدِ التَّنْظِيرِ بِحَالِ المكذبين بِالنبي مُحَمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالبَيِّنَاتُ هي الدَّلَائِلُ الدَّالَّةُ عَلَى الصِّدْقِ. وَجَمْعُ «البَيِّنَاتِ» يفيد تَكَرُّرِ البَيِّنَاتِ مَعَ كُلِّ رَسُولٍ.

(وَالْفَاءُ) فِي قَوْلِهِ: ﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ تفيد تَرْتِيب الإِخْبَارِ بِانْتِفَاءِ إِيمَانِهِمْ عَنِ الإِخْبَارِ بِمَجِيءِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى الإِيمَان) [2].

ومن الأمثلة: ﴿وَقالَ مُوسى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ﴾ [الأعراف: 104]، فقد عطف قَوْل مُوسَى بِالوَاوِ، وَلَمْ يُفْصَلْ عَمَّا قَبْلَهُ، مَعَ أَنَّ جُمْلَةَ هَذَا القَوْلِ بِمَنْزِلَةِ البَيَانِ لِجُمْلَةِ ﴿بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى﴾ [الأعراف: 103]؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَوْله: ﴿بِآياتِنا﴾ [الأعراف: 103] حَالاً مِنْ مُوسَى فَقَدْ فُهِمَ أَنَّ الْمَقْصُودَ تَنْظِيرُ حَالِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مُوسَى بِحَالِ الْأُمَمِ الَّتِي سبق الإِخْبَارُ

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 28.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 30.

عَنْهَم فِي مُكَابَرتهم وتكذيبهم، مَعَ ظُهُورِ آيَاتِ الصِّدْقِ، فيَتِمّ بِذَلِكَ تَشَابُهُ حَالِ المَاضِينَ مَعَ حَالِ الحَاضِرِينَ المكذبين بِمُحَمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجُعِلَتْ حِكَايَةُ مُحَاوَرَةِ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ خَبَراً مُسْتَقِلّاً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُحْكَ فِيهِ قَوْلُهُ المُقَارِنُ لِإِظْهَارِ الآيَةِ بَلْ ذُكِرَتِ الآيَةُ مِنْ قَبْلُ، بِخِلَافِ مَا حُكِيَ فِي القَصَصِ الَّتِي قَبْلَهَا، فَإِنَّ حِكَايَةَ أَقْوَالِ الرُّسُلِ كَانَتْ قَبْلَ ذِكْرِ الْآيَةِ، وَلِأَنَّ الْقِصَّةَ هُنَا قَدْ حُكِيَ جَمِيعُهَا بِاخْتِصَارٍ بجمل ﴿بَعَثْنا﴾ [الأعراف: 103]، ﴿فَظَلَمُوا﴾ [الأعراف: 103]، ﴿فَانْظُرْ﴾ [الأعراف: 103]، فَصَارَتْ جُمْلَةُ: ﴿قالَ﴾ تَفْصِيلاً لِبَعْضِ مَا تَقَدَّمَ، وعلى هذا فَلَا تَكُونُ مَفْصُولَةً؛ لِأَنَّ الفَصْلَ إِنَّمَا يَكُونُ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ، لَا بَيْنَ جُمْلَةٍ وَبَيْنَ عِدَّةِ جُمَلٍ أُخْرَى [1].

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَقالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127]، فجُمْلَةُ: ﴿وقالَ المَلَأُ﴾ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [الأعراف: 123] أَو على جملة: ﴿قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 109]. وَإِنَّمَا عُطِفَتْ وَلَمْ تُفْصَلْ لِأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنِ الْمُحَاوَرَةِ الَّتِي بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ آمَنَ مِنْ قَوْمِهِ بِمُوسَى وَآيَاتِهِ؛ لِأَنَّ أُولَئِكَ لَمْ يُعَرِّجُوا عَلَى ذِكْرِ مَلَأِ فِرْعَوْنَ، بَلْ هِيَ مُحَاوَرَةٌ بَيْنَ فرعون ومَلَئه فِي غَيْرِ وَقْتِ المُحَاوَرَةِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَالسَّحَرَةِ؛ لأنهم حين رَأَوْا قِلَّةَ اكْتِرَاثِ المُؤْمِنِينَ بِوَعِيدِ فِرْعَوْن، وَرَأَوْا نُهُوضَ حُجَّتِهِمْ عَلَى فِرْعَوْنَ وَإِفْحَامَهُ وَأَنَّهُ لَمْ يُجِرْ جَوَاباً أرادوا إِيقَاظَ ذِهْنِهِ، وَإِسْعَارَ حَمِيَّتِهِ، فقالوا هذا الكَلَام المُثِير لِغَضَبِه، وَلَعَلَّهُمْ رَأَوْا مِنْهُ تَأَثُّراً بِمُعْجِزَةِ مُوسَى وَمَوْعِظَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَوْمِهِ وَتَوَقَّعُوا عُدُولَهُ عَنْ تَحْقِيقِ وَعِيدِهِ، فَهَذِهِ الجُملَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ مَا قَبْلَهَا وَبَيْنَ جُمْلَةِ: ﴿قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ﴾ [2].

وبعد أن تحدثت عن الوصل بالواو وذكرت أمثلة من سورة الأعراف أنتقل إلى الكلام عن الوصل بالفاء.

المطلب الثاني: الوصل بالفاء

أصول أقسام الفاء ثلاثة: عاطفة، وجوابية، وزائدة.

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 37.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 57.

أما العاطفة فهي من الحروف التي تشرك في الإعراب والحكم، ومعناها التعقيب. فإذا قلت: قام زيد فعمرو، دلت على أن قيام عمرو بعد زيد، بلا مهلة. فتشارك ثم في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنها تفيد الاتصال، وثم تفيد الانفصال. هذا مذهب البصريين، وما أوهم خلاف ذلك تأولوه.

وأورد السيرافي، على قولهم: إن الفاء للتعقيب، قولك: دخلت البصرة فالكوفة. لأن أحد الدخولين لم يل الآخر. وأجاب بأنه بعد دخوله البصرة لم يشتغل بشيء، غير أسباب دخول الكوفة.

وقال بعضهم: تعقيب كل شيء بحسبه، فإذا قلت: دخلت مصر فمكة، أفادت التعقيب على الوجه الذي يمكن.

وذهب قوم، منهم ابن مالك، إلى أن الفاء قد تكون للمهلة بمعنى ثم. وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: 63]. وتؤولت هذه الآية على أن فتصبح معطوف على محذوف، تقديره: أنبتنا به، فطال النبت، فتصبح. وقيل: بل هي للتعقيب، وتعقيب كل شيء بحسبه.

وذهب الفراء إلى أن ما بعد الفاء قد يكون سابقاً، إذا كان في الكلام ما يدل على ذلك. كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: 4]، والبأس في الوجود واقع قبل الإهلاك. وأجيب بأن معنى الآية: وكم من قرية أردنا إهلاكها، كقوله إذا أكلت فسم الله. وقيل الفاء في الآية عاطفة للمفصل على المجمل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ [الواقعة: 35ـ 36]. وهذا مما انفردت به الفاء.

وذهب بعضهم إلى أن الفاء قد تأتي، لمطلق الجمع، كالواو. وقال به الجرمي في الأماكن والمطر خاصة. كقولهم: عفا مكان كذا فمكان كذا، وإن كان عفاؤهما في وقت واحد. ونزل المطر بمكان كذا فمكان كذا، وإن كان نزوله في وقت واحد.

والترتيب بالفاء على نوعين: ترتيب في المعنى، وترتيب في الذكر. والمراد بالترتيب في المعنى أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً، بلا مهلة. كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7]. وأما الترتيب في الذكر فنوعان: أحدهما عطف مفصل على مجمل، هو في المعنى،

كقولك: توضأ، فغسل وجهه ويديه، ومسح برأسه، ورجليه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ﴾ الآية [هود: 45]. والثاني عطف، لمجرد المشاركة في الحكم، بحيث يحسن الواو [1].

ومن الأمثلة في سورة الأعراف قوله سبحانه: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13]، فالفَاءُ فِي جُمْلَةِ: ﴿فَاهْبِطْ﴾ تدل على تَرْتِيبِ الأَمْرِ بِالهُبُوطِ عَلَى جَوَابِ إِبْلِيسَ، فَهُوَ مِنْ عَطْفِ كَلَامِ مُتَكَلِّمٍ عَلَى كَلَامِ مُتَكَلِّمٍ آخَرَ، لِأَنَّ الكَلَامَيْنِ بِمَنْزِلَةِ الكَلَامِ الوَاحِدِ فِي مَقَامِ الْمُحَاوَرَةِ، كَالْعَطْفِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124]. وقد دلَّت الفاء عَلَى أَنَّ أَمْرَهُ بِالْهُبُوطِ هو مُسَبَّبٌ عَنْ جَوَابِهِ [2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16] فالفاء هنا تدل على الترتيب والتسبُّب على قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13] ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15] [3].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، وعبَّر هنا بفاء العطف حيث قال: (فقال) وكذلك في المؤمنين، وأما في قصة هود وصالح وشعيب هنا فهي بغير فاء، والأصل الفاء، وإنما حُذِفَتْ الفاء تخفيفاً وتوسُّعاً واكتفاءً بالربط المعنوي، ولأن الثواني فما بعدها هي أَوْلى بالحذف، وأمَّا في سورة هود فيقدَّر قبل قوله: (إني لكم): فقال، بالفاء على الأصل. وجاء هنا: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ﴾ فلم يَعْطِفْ هذه الجملةَ المنفيَّة بفاءٍ ولا غيرها لأنها مبينة ومنبِّهة على اختصاص الله تعالى بالعبادة ورَفْضِ ما سواه فكانت في غاية الاتصال [4].

ومن الأمثلة على الوصل بالفاء قوله سبحانه: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]، وقوله: ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ يحتمل أن يكون

---

(1) . انظر: الجنى الداني ص61.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 43.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 8: 46.

(4) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 354.

من التَدْلية من معنى دلا دَلْوَه في البئر والمعنى أطمعهما، ويحتمل أن تكون من الدالِّ والدالَّة وهي الجُرْأة أي: فجرَّأهما [1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 39]، فالفاء في قوله: ﴿فَمَا﴾ عاطفةٌ هذه الجملةَ المنفية على قول الله تعالى للسَّفلة: ﴿لكلٍ ضعف﴾ فقد ثَبَتَ أن لا فضلَ لكم علينا، وأنَّا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا.

ويحتمل أن قوله: ﴿فما كان﴾ جملةٌ معطوفة على جملة محذوفة بعد القول دَلَّ عليها ما سَبَقَ من الكلام، والتقدير: قالت أولاهم لأخراهم: ما دعاؤكم الله أنَّا أَضْللناكم وسؤالكم ما سألتم، فما كان لكم علينا من فضلٍ بضلالكم، وأنَّ قوله: (فذوقوا) من كلام الأولى خطاباً للأخرى على سبيل التشفِّي، وأنَّ ذوق العذاب هو بسبب ما كَسَبْتُمْ لا بأنَّا أضللناكم. وقيل: فذوقوا من خطاب الله لهم [2].

وقال ابن عاشور: (وَالفَاءُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ﴾ فَاءٌ فَصِيحَةٌ، مُرَتَّبَةٌ عَلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ حَيْثُ سَوَّى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ فِي مُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ. وَ (مَا) نَافِيَةٌ. وَ(مِنْ) زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ نَفْيِ الفَضْلِ، لِأَنَّ إِخْبَارَ اللهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ سَبَبٌ لِلْعِلْمِ بِأَنْ لَا مَزِيَّةَ لِأُخْرَاهُمْ عَلَيْهِمْ فِي تَعْذِيبِهِمْ عَذَاباً أَقَلَّ مِنْ عَذَابِهِمْ، فَالتَّقْدِيرُ: فَإِذَا كَانَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ فَمَا كَانَ لَكُمْ مِنْ فَضْلٍ، وَالمُرَادُ بِالْفَضْلِ الزِّيَادَةُ مِنَ الْعَذَابِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ أُولَاهُمْ: عطفوا قَوْلهم: ﴿فَذُوقُوا العَذابَ﴾ عَلَى قَوْلِهِمْ: ﴿فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ﴾ بِفَاءِ الْعَطْفِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّرَتُّبِ. فَالتَّشَفِّي مِنْهُمْ فِيمَا نَالَهُمْ مِنْ عَذَابِ الضِّعْفِ تَرَتَّبَ عَلَى تَحَقُّقِ انْتِفَاءِ الْفَضْلِ بَيْنَهُمْ فِي تَضْعِيفِ الْعَذَابِ الَّذِي أَفْصَحَ عَنْهُ إِخْبَارُ اللهِ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً ضِعْفاً) [3].

ومن الأمثلة كذلك: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 79]، فظَاهِرُ الْعَطْفِ بِالْفَاءِ يفيد أَنَّ هَذَا التَّوَلِّيَ كَانَ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ وَمُشَاهَدَةِ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ، فَيَكُونُ الخِطَابُ عَلَى سَبِيلِ التَّحَسُّرِ عَلَيْهِمْ لأنهم لَمْ يُؤْمِنُوا

---

(1) . انظر: الدر المصون 5: 281.

(2) . انظر: الدر المصون 5: 317.

(3) . التحرير والتنوير 8: 124.

فكان ذلك سبب هلاكهم، وَلِيَسْمَعَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ المؤمنين فيزيدهم ذلك إِيمَاناً، وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ وَلَكِنْ كُنْتُمْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ فَتَكُونُ حِكَايَةَ حَالٍ مَاضِيَةٍ [1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: 97]، قال الزمخشري: (والفاء والواو في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ و﴿أَوَ أَمِنَ﴾ حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار. فإن قلت: ما المعطوف عليه؟ ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله: ﴿فأخذناهم بَغْتَةً﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القرى﴾ [الأعراف: 96] إلى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما عطف بالفاء؛ لأنّ المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى؟ وقرىء: أو أمن على العطف بـ أو) [2].

وتعقَّب أبو حيان الزمخشريَّ، فقال: (وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ مِنْ أَنَّ حَرْفَ العَطْفِ الَّذِي بَعْدَ هَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ وَهُوَ عَاطِفٌ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَ الهَمْزَةِ مِنَ الجُمَلِ رُجُوعٌ إِلَى مَذْهَبِ الجَمَاعَةِ فِي ذَلِكَ وَتَخْرِيجٌ لِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى خِلَافِ مَا قَرَّرَ هُوَ مِنْ مَذْهَبِهِ فِي غَيْرِ آيَةٍ: أَنَّهُ يُقَدِّرُ مَحْذُوفٍ بَيْنَ الهَمْزَةِ وَحَرْفِ العَطْفِ يَصِحُّ بِتَقْدِيرِهِ عَطْفُ مَا بَعْدَ الحَرْفِ عَلَيْهِ وَأَنَّ الهَمْزَةَ وَحَرْفَ العَطْفِ وَاقِعَانِ فِي مَوْضِعِهِمَا مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ تَقْدِيمَ حَرْفِ العَطْفِ عَلَى الهَمزَةِ فِي التَّقْدِيرِ وَأَنَّهُ قَدَّمَ الِاستفهامَ اعْتِنَاءً لِأَنَّهُ لَهُ صَدْرُ الكَلَام) [3].

وقال ابن عاشور: (وَالفَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى﴾ عَاطِفَةٌ أَفَادَتِ التَّرَتُّبَ الذِّكْرِيَّ، فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ مِنْ أَحْوَالِ جَمِيعِهِمْ مَا هُوَ مَثَارُ التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِهِمْ أَعْقَبَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَعْطُوفًا بِفَاءِ التَّرَتُّبِ. وَمَحَلُّ التَّعْجِيبِ هُوَ تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى هَذَا الْغُرُورِ، أَيْ يَتَرَتَّبُ عَلَى حِكَايَةِ تَكْذِيبِهِمْ وَأَخْذِهِمُ اسْتِفْهَامُ التَّعْجِيبِ مِنْ غُرُورِهِمْ وَأَمْنِهِمْ غَضَبَ القَادِرِ العَلِيمِ) [4].

وبعد أن تحدثت عن الوصل بالفاء وذكرت أمثلة عليه من سورة الأعراف أنتقل إلى الحديث عن الوصل بحرف (ثم).

([1]) . انظر: البحر المحيط 5: 98.

([2]) . الكشاف 2: 261.

([3]) . البحر المحيط 5: 120.

([4]) . التحرير والتنوير 9: 22.

المطلب الثالث: الوصل بـ (ثم)

(ثم) حرف عطف، يفيد الاشتراك في الحكم مع الترتيب بمهلة. فإذا قلت: (قام زيد ثم عمرو)، أفادت (ثم) بأن الثاني بعد الأول بمهلة. هذا مذهب الجمهور، وما أوهم خلاف ذلك تأولوه.

وذهب الفراء، وقطرب إلى أن ثم بمنزلة الواو، لا تفيد الترتيب. ومنه عندهم قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: 6]، ومعلوم أن هذا الجعل كان قبل خلقنا وزعم بعضهم أنها تقع موقع الفاء [1].

وذكر الإمام المالقي عن (ثم) أن لها موضعين: الموضع الأول: أنْ تكونَ حرف عطفٍ مفرداً على مفرد وجملة على جملة. فإذا عطفتْ مفرداً على مفرد من الأسماء والأفعال شرَّكتْ بين الأول والثاني في اللفظ الذي هو الاسمية أو الفعلية، والرفع أو النصب أو الخفض أو الجزم، والمعنى الذي هو إثبات الفعل لهما أو نفيه عنهما، مثل قولك (قام زيد ثم عمرو) و(رأيت زيداً ثم عمراً) و(مررت بزيد ثم عمرو) و(زيد يقوم ثم يقعد) و(لن يقوم ثم يقعد) و(لم يقم ثم يقعد).

الموضع الثاني: أنْ تكونَ حرف ابتداء على الاصطلاح، أي يكون بعدها المبتدأ والخبر، وإما ابتداء كلام، فالأول مثل أن تقول: (أقول لك اضرب زيداً ثم أنت تترك الضرب)، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 64]، وأما ابتداء كلام فمثل قولك: (هذا زيد قد خرج ثم إنك تجلس)، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 15ـ 16].

وقد يرجع هذا إلى عطف الجمل، إذا كانت الجملتان في كلام واحد، وذلك بحسب إرادة المتكلم، والأظهر في الجمل الانفصال في المراد إلا حيث يدلُّ الدليل على أن مقصود الكلام واحد [2].

ومن الأمثلة في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11].

فقد اختلف العلماء في معنى (ثم) في هذين الموضعين: فمنهم مَنْ لم يلتزم فيها ترتيباً وجعلها بمنزلة الواو فإنَّ خَلْقَنا وتصويرَنا بعد قوله تعالى للملائكة: ﴿اسجدوا﴾.

---

(1) . انظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص426.

(2) . انظر: رصف المباني للمالقي ص249.

ومنهم مَنْ قال: هي للترتيب لا في الزمان بل للترتيب في الإخبار. ومنهم من قال: هي للترتيب الزماني وهذا هو موضوعُها الأصلي. ومنهم مَنْ قال: الأولى للترتيب الزماني والثانية للترتيب الإخباري.

فالقائلون بأنها للترتيب في الموضعين جعلوا ذلك على حذف مضافين، والتقدير: ولقد خلقنا آباءكم ثم صَوَّرْنا آباءكم ثم قلنا، ويعني بأبينا آدم عليه السلام. والترتيب الزماني هنا ظاهر بهذا التقدير. وقال بعضهم: الخطاب في (خلقناكم) و(صوَّرناكم) لآدم عليه السلام وإنما خاطبه بصيغة الجمع وهو واحد تعظيماً له ولأنه أصلُ الجميع، والترتيب أيضاً واضح [1].

قال الطبري: (وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: ﴿ولقد خلقناكم﴾، ولقد خلقنا آدم ﴿ثم صورناكم﴾، بتصويرنا آدم، كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيُّ في ذلك سلفه، وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: 63]. وما أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحيّ الموجود، والمراد به السلف المعدوم، فكذلك ذلك في قوله: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾، معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن الذي يتلو ذلك قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوِّر ذريته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم.

و(ثم) في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل: (قمت ثم قعدت)، لا يكون (القعود) إذ عطف به بـ(ثم) على قوله: (قمت) إلا بعد القيام، وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل: (قمت وقعدت)، فجائز أن يكون (القعود) في هذا الكلام قد كان قبل (القيام)، لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً، لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين

---

(1) . انظر: الدر المصون 5: 260.

مختلفين، أو إن كانا في وقتين، أيهما المتقدم وأيهما المتأخر. فلما وصفنا قلنا إنّ قوله: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾، لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا) [1].

وقال الزجاج (ت 311هـ): (زعم الأخفش أن (ثم) ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته، إنما (ثم) للشيءِ الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير، وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداءُ خلق آدم أولاً، فإنما المعنى إنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه، فابتداء خلق آدم التراب، الدليل على ذلك قوله عزَّ وجلَّ ﴿إن مثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَل آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب﴾ [آل عمران: 59]، فبدأ الله خلق آدم تراباً، وبدأ خلق حواءَ من ضلع من أضلاعه، ثم وقعت الصورة بعد ذلك، فهذا معنى ﴿خلقناكم ثم صورناكم﴾، أي هذا أصل خلقكم. ثم خلق الله نطفاً ثم صُوِّرُوا. فـ (ثمَّ) إنما هي لما بعدُ. وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾. أي بعد الفراغ من خَلْق آدمَ أمِرَتِ الملائكَةَ بالسجود) [2].

وقال أبو حيان: (﴿ثُمَّ قُلْنَا﴾ إما أَنْ تَكُونَ فِيهِ ثُمَّ بِمَعْنَى الْوَاوِ فَلَمْ تُرَتِّبْ وَيَكُونُ التَّرْتِيبُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالتَّصْوِيرِ، أَوْ تَكُونُ (ثُمَّ) فِي ﴿ثُمَّ قُلْنا﴾ لِلتَّرْتِيبِ فِي الأخبار لا في الزَّمَانِ وَهَذَا أَسْهَلُ مَحْمَلٍ فِي الآيَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ (ثُمَّ) لِلتَّرْتِيبِ فِي الزَّمَانِ وَاخْتَلَفُوا فِي المُخَاطَبِ، فَقِيلَ المُرَادُ بِهِ آدَمُ وَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الجَمْعِ عَلَى الوَاحِدِ، وَقِيلَ المُرَادُ بِهِ بَنُوهُ فَعَلَى القَوْلِ الأَوَّلِ يَكُونُ الخِطَابُ فِي الجُمْلَتَيْنِ لِآدَمَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تُخَاطِبُ العَظِيمَ الوَاحِدَ بِخِطَابِ الجَمْعِ، وَقِيلَ: الخِطَابُ فِي الأُولَى لِآدَمَ وَفِي الثَّانِيَةِ لِذُرِّيَّتِهِ فَتَحْصُلُ المُهْلَةُ بَيْنَهُمَا و(ثُمَّ) الثَّالِثَةُ لِتَرْتِيبِ الأَخْبَارِ، وَرَوَى هَذَا العَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقِيلَ: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ لِآدَمَ ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ لِبَنِيهِ يَعْنِي فِي صُلْبِهِ عِنْدَ أَخْذِ الْمِيثَاقِ ﴿ثُمَّ قُلْنَا﴾ فَيَكُونُ التَّرْتِيبُ وَاقِعاً عَلَى بَابِهِ) [3].

وقال ابن عاشور: (وَ(ثُمَّ) فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ عَاطِفَةٌ الجُمْلَةَ عَلَى الجُمْلَةِ، فَهِيَ مُقَيِّدَةٌ لِلتَّرَاخِي الرُّتْبِيِّ لَا لِلتَّرَاخِي الزَّمَانِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ مَضْمُونَ الجُمْلَةِ المَعْطُوفَةِ هُنَا أَرْقَى رُتْبَةً مِنْ مَضْمُونِ الجُمْلَةِ المَعْطُوفِ عَلَيْهَا) [4].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17]، فـ (ثُمَّ) هنا تفيد التَّرْتِيب الرُّتْبِيّ وَهُوَ التَّدَرُّجُ

---

(1) . جامع البيان 12: 320.

(2) . معاني القرآن وإعرابه 2: 321.

(3) . البحر المحيط 5: 16.

(4) . التحرير والتنوير 8: 37.

فِي الْأَخْبَارِ إِلَى خَبَرٍ أَهَمَّ؛ لِأَنَّ مَضْمُونَ الجُمْلَةِ المَعْطُوفَةِ أَوْقَعُ فِي غَرَضِ الكَلَامِ مِنْ مَضْمُونِ الجُمْلَةِ المَعْطُوفِ عَلَيْهَا، فقد أفادت الجُمْلَة الأُولَى التَّرَصُّدَ لِلْبَشَرِ بإغوائهم، وَأفادت الجُمْلَة المَعْطُوفَة التَّهَجُّمَ عَلَيْهِمْ بِشَتَّى الوَسَائِلِ والأساليب [1].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 103] فقَدْ أفادت (ثُمَّ) المُهْلَةِ؛ لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بُعِثَ بَعْدَ شُعَيْبٍ بِزَمَنٍ طَوِيل، فَإِنَّهُ لما تَوَجَّهَ إِلَى مَدْيَنَ حِينَ خُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ، رَجَا اللهَ أَنْ يَهْدِيَهُ فَوَجَدَ شُعَيْباً، وَكَانَ اتِّصَالُهُ بِهِ وَمُصَاهَرَتُهُ تَدْرِيجاً لَهُ لقَبُولِ الرِّسَالَةِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، فَالمُهْلَةُ بِاعتِبَارِ مَجْمُوعِ الأُمَمِ المذكورين قَبْل ذلك، فَإِنَّ مِنْهَا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى قُرُونٌ مِثْلُ قَوْمِ نُوحٍ، وَمِثْلُ عَادٍ وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، فَالمُهْلَةُ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا (ثُمَّ) مُتَفَاوِتَةُ المِقْدَارِ، مَعَ مَا يَقْتَضِيهِ عَطْفُ الجُمْلَةِ بِحَرْفِ (ثُمَّ) مِنَ التَّرَاخِي الرُّتَبِيِّ، وَهُوَ مُلَازِمٌ لَهَا إِذَا عُطِفَتْ بِهَا الجُمَلُ [2].

وبعد أن تحدثت عن الوصل ب (ثم) وذكرت بعض الأمثلة عليه من سورة الأعراف أنتقل إلى الحديث عن الوصل بحرف (أو).

المطلب الرابع: الوصل بـ (أو)

ذكر الإمام المالقي عن (أو) أنَّ لها في الكلام موضعين: الأول: أنْ تكونَ حرف عطف، فتَعطِفَ مفرداً على مفرد، وجملة على جملة، ويكون لها في هذا الموضع خمسةُ معان:

أحدها: أنْ تكونَ تخييراً، فلا تقع إلا بعد الطلب، مثل قولك: (كُلْ سمكاً أو اشرب لبناً)، أي افعل أحد هذين.

والثاني: أنْ تكونَ للإباحة، ولا تقع أيضاً إلا بعد الطلب، مثل قولك: (جالس الحسنَ أو ابنَ سيرين).

والفرق بين التخيير والإباحة أن للمكلَّف المخاطَب أنْ يجمع بين الشيئين في الإباحة، وليس له ذلك في التخيير، فهو يفعل أحد الشيئين ويترك الآخر، وإنْ تركهما معاً عُوقب أو ذُمَّ، وكذلك إذا جمع بينهما. وتظهر فائدة ذلك في الأحكام الشرعية في علم الأصول.

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 49.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 34.

والثالث: أنْ تكونَ للشك، مثل قولك: (ما أدري أزيدٌ قام أو عمروٌ)، ولا تقع إلا بعد الخبر.

والرابع: أنْ تكونَ للإبهام، وتقع في الخبر أيضاً ولا يكون ذلك إلا في حق السامع دون المخبِر، مثل قولك: (زيدٌ قام أو عمرو).

والفرق بينهما أنَّ الشكَّ لا يعلمه المخبِر، أما الإبهام فهو يعلمه ولكنه يُبْهِم على السامع لغرضٍ ما.

والخامس: أنْ تكونَ تفصيلاً، مثل قولك: (زيدٌ منطلقٌ أو عمروٌ شاخصٌ)، ومعناه أن الانطلاقَ لزيد والشخوصَ لعمرو، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: 135]، أي قالت اليهود للنصارى: كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى لليهود: كونوا نصارى.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: 147]، فـ (أو) هنا عند بعضهم بمعنى (بل)، وعند بعضهم هي بمعنى الواو.

الموضع الثاني: أنْ تكونَ ناصبةً بإضمار (أن)، فيكون معناها معنى (إلا) مع (أن)، مثل قولك: (لألزمنَّك أو تقضيَني حقِّي)، و(لأسيرنَّ في البلاد أو أستغنيَ) [1].

ومن الأمثلة في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: 4]، قال الإمام الطبري: (فإن قال: وكيف قيل: ﴿فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون﴾، وقد علمت أن الأغلب من شأن (أو) في الكلام، اجتلابُ الشك، وغير جائز أن يكون في خبر الله شك؟

قيل: إن تأويل ذلك خلافُ ما إليه ذهبتَ. وإنما معنى الكلام: وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتاً، وبعضها وهم قائلون. ولو جعل مكان (أو) في هذا الموضع (الواو)، لكان الكلام كالمحال، ولصار الأغلب من معنى الكلام: أن القرية التي أهلكها الله جاءها بأسه بياتاً وفي وقت القائلة. وذلك خبرٌ عن البأس أنه أهلك من قد هلك، وأفنى من قد فني. وذلك من الكلام خَلْفٌ. ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل، إذ لم يفصل القرى التي جاءها البأس بياتاً، من القرى التي جاءها ذلك قائلةً. ولو فُصلت، لم يخبر عنها إلا بالواو.

---

(1) . انظر: رصف المباني ص210.

وقيل: ﴿فجاءها بأسنا﴾ خبراً عن (القرية) أن البأس أتاها، وأجرى الكلام على ما ابتدئ به في أول الآية. ولو قيل: (فجاءهم بأسنا بياتاً)، لكان صحيحاً فصيحاً، ردّاً للكلام إلى معناه، إذ كان البأس إنما قصد به سكان القرية دون بنيانها، وإن كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب، نحوٌ من الذي نال سكانها. وقد رجع في قوله: (أو هم قائلون)، إلى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها، لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان، وإن كان في هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها.

ولو قيل: (أو هي قائلة)، كان صحيحاً، إذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام) [1].

قال الزمخشري: (فإن قلت: لا يقال: جاءني زيد هو فارس، بغير واو، فما بال قوله: (هُمْ قائِلُونَ)؟ قلت: قدَّر بعض النحويين الواو محذوفة، ورده الزجاج وقال: لو قلت جاءني زيد راجلاً، أو هو فارس. أو جاءني زيد هو فارس، لم يحتج فيه إلى واو، لأن الذكر قد عاد إلى الأول. والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالاً. لاجتماع حرفي عطف؛ لأنَّ واوَ الحال هي واو العطف استعيرت للوصل، فقولك: جاءني زيد راجلاً أو هو فارس، كلام فصيح وارد على حدِّه. وأمَّا جاءني زيد هو فارس، فخبيث) [2].

وقد تعقب أبو حيَّان الزمخشريَّ والزجاجَ فقال: (فَأَمَّا بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ الَّذِي اتَّهَمَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فَهُوَ الْفَرَّاءُ، وَأَمَّا قَوْلُ الزَّجَّاجِ فِي التَّمْثِيلَيْنِ لَمْ يُحْتَجْ فِيهِ إِلَى الْوَاوِ لِأَنَّ الذِّكْرَ قَدْ عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ فَفِيهِ إِبْهَامٌ، وَتَعْيِينُهُ لَمْ يَجُزْ دُخُولُهَا فِي المِثَالِ الأَوَّلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْمِثَالِ الثَّانِي، فَانْتِفَاءُ الِاحْتِيَاجِ لَيْسَ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَوَّلِ لِامْتِنَاعِ الدُّخُولِ وَفِي الثَّانِي لِكَثْرَةِ الدُّخُولِ لَا لِامْتِنَاعِهِ، وَأَمَّا قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ وَالصَّحِيحُ إِلَى آخِرِهَا فَتَعْلِيلُهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّ وَاوَ الْحَالِ لَيْسَتْ حَرْفَ عَطْفٍ فَيَلْزَمُ مِنْ ذِكْرِهَا اجْتِمَاعُ حَرْفَيْ عَطْفٍ، لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ لِلْعَطْفِ لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَا قَبْلَ الْوَاوِ حَالاً حَتَّى يَعْطِفَ حَالاً عَلَى حَالٍ فَمَجِيئُهَا فِي مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَالاً دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ وَاوَ عَطْفٍ وَلَا لُحِظَ فِيهَا مَعْنَى وَاوِ عَطْفٍ تَقُولُ: جَاءَ زَيْدٌ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ فَجَاءَ زَيْدٌ لَيْسَ بِحَالٍ فَيُعْطَفُ عَلَيْهِ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، وَإِنَّمَا هَذِهِ الوَاوُ مُغَايِرَةٌ لِوَاوِ الْعَطْفِ بِكُلِّ حَالٍ وَهِيَ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ الْوَاوِ كَمَا تَأْتِي لِلْقَسَمِ وَلَيْسَتْ فِيهِ لِلْعَطْفِ إِذَا قَلْتَ وَاللهِ لَيَخْرُجَنَّ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَخَبِيثٌ فَلَيْسَ بِخَبِيثٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ بَنَاهُ عَلَى أَنَّ الجُمْلَةَ الِاسْمِيَّةَ إِذَا كَانَ فِيهَا ضَمِيرُ ذِي الحَالِ فَإِنَّ

---

[1]. جامع البيان في تأويل القرآن 12: 301.

[2]. الكشاف 2: 87.

حَذْفَ الوَاوِ مِنْهَا شَاذٌّ، وَتَبِعَ فِي ذَلِكَ الفَرَّاءَ، وَلَيْسَ بِشَاذٍّ بَلْ هُوَ كَثِيرٌ وُقُوعُهُ فِي الْقُرْآنِ وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ نَثْرِهَا وَنَظْمِهَا، وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ رَمْلِ بِيرِينَ وَمَهَا فِلَسْطِينَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا كَثْرَةَ مَجِيءِ ذَلِكَ فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ وَقَدْ رَجَعَ عَنْ هَذَا الْمَذْهَبِ الزَّمَخْشَرِيُّ إِلَى مَذْهَبِ الجَمَاعَةِ) [1].

وعقَّب كلامَ أبي حيان الأستاذُ محيي الدين بن أحمد درويش فقال: (لا يخلو ردّ أبي حيان من تهافت، فقد تعقبه بأن أصل الواو العطف، ثم استعيرت لربط الحال بعاملها، كما أن الفاء أصلها العطف، ثم استعيرت لربط الجزاء بالشرط.

الفاء للترتيب. وهو إما معنوي كما في: «قام زيد فعمرو» وهو أن يكون ما بعدها حاصلا بعد ما قبلها في الواقع. أو ذكريّ وهو عطف مفصّل على مجمل، نحو: «فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه». وهو أن يكون ما بعدها حاصلاً بعد ما قبلها في اللفظ فقط، وأما في الواقع فتارة يكون حاصلا معه في آن واحد أو قبل ما قبلها. وقال الفراء: إنها لا تفيد الترتيب مطلقاً.

واحتج بقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أو هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: 4].

وأجيب بأن المعنى: أردنا إهلاكها. ولا شك أن إرادة الإهلاك قبل مجيء البأس، فيكون ترتيباً ذكرياً إذ هو بيان لقوله: «أهلكناها» إذ هو مجمل. والحاصل أن الجمهور يقولون بإفادتها الترتيب مطلقاً، والفراء يمنع ذلك مطلقاً. وقال الجرمي: لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الأمصار، بدليل: «بين الدخول فحومل»، وقولهم: «مطرنا بنوء بمكان كذا» فمكان كذا إذا كان وقوع الأمطار فيهما واحداً) [2].

ومن الأمثلة: قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: 20]، فقَوْلُهُ: ﴿أَوْ تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ﴾ عَطْفٌ عَلَى: ﴿أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ﴾ وَأَصْلُ (أَو) أن تفيد الدَّلَالَة عَلَى التَّرْدِيدِ بَيْنَ أَحَدِ شيْئَيْنِ أَوِ أَشْيَاءِ، سَوَاءٌ كَانَ مَعَ تَجْوِيزِ حُصُولِ المُتَعَاطِفَاتِ كُلِّهَا فَتَكُونُ لِلْإِبَاحَةِ بَعدَ الطَّلَبِ، وَلِلتَّجْوِيزِ بَعدَ الخَبَرِ أَوْ لِلشَّكِّ، أَمْ كَانَ مَعَ مَنْعِ البَعْضِ عِنْدَ

---

(1) . انظر: البحر المحيط 5: 12.

(2) . إعراب القرآن وبيانه لدرويش 3: 301.

تَجْوِيزِ البَعْضِ فَتَكُونُ لِلتَّخْيِيرِ بَعْدَ الطَّلَبِ وَلِلشَّكِّ أَوِ التَّرْدِيدِ بَعدَ الخَبَرِ، وَالتَّرْدِيدُ لا يُنَافِي الجَزْمَ بوقوع أَحَد الأَمْرَيْن [1].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: 53]، فقوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ الجمهور عَلَى رفع ﴿نُرَدُّ﴾ ونصب ﴿فنعملَ﴾، فَرَفْعُ ﴿نردُّ﴾ على أنه عَطَفَ جملةً فعلية وهي ﴿نُرَدُّ﴾ على جملة اسمية وهي: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا﴾، ونصبُ ﴿فنعملَ﴾ على ما انتصب عليه ﴿فيشفعوا﴾. وقرأ الحسنُ برفعهما على ما تقدم، كذا روى عنه ابن عطية وغيره.

وروى عنه الزمخشري نصب (نُرَدّ) ورفع (فنعمل). وقرأ أبو حيوة وابن أبي إسحاق بنصبهما. فيكون نصبُ (نُرَدَّ) عطفاً على (فيشفعوا) جواباً على جواب، ويكون الشفعاء في أحد شيئين: إمَّا في خلاصهم من العذاب، وإمَّا في رجوعهم للدنيا ليعملوا صالحاً، والشفاعةُ حينئذ منسحبةٌ على الخلاص أو الردّ، وانتصب (فنعملَ) نسقاً على (فنردَّ). ويجوز أن يكون (أو نُرَدَّ) من باب (لألزمنَّكَ أو تقضيَني حقي) إذا كان التقدير بمعنى: حتى تقضيَني أو كي تقضيَني، غَيَّا اللزومَ بقضاء الحق أو عَلَّله به، فكذلك يكون معنى الآية الكريمة أي: حتى نُرَدَّ أو كي نُرَدَّ، والشفاعةُ حينئذ متعلقةٌ بالردِّ ليس إلا، وأمَّا عند من يقدِّر (أو) بمعنى (إلا) في المثال المتقدم وهو سيبويه فلا يظهر معنى الآية عليه، إذ يَصير التقدير: هل يشفع لنا شفعاءُ إلا أن نُرَدَّ. وهذا استثناءٌ غير ظاهر [2].

وقال ابن عاشور: (وَعَطَفَ فِعْلَ ﴿نُرَدُّ﴾ بِـ (أَوْ) عَلَى مَدْخُولِ الِاسْتِفْهَامِ، فَيَكُونُ الِاسْتِفْهَامُ عَنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ، لِأَنَّ أَحَدَهُمَا لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الآخَرِ، فَإِذَا حَصَلَتِ الشَّفَاعَةُ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الرَّدِّ، وَإِذَا حَصَلَ الرَّدُّ اسْتُغْنِيَ عَنِ الشَّفَاعَةِ.

وَإِذْ كَانَتْ جُمْلَةُ ﴿لَنا مِنْ شُفَعاءَ﴾ وَاقِعَةً فِي حَيِّزِ الِاسْتِفْهَامِ، فَالَّتِي عُطِفَتْ عَلَيْهَا تَكُونُ وَاقِعَةً فِي حَيِّزِ الِاسْتِفْهَامِ، فَلِذَلِكَ تَعَيَّنَ رَفْعُ الفِعْلِ المُضَارِعِ فِي القِرَاءَاتِ المَشْهُورَةِ، وَرَفْعُهُ بِتَجَرُّدِهِ عَنْ عَامِلِ النَّصْبِ وَعَامِلِ الجَزْمِ، فَوَقَعَ مَوْقِعَ الِاسْمِ كَمَا قَدَّرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ تَبَعاً لِلْفَرَّاءِ، فَهُوَ مَرْفُوعٌ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ إِلَى تَأْوِيلِ الجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهُ، بِرَدِّهَا إِلَى جُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ، بِتَقْدِيرِ: هَلْ

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 60.

(2) . انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 5: 337.

يَشْفَعُ لَنَا شُفَعَاءُ كَمَا قَدَّرَهُ الزَّجَّاجُ، لِعَدَمِ الْمُلْجِئِ إِلَى ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ انْتَصَبَ: ﴿فَنَعْمَلَ﴾ فِي جَوَابِ ﴿نُرَدُّ﴾ كَمَا انْتَصَبَ ﴿فَيَشْفَعُوا﴾ فِي جَوَابِ ﴿فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ﴾ [1].

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 37]، يجوز في (أَوْ) وجهان: أحدهما: وهو الأظهر، أن (أَو) تفيد التَّقْسِيم فَيَكُونُ الْأَظْلَمُ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ينقسمون إلى فَرِيقَيْنِ: فَرِيق افْتَرَوْا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ، وَهُمْ سَادَةُ أَهْلِ الشِّرْكِ وَكُبَرَاؤُهُمْ، الَّذِينَ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ، وَنَسَبُوهُ إِلَى اللهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَفَرِيق كَذَّبُوا بِآيَاتٍ وَلَمْ يَفْتَرُوا عَلَى اللهِ وَهُمْ عَامَّةُ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا، وَعَلَى هَذَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ لَا أَظْلَمَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْفَرِيقَ الآخَرَ مُسَاوٍ لَهُ فِي الظُّلْمِ وَلَيْسَ أَظْلَمَ مِنْهُ، فَأَمَّا مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ مِمَّنْ لَعَلَّهُمْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ شَرَعُوا لِلْمُشْرِكِينَ أُمُوراً مِنَ الضَّلَالَاتِ، وكذّبوا محمّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُمْ أَشَدُّ ظُلْماً.

وَالوجه الثاني: أَنْ تكون (أَوْ) بِمَعْنَى الوَاوِ، فَيَكُونُ المَوْصُوفُ بِأَنَّهُ أَظْلَمُ النَّاسِ هُوَ مَنِ اتَّصَفَ بِالْأَمْرَيْنِ الكَذِبِ وَالتَّكْذِيبِ، وَيَكُونُ صَادِقاً عَلَى المُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ جَمَاعَتَهُمْ لَا تَخْلُو عَن ذَلِك [2].

ومن الأمثلة كذلك قوله سبحانه: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: 98]، فعلى قراءة نَافِع، وَابْن كَثِيرٍ، وَابْن عَامِرٍ، وَأَبِي جَعْفَرٍ ـ ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بِسِكُونِ الْوَاوِ ـ يكون المعنى عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ بِحَرْفِ (أَوْ) الَّذِي هُوَ لِأَحَدِ الشَّيْئَيْنِ عَطْفاً عَلَى التَّعْجِيبِ، أَيْ: هُوَ تَعْجِيبٌ مِنْ أَحَدِ الحَالَيْنِ.

وأما على قراءة الباقين ـ ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بِفَتْحِ الْوَاوِ ـ فيكون المعنى عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ بِالْوَاوِ مُقَدَّمَةٌ عَلَيْهِ هَمْزَةُ الِاسْتِفْهَامِ، فَهُوَ عَطْفُ اسْتِفْهَامٍ ثَانٍ بِالوَاوِ المُفِيدَةِ لِلْجَمْعِ، فَيَكُونُ كِلَا الِاسْتِفْهَامَيْنِ مَدْخُولاً لِفَاءِ التَّعْقِيبِ، عَلَى قَوْلِ جُمْهُورِ النُّحَاةِ، وَأَمَّا عَلَى رَأْيِ الزَّمَخْشَرِيِّ فَيَتَعَيَّنُ أَنْ تَكُونَ الوَاوُ لِلتَّقْسِيمِ، أَيْ تَقْسِيمِ الِاسْتِفْهَامِ إِلَى اسْتِفْهَامَيْنِ [3].

---

(1) . التحرير والتنوير 8: 156.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 113.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 9: 23.

وبعد أنْ تحدثت عن أنواع الفصل، وذكرت من ذلك: الفصلَ بالاستئناف، والفصلَ بالجملة المعترضة، والفصلَ بالاستثناء المنقطع، والفصلَ بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل)، والفصلَ بـ (حتى) الابتدائية.

وتحدثت عن أنواع الوصل وهو الوصلُ بالواو وبالفاء وبـ (ثم) وبـ (أو)، وذكرت بعض الأمثلة عليهم من سورة الأعراف، أنتقل إلى المبحث الثالث الذي يتحدث عن أسباب الفصل وأسباب الوصل والأمثلة على ذلك.

المبحث الثالث: من أسباب الفصل، وفيه ستة مطالب:

هذا المبحث سأذكر فيه أسباب الفصل وأهم الأمثلة على ذلك من سورة الأعراف، فمن أسباب الفصل: طريقة المحاورات، ومن أسباب الفصل كذلك: أن تكون الجملة بيانية، ومن الأسباب: لَفْتُ الْأَذْهَانِ إِلَيْهِ، وإفادة التعليل، وأن تكون الجملة معترضة أو مؤكدة، وسأجعل الكلام عن هذه الأسباب في ستة مطالب:

المطلب الأول: من أسباب الفصل: طَرِيقَةُ المُحَاوَراتِ

أشار إلى هذا المعنى الإمام الفراء (ت 207هـ) حيث قال عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]: (وقوله: ﴿أَتَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ...﴾ وهذا فِي القرآن كثير بغير الفاء، وذلك لأنه جوابٌ يستغنى أولهُ عن آخره بالوقفة عليه، فيقال: ماذا قَالَ لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا فكأنّ حسن السكوت يجوز به طرح الفاء. وأنت تراه فِي رؤوس الآيات؛ لأنها فصولٌ حَسَنةٌ من ذلك: ﴿قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا المُرْسَلُونَ. قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا﴾ [الحجر: 57ـ 58]، والفاء حسنة مثل قوله: ﴿فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [هود: 27]، ولو كان على كلمة واحدة لم تُسقط العرب منه الفاء. من ذلك: قُمتُ ففَعَلْت، لا يقولون: قمت فعلت، ولا قلت قال، حَتَّى يقولوا: قُلْتُ فقال، وَقُمْتُ فقام لأنها نَسَقٌ وليست باستفهام يوقف عليه ألا ترى أنه: «قالَ» فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ. قالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 25ـ 26] فيما لا أحصيه. ومثله من غير

الفعل كثيرٌ فِي كتاب الله بالواو وبغير الواو، فأما الذي بالواو فقوله: ﴿قُلْ أَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: 15]، ثُمَّ قَالَ بعد ذلك: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالقانِتِينَ وَالمُنْفِقِينَ وَالمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحارِ﴾ [آل عمران: 17]. وقال فِي موضع آخر: ﴿التَّائِبُونَ العابِدُونَ الحامِدُونَ﴾ [التوبة: 112]، وقال فِي غير هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾ [البروج: 10]، ثُمَّ قال فِي الآية بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولم يقل: وإنَّ.

فاعْرِفْ بما جَرى تفسير ما بقي، فإنه لا يأتي إلا على الَّذِي أنْبَاتك به من الفصول أو الكلام المكتفى يأتي له جوابٌ) [1].

وقد نبَّه الإمام ابن عاشور على أن الطريقة المتبعة في القرآن في حكاية الحوارات هي الفصل وعدم العطف، وأنها طريقة العرب في الاستعمال، فقال: (وَفَصَلَ الجَوَابَ وَلَمْ يَعْطِفْ بِالفَاءِ أَوِ الوَاوِ جَرْياً بِهِ عَلَى طَرِيقَةٍ مُتَّبَعَةٍ فِي القُرْآنِ فِي حِكَايَةِ المُحَاوَرَاتِ وَهِيَ طَرِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ... قَالَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلْمَى وَإِنْ ... كَانَ فَقِيراً مُعْدَماً قَالَتْ وَإِنْ

وَإِنَّمَا حَذَفُوا الْعَاطِفَ فِي أَمْثَالِهِ كَرَاهِيَةَ تَكْرِيرِ العَاطِفِ بِتَكْرِيرِ أَفْعَالِ القَوْلِ فَإِنَّ المُحَاوَرَةَ تَقْتَضِي الإِعَادَةَ فِي الغَالِبِ فَطَرَدُوا البَابَ فَحَذَفُوا العَاطِفَ فِي الجَمِيعِ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي التَّنْزِيلِ وَرُبَّمَا عَطَفُوا ذَلِكَ بِالفَاءِ لِنُكْتَةٍ تَقْتَضِي مُخَالَفَةَ الِاستِعمالِ وَإِنْ كَانَ العَطفُ بِالفاءِ هُوَ الظَّاهِرُ وَالأَصْلُ، وَهَذَا مِمَّا لَمْ أُسْبَقْ إِلَى كَشْفِهِ مِنْ أَسَالِيبِ الاستِعمالِ العَرَبِيِّ.

وَمِمَّا عُطِفَ بِالفَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ فَقالَ المَلَأُ﴾ فِي سُورَةِ المُؤْمِنِينَ [23ـ 24] وَقَدْ يُعْطَفُ بِالْوَاوِ أَيْضاً كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ وَقالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ إِلَخْ فِي سُورَةِ المُؤْمِنُونَ [32ـ 33] وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنِ المَقْصُودُ حِكَايَةَ التَّحَاوُرِ بَلْ قَصْدُ الإِخْبَارِ عَنْ أَقْوَالٍ جَرَتْ أَوْ كَانَتِ الأَقْوَالُ المَحْكِيَّةُ مِمَّا جَرَى فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ أَوْ أَمْكِنَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ) [2].

ومن الأمثلة في سورة الأعراف على هذا الاستعمال، قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]، فقد فُصِلَ: ﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لأنه جرى عَلَى طَرِيقَةِ المُحَاوَرَاتِ. وَقد بَيَّنَ مَانِعَهُ مِنَ السُّجُودِ وهو أنه رَأَى نَفْسَهُ

---

(1) . معاني القرآن للفراء 1: 43.

(2) . التحرير والتنوير 1: 401.

خَيْراً مِنْ آدَمَ، فَلَمْ يَمْتَثِلْ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى إِيَّاهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَهَذه مَعْصِيَةٌ صَرِيحَةٌ، وجملة ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ مَسُوقَةٌ مَسَاقَ التَّعْلِيلِ لامتناعه عن السجود وَلِذَلِكَ حُذِفَ مِنْهُ اللَّامُ [1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38]، فقوله: ﴿قالَ﴾ حِكَايَةٌ لِجَوَابِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنْ سُؤَالِهِمْ مُضَاعَفَةَ الْعَذَابِ لِقَادَتِهِمْ، ولهذا فُصِلَ وَلَمْ يُعْطَفْ جَرْياً عَلَى طَرِيقَةِ حِكَايَةِ الأَقْوَالِ فِي المُحَاوَرَاتِ وأَمَّا مُضَاعَفَةُ العَذَابِ لِلْقَادَةِ فَلِأَنَّهُمْ سَنُّوا الضَّلَالَ أَوْ أَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ وَذَبُّوا عَنْهُ بِالتَّمْوِيهِ وَالْمُغَالَطَاتِ فَأَضَلُّوا، وَأَمَّا مُضَاعَفَتُهُ لِلْأَتْبَاعِ فَلِأَنَّهُمْ ضَلُّوا بِإِضْلَالِ قَادَتِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ بِطَاعَتِهِمُ الْعَمْيَاءِ لِقَادَتِهِمْ، وَشُكْرِهِمْ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا يَرْسُمُونَ لَهُمْ، وَإِعْطَائِهِمْ إِيَّاهُمُ الأَمْوَالَ يَزِيدُونَهُمْ بذلك طُغْيَاناً وَجَرَاءَةً عَلَى الإضلال والإفساد [2].

ومن الأمثلة كذلك قوله سبحانه: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 50]، يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ الفَيْضُ عَلَى المَعنَى المَجَازِيِّ، وَهُوَ سَعَةُ العَطَاءِ وَالسَّخَاءِ، مِنَ المَاءِ وَالرِّزْقِ، إِذْ لَيْسَ مَعْنَى الصَّبِّ بِمُنَاسِبٍ بَلِ المَقْصُودُ الإِرْسَالُ وَالتَّفَضُّلُ، وَيَكُونُ العَطْفُ عَطْفَ مُفْرَدٍ عَلَى مُفْرَدٍ وَهُوَ أَصْلُ العَطْفِ، وَيَكُونُ سُؤْلُهُمْ مِنَ الطَّعَامِ مُمَاثِلاً لِسُؤْلِهِمْ مِنَ المَاءِ فِي الكَثْرَةِ، فَيَكُونُ فِي هَذَا الحَمْلِ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَهْلُ سَخَاءٍ، وَتَكُونُ (مِنْ) عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَيَانِيَّةً لِمَعْنَى الإِفَاضَةِ، وَيَكُونُ فِعْلُ ﴿أَفِيضُوا﴾ مُنَزَّلاً مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ، فَتَتَعَلَّقُ مِنْ بِفِعْلِ ﴿أَفِيضُوا﴾.

وَضَمِيرُ ﴿قالُوا﴾ يعود لِأَصْحَابِ الجَنَّةِ، وَهُوَ جَوَابُهُمْ عَنْ سُؤَالِ أَصْحَابِ النَّارِ، وَلِذَلِكَ فَصَلَ عَلَى طَرِيقَةِ المحاورات [3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: 60]، فقد فُصِلَتْ جُمْلَةُ ﴿قالَ﴾ جرياً عَلَى طَرِيقَةِ الفَصْلِ فِي المُحَاوَرَاتِ، وَقد اقْتَرَنَ جَوَابُهُمْ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تحقيقهم وتأكيدهم لاعْتِقَادهمْ أَنَّ نُوحاً مُنْغَمِسٌ فِي الضَّلَالَةِ [4].

([1]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 41.

([2]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 123.

([3]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 148.

([4]) . انظر: التحرير والتنوير 8: 190.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 75]، فحين كَانَ خِطَابُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَقْصُوداً بِهِ إِفْسَادُ دَعْوَةِ النبي صَالِح عَلَيْهِ الصلاة والسلام كَانَ خِطَابُهُمْ بِمَنْزِلَةِ المُحَاوَرَةِ مَعَ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا فُصِلَتْ جُمْلَةُ حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ لأنها جرت عَلَى طَرِيقَةِ فَصْلِ جُمَلِ حِكَايَةِ المُحَاوَرَاتِ [1].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿قَالَ المَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: 88]، فقد فُصِلتْ جُمْلَةُ: ﴿قالَ الْمَلَأُ﴾ لِوُقُوعِهَا على طريقة المُحَاوَرَةِ [2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَساحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَماذا تَأْمُرُونَ. قالُوا أَرْجِهْ وَأَخاهُ وَأَرْسِلْ فِي المَدائِنِ حاشِرِينَ﴾ [الأعراف 109ـ 111]، فقد جاءت جُمْلَةُ: ﴿قالَ المَلَأُ﴾ عَلَى طَرِيقَةِ الفَصْلِ لِأَنَّهَا فِي طَرِيق المحاورة الجَارِيَةِ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فهو حِوَارٌ وَاحِدٌ [3].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143]، فقد فُصِلَ قَولُهُ تعالى: ﴿قالَ لَنْ تَرانِي﴾ لِأَنَّهُ وَاقِعٌ فِي طَرِيقِ المُحَاوَرَةِ [4].

ومن الأمثلة: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 150]، فقد فُصِلَتْ جُمْلَةُ: ﴿قالَ ابْنَ أُمَّ﴾ لوقوعها جواباً لِحِوَارٍ مُقَدَّرٍ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾؛ لِأَنَّ الشَّأْنَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَقَعُ إِلَّا مَعَ كَلَامِ تَوْبِيخٍ، وَهُوَ مَا حُكِيَ فِي سُورَةِ طه [92، 93] بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ يَا هارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 222.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 7.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 9: 41.

(4) . انظر: التحرير والتنوير 9: 92.

تَوْزِيعِ القِصَّةِ، وَاقْتِصَاراً عَلَى مَوْقِعِ العِبْرَةِ لِيُخَالِفَ أُسْلُوبُ قَصَصِهِ الَّذِي قُصِدَ مِنْهُ الْمَوْعِظَةُ أَسَالِيبَ الْقَصَّاصِينَ الَّذِينَ يَقْصِدُونَ الخَبَرَ بِكُلِّ مَا حَدَثَ [1].

أما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 90ـ 92]، فلم تُفصَل هنا، ولكنها وُصلت؛ لأنَّ المحاورةَ انتهت، وهذا ابتداء قول وجَّهوا فيه خطابهم إلى عامة قومهم، محذرين لهم من اتباع رسولهم، فقد عُطِفَتْ جُمْلَةُ: ﴿وَقالَ الْمَلَأُ﴾ وَلَمْ تُفْصَلْ كَمَا فُصِلَتِ الَّتِي قَبْلَهَا لِانْتِهَاءِ المُحَاوَرَةِ المُقْتَضِيَةِ فَصْلَ الجُمَلِ فِي حِكَايَةِ المُحَاوَرَةِ، وَهَذَا ابتداء قَوْل وَجَّهَ فِيهِ المَلَأُ خِطَابَهُمْ إِلَى عَامَّةِ قَوْمِهِمُ البَاقِينَ عَلَى كفرهم تَحْذِيراً لَهُمْ مِنِ اتِّبَاعِ شُعَيْبٍ خَشْيَةً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ تَحِيكَ فِي نُفُوسِهِمْ دَعْوَةُ شُعَيْبٍ وَصِدْقُ مُجَادَلَتِهِ، فحين رَأَوْا حُجَّتَهُ سَاطِعَةً وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الانتصار عَلَيْهِ فِي المُجَادَلَةِ، وَصَمَّمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، أَقْبَلُوا عَلَى خِطَابِ الحَاضِرِينَ مِنْ قَوْمِهِمْ لِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ مُتَابَعَةِ شُعَيْبٍ وَلِيُهَدِّدُوهُمْ بِالخَسَارَةِ [2].

المطلب الثاني: من أسباب الفصل:

أن تكون الجملة بيانية، فهي بِمَنْزِلَةِ عَطْفِ البَيَانِ مِنَ المُبَيَّنِ

ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]، فقَوْلُهُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ مَسُوقٌ مَسَاقَ التَّعْلِيلِ لامتناعه عن السجود وَلِذَلِكَ حُذِفَ مِنْهُ اللَّامُ.

وَجُمْلَةُ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ﴾ هي بَيَانٌ وتفسير لِجُمْلَةِ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ فَلِذَلِكَ فُصِلَتْ، لِأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ عَطْفِ البَيَانِ مِنَ المُبَيَّنِ [3].

ومن الأمثلة كذلك قوله عز وجل: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]، فقوله: ﴿ألم أنهكما﴾ هي فِي مَوْضِعِ البَيَانِ والتفسير

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 116.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 12.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 8: 41.

لِجُمْلَةِ ﴿نَادَاهُمَا﴾، وَلِهَذَا فُصِلَتِ الجُمْلَةُ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا. وَالِاسْتِفْهَامُ فِي ﴿ألم أنهكما﴾ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ [1].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 44ـ 45].

فقوله: ﴿الذين﴾ يجوز أن يكون محله الرفع أو النصب على القطع فيهما، ويجوز أن يكون محله الجر على النعت أو البدل أو عطف البيان.

ومفعول «يَصُدُّون» محذوفٌ أي: يصدُّون الناس. ويجوز ألاَّ يُقَدَّر له مفعول، والمعنى: الذين من شأنهم الصدُّ كقولهم: «هو يعطي ويمنع». ويجوز أن يكون «يَصُدُّون» بمعنى يُعْرضون، مِنْ صَدَّ صُدوداً فيكون لازماً [2].

فعلى الوجه في إعراب ﴿الذين﴾ أنه نعت أو بدل أو عطف بيان، يكون المعنى أنها مبيِّنة لقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ. الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف 50ـ 51].

فقوله: ﴿الذين﴾: يجوز أن يكون في محل جَرٍّ لأنه نعت أو بدل من ﴿الكافرين﴾ وهو الظاهر، ويجوز أن يكونَ مرفوعاً أو منصوباً على القطع [3].

فعلى القول أن ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من ﴿الكَافِرِينَ﴾، تكون مبينة ومفسرة ولهذا فُصِلَت ﴿الَّذِينَ.. ﴾.

ومن الأمثلة كذلك قوله سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: 53]، فقَوْله: ﴿وَلَقَدْ

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 66.

(2) . انظر: الدر المصون 5: 328.

(3) . انظر: الدر المصون 5: 335.

جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ﴾ [الأعراف: 52] تَأْوِيلُهُ وُضُوحُ مَعْنَى مَا عَدُّوهُ مُحَالاً وَكَذِباً، مِنَ البَعْثِ وَالجَزَاءِ وَوَحْدَانِيَّةِ الإِلَهِ، فَذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ أَيْ تَحْقِيقُهُ وَوُضُوحُهُ بِالمُشَاهَدَةِ، وَليس بَعدَ العَيَانِ بَيَانٌ.

وَقَدْ بَيَّنَتْهُ جُمْلَةُ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ﴾ إِلَخْ، فَلِذَلِكَ فَصَّلَتْ، لِأَنَّهَا تَتَنَزَّلُ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا مَنْزِلَةَ البَيَانِ لِلْمُرَادِ مِنْ تَأْوِيلِهِ، وَهُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي سَيَظْهَرُ ويتحقَّق يَوْمَ القِيَامَةِ [1].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59] فالجُمْلَةُ التي تنبّه وتدلُّ عَلَى الوَصْفِ الذي يدعو إِلَى عِبَادَةِ اللهِ سبحانه وَهُوَ انْفِرَادُهُ بِالأُلُوهِيَّةِ المَرْجُوُّ إِحْسَانُهُ المَحْذُورُ انْتِقَامُهُ دُونَ آلِهَتِهِمْ، وَلَمْ تَأْتِ الجملة بِحَرْفِ عَطْفٍ؛ لِأَنَّهَا بَيَانٌ وَتَفْسِيرٌ لِعِلَّةِ اخْتِصَاصِ الله تَعَالَى بالعبادة [2].

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿قالَ فِيها تَحْيَوْنَ وَفِيها تَمُوتُونَ وَمِنْها تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25]. هَذَا كَالتَّفْسِيرِ والتبيين لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾ أَيْ بِالحَيَاةِ إِلَى حِينِ المَوْتِ وَلِذَلِكَ جَاءَ ﴿قَالَ﴾ بِغَيْرِ وَاوِ الْعَطْفِ؛ لأنَّ الْأَكْثَرَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ إِذَا لَمْ تَكُنِ الجُمْلَةُ تَفْسِيرِيَّةً أَوْ كَالتَّفْسِيرِيَّةِ أَنْ تُعْطَفَ عَلَى الْجُمْلَةِ قَبْلَهَا فَتَقُولَ قَالَ فُلَانٌ كَذَا، وَقَالَ كَذَا، وَتَقُولَ زَيْدٌ قَائِمٌ وَعَمْرٌو قَاعِدٌ، وَيَقِلُّ فِي كَلَامِهِمْ قَالَ فُلَانٌ كَذَا قَالَ كَذَا، وَكَذَلِكَ يَقِلُّ زَيْدٌ قَائِمٌ عَمْرٌو قَاعِدٌ، وَهُنَا جَاءَ ﴿قالَ اهْبِطُوا﴾ الْآيَةَ ﴿قالَ فِيها تَحْيَوْنَ﴾ لأنَّها كَالتَّفْسِيرِ والبيان لِمَا قَبْلَهَا، وَقد تمّمَ هُنَا المَقْصُود بِالتَّنْبِيهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ بِقَوْلِهِ ﴿وَمِنْها تُخْرَجُونَ﴾ أَيْ إِلَى الْمُجَازَاةِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى﴾ [3].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 61ـ 62]، فقوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: يجوز أن تكونَ جملةً مستأنفة أُتي بها لبيان كونِه رسولاً، ويجوز أن تكونَ صفةً لـ ﴿رَسُولٌ﴾، ولكنه راعى الضمير السابق الذي للمتكلم فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ ولو راعى الاسمَ الظاهر بعده لقال: يُبَلِّغكم، والاستعمالان جائزان في كل اسم ظاهر سبقه ضميرٌ حاضر من

---

(1) . انظر التحرير والتنوير 8: 154.

(2) . انظر: البحر المحيط 5: 282.

(3) . انظر: البحر المحيط 5: 29.

متكلم أو مخاطب، فتبيَّن أنَّ فيها وجهين الوجه الأول: مراعاة الضميرِ السابق وهو الأكثر، والوجه الثاني: مراعاةُ الاسمِ الظاهر، فتقول: «أنا رجلٌ أفعل كذا» مراعاةً لـ: أنا. وإن شئت «أنا رجلٌ يفعل كذا» مراعاةً لرجل، ومثله: «أنت رجل تفعل ويفعل» بالخطاب والغيبة. وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: 47] جاء على الأكثر. ومثله ما لو وقع بعد الضمير موصولٌ نحو: «أنا الذي فَعَلْتُ وفعل»، و«أنت الذي فعل وفعلت» [1].

فعلى الوجه أن ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ صفة لقوله: ﴿رَسُولٌ﴾، تكون مبينة ومفسرة ولهذا فُصِلت.

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 148]، فجُمْلَةُ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافاً ابْتِدَائِيّاً لِبَيَانِ فَسَادِ نَظَرِهِمْ واعْتِقَادِهِمْ. وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ وَلِلتَّعْجِيبِ مِنْ حَالِهِمْ وسوء اعتقادهم [2].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿..وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 156ـ 157]، فقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ.. ﴾ فُصِلَت هذه الجملة؛ لأنها مبينة ومفسرة لقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وفي إعراب قوله تعالى: ﴿الذين يَتَّبِعُونَ﴾ أوجه، أحدها: الجر نعتاً لقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. والوجه الثاني: أنه بدلٌ منه. والوجه الثالث: أنه منصوبٌ على القطع. والوجه الرابع: أنه مرفوع على خبر ابتداء مضمر وهو معنى القطع أيضاً. والوجه الخامس: أنه مبتدأ، وفي الخبر حينئذ وجهان، أحدهما: أنه الجملةُ الفعلية من قوله: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ﴾. والثاني: الجملةُ الاسمية من قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [3].

([1]) . انظر: الدر المصون 5: 356.

([2]) . انظر: التحرير والتنوير 9: 110.

([3]) . انظر الدر المصون 5: 478.

فعلى الوجه الأول والثاني في الإعراب يتبين أنَّ قوله تعالى: ﴿الذين يَتَّبِعُونَ﴾ صفة لقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أو بدل منه، فيكون المعنى أنها بيانية وتفسيرية.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]، فجُمْلَةُ: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ﴾ فُصِلَت لأنها بَيَانٌ لِلْمَكْتُوبِ عِنْدَهُمْ وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالاً مِنْ ضَمِيرِ يَجِدُونَهُ لِأَنَّ الضَّمِيرَ رَاجِعٌ لِلذِّكْرِ وَالِاسْمِ. وَالذِّكْرُ وَالِاسْمُ لَا يَأْمُرَانِ، فَتَعَيَّنَ أن الضَّمِير مَجَاز، وأن الآمِر بِالْمَعْرُوفِ هُوَ ذَاتُ الرَّسُولِ لَا وَصْفُهُ وَذِكْرُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ تَعْرِيفُهُمْ بِهَا لِتَدُلَّهُمْ عَلَى تَعْيِينِ الرَّسُولِ الْأُمِّيِّ عِنْدَ مَجِيئِهِ بِشَرِيعَةٍ هَذِهِ صِفَاتُهَا.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ المَعْرُوفَ وَالمُنْكَرَ، وَالطَّيِّبَاتِ، وَالْخَبَائِثَ، وَالْإِصْرَ وَالْأَغْلَالَ مُتَعَلِّقَاتٍ لِتَشْرِيعِ النَّبِي الْأُمِّيِّ وَعَلَامَاتٍ له، ولهذا فالمُرَادُ مِنْهَا مَا يَتَبَادَرُ مِنْ مَعَانِي أَلْفَاظِهَا لِلْأَفْهَامِ المُسْتَقِيمَةِ [1].

ومن الأمثلة كذلك: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، فقوله: ﴿الذي لَهُ مُلْكُ﴾ يجوز فيه الرفع والنصب والجر، فأما الرفعُ والنصبُ فعلى القطع.

وأما الجرُّ فمن وجهين: إمَّا النعت للجلالة، وإمَّا البدل منها [2].

فعلى الوجه أنَّ قوله تعالى ﴿الذي لَهُ مُلْكُ﴾ في محل جر لأنه نعت أو بدل لقوله: (اللهِ)، تكون جملة: ﴿الذي لَهُ مُلْكُ﴾ مفسرة ومبينة للفظ الجلالة، ولهذا فُصِلت.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: 169]، فقوله: ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قوله: ﴿مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾، أو هُوَ عَطْفُ بَيَانٍ لِمِيثَاقِ الْكِتَابِ وَمَعْنَاهُ الْمِيثَاقُ الْمَذْكُورُ فِي الْكِتَابِ.

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 134.

(2) . انظر: الدر المصون 5: 482.

وإِنْ فُسِّرَ مِيثاقُ الْكِتابِ بِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ كَانَ ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾ مَفْعُولاً لَهُ وَمَعْنَاهُ لِئَلَّا يَقُولُوا، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُفَسِّرَةً وَلَا يَقُولُوا نَهْياً، كَأَنَّهُ قِيلَ أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ [1].

فقد فصلت جملة ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾؛ لأنها مبينة ومفسرة لقوله: ﴿مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾.

المطلب الثالث: من أسباب الفصل: لَفْتُ الْأَذْهَانِ إِلَيْهِ

عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 29ـ 30]، فبَعْدَ أَنْ أَبْطَلَ زَعْمَهُمْ أَنَّ اللهَ أَمَرَهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الفَوَاحِشِ إِبْطَالاً عَامّاً بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ﴾ [الأعراف: 28] اسْتَأْنَفَ اسْتِئْنَافاً اسْتِطْرَادِيّاً بِمَا فِيهِ جُمَّاعُ مُقَوِّمَاتِ الدِّينِ الحَقِّ الَّذِي يَجْمَعُهُ مَعْنَى القِسْطِ والْعَدْلِ تَعْلِيماً لَهُمْ بِنَقِيضِ جَهْلِهِمْ، وَتَنْوِيهاً بِجَلَالِ اللهِ وعظمته، بِأَنْ يَعْلَمُوا مَا شَأْنُهُ أَنْ يَأْمُرَ اللهُ بِهِ، فالله لا يمكن أن يأمر بالفحشاء، وَلِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الغَرَضِ، فُصِلَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَلَمْ يُعْطَفِ القَوْلُ عَلَى القَوْلِ وَلَا المَقُولُ عَلَى المَقُولِ؛ لِأَنَّ فِي إِعَادَةِ فِعْلِ الْقَوْلِ وَفِي تَرْكِ عَطْفِهِ عَلَى نَظِيرِهِ لَفْتاً لِلْأَذْهَانِ إِلَيْهِ [2].

المطلب الرابع: من أسباب الفصل: إفادةُ التَّعليلِ

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30]، فقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ اسْتِئْنَافٌ مُرَادٌ بِهِ التَّعْلِيلُ لِجُمْلَةِ ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾، وَهَذَا شَأْنُ (إِنَّ) إِذَا وَقَعَتْ فِي صَدْرِ جُمْلَةٍ عَقِبَ جُمْلَةٍ أُخْرَى أَنْ تَكُونَ لِلرَّبْطِ وَالتَّعْلِيلِ وَتُغْنِي غَنَاءَ الْفَاءِ.

---

(1) . انظر: البحر المحيط 5: 216.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 86.

وَالمَعْنَى أَنَّ هَذَا الفَرِيقَ، الَّذِي حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ، لَمَّا سَمِعُوا الدَّعْوَةَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالإِسْلَامِ، لَمْ يَطْلُبُوا النَّجَاةَ وَلَكِنَّهُمُ اسْتَوْحَوْا شَيَاطِينَهُمْ، وائْتَمَرُوا بِأَمْرِهِمْ، فَلَا جَرَمَ أَنْ يَدُومُوا عَلَى ضَلَالِهِمْ لأنهم اتخذوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ [1].

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، فجُمْلَة: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾ وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ التَّفْرِيعِ عَلَى جُمْلَةِ ﴿وَادْعُوهُ﴾، فَلِذَلِكَ قُرِنَتْ بِـ (إِنَّ) الدَّالَّةَ عَلَى التَّوْكِيدِ، وَهُوَ لِمُجَرَّدِ الِاهْتِمَامِ بِالخَبَرِ، إِذْ لَيْسَ المُخَاطَبُونَ بِمُتَرَدِّدِينَ فِي مَضْمُونِ الخَبَرِ، وَالأصل في (إِنَّ) إِذَا جَاءَتْ عَلَى هَذَا الوَجْهِ أَنْ تُفِيدَ التَّعْلِيلَ وتربطَ مَضْمُونَ جُمْلَتِهَا بِمَضْمُونِ الجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، فَتُغْنِي عَنْ فَاءِ التَّفْرِيعِ، وَلِذَلِكَ فُصِلَتِ الجُمْلَةُ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا فَلَمْ تُعْطَفْ لِإِغْنَاءِ (إِنَّ) عَنِ العَاطِفِ [2].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64]، فجُمْلَةُ: ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾ تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ العِلَّةِ لِجُمْلَةِ ﴿أَغْرَقْنَا﴾ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَرْفُ (إِنَّ) لِأَنَّ حَرْفَ (إِنَّ) هُنَا لَا يُقْصَدُ بِهِ رَدُّ الشَّكِّ وَالتَّرَدُّدِ، إِذْ لَا شَكَّ فِيهِ، وَإِنَّمَا المَقْصُودُ مِنَ الحَرْفِ الدَّلَالَةُ عَلَى الِاهْتِمَامِ بِالخَبَرِ، والأصل في (إِنَّ) إِذَا جَاءَتْ لِلِاهْتِمَامِ أَنْ تَقُومَ مَقَامَ فَاءِ التَّفْرِيعِ، وَتُفِيدَ التَّعْلِيلَ وَرَبْطَ الجُمْلَةِ بِالَّتِي قَبْلَهَا. فَفَصْلُ هَذِهِ الجُمْلَةِ كَلَا فَصْلٍ [3].

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]، فقوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ للهِ﴾ تَذْيِيلٌ وَتَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَالصَّبْرِ، أَيِ: افْعَلُوا ذَلِكَ لِأَنَّ حُكْمَ الظُّلْمِ لَا يَدُومُ، فالأرض لله يورثها الله مَن يشاء من عباده، وَلِأَجْلِ هَذَا المَعْنَى فُصِلَتِ الجُمْلَةُ [4].

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 130]، فَجُمْلَةُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فِي مَوْضِعِ التَّعْلِيلِ لِجُمْلَةِ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ ولهذا فُصِلَتْ [5].

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 91.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 176.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 8: 198.

(4) . انظر: التحرير والتنوير 9: 60.

(5) . انظر: التحرير والتنوير 9: 63.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 138ـ 139]، فقوله: ﴿إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ تفيد معنى التَّعْلِيل لِمَضْمُونِ جُمْلَةِ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ولهذا فُصِلَتْ عَنْهَا، وَقَدْ عُرِّفَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ بِالْإِشَارَةِ لِتَمْيِيزِهِمْ بِتِلْكَ الْحَالَةِ الَّتِي هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهَا أَكْمَلَ تَمْيِيزٍ، وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُمْ يستحقُّون ما يذكر فيهم مِنَ الْأَوْصَافِ بَعدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ، وَهِيَ كَوْنُهُمْ مُتَبَّراً أَمْرُهُمْ وَبَاطِلاً عَمَلُهُمْ، وَقُدِّمَ الْمُسْنَدُ وَهُوَ ﴿مُتَبَّرٌ﴾ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَهُوَ ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَهُ بِالمُسْنَدِ إِلَيْهِ أَيْ: هُمُ المُعَرَّضُونَ لِلتَّبَارِ وَأَنَّهُ لَا يَعْدُوهُمُ الْبَتَّةَ، وَأَنَّهُ لَهُمْ ضَرْبَةُ لَازِبٍ [1].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156]، فقوله: ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ﴾ جاءت مَسُوقَة مَسَاقَ التَّعْلِيلِ لِلطَّلَبِ وَالِاسْتِجَابَةِ، ولهذا فُصِلَتْ، وَلِأَنَّ مَوْقِعَ حَرْفِ التَّأْكِيدِ فِي أَوَّلِهَا مَوْقِعُ الِاهْتِمَامِ، فَيُفِيدُ الرَّبْطَ والتَّعْلِيلَ، وَيُغْنِي غِنَاءَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ [2].

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُون﴾ [الأعراف: 196ـ 197]، فقد فُصِلَتْ هَذِهِ الجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَةِ: ﴿ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ﴾ [الأعراف: 195] لِوُقُوعِهَا مَوْقِعَ العِلَّةِ لِمَضْمُونِ التَّحَدِّي فِي قَوْلِهِ: ﴿ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ﴾ [الأعراف: 195] الَّذِي هُوَ تَحَقُّقُ عَجْزِهِمْ عَنْ كَيْدِهِ، فَهَذَا تَعْلِيلٌ يفيد عَدَمَ الِاكْتِرَاثِ بِتَأَلُّبِهِمْ عَلَيْهِ وَاسْتِنْصَارِهِمْ بِشُرَكَائِهِمْ، ويدلُّ على ثِقَتِهِ بِأَنَّهُ مُنْتَصِرٌ عَلَيْهِمْ. وَالتَّأْكِيدُ لِرَدِّ الإِنْكَارِ [3].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]، فجُمْلَةُ ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾ وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ لِلْأَمْرِ بِالدُّعَاءِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَمْرُ تَكْرِيمٍ لِلْمُسلمين يتضمَّن رضى اللهِ عَنْهُمْ، وَلَكِنْ سَلَكَ فِي التَّعْلِيلِ طَرِيقَ إِثْبَاتِ الشَّيْءِ بِإِبْطَالِ ضِدِّهِ، تَنْبِيهاً عَلَى قَصْدِ الأَمْرَيْنِ وَإِيجَازاً فِي الكَلَامِ. وَلِكَوْنِ الْجُمْلَةِ وَاقِعَةً مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ افْتُتِحَتْ بِ (إِنَّ)

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 82.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 128.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 9: 224.

التي تفيد الِاهْتِمَامِ هنا؛ لأن المخاطَبين غيرُ مترددين فِي هَذَا الخَبَرِ، وَالأصل في (إِنَّ) إِذَا جَاءَتْ عَلَى هَذَا الوَجْهِ أَنْ تُفِيدَ التَّعْلِيلَ وَالرَّبْطَ، وَتَقُومَ مَقَامَ الفَاءِ [1].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، فجُمْلَةُ: ﴿إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ﴾ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْقِعِ التَّعْلِيلِ لِمَضْمُونِ قَوْلِهِ: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: اتْرُكُوا عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ خَوْفاً مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ عَظِيمٍ، وَبُنِيَ نَظْمُ الكَلَامِ عَلَى خَوْفِ الْمُتَكَلِّمِ عَلَيْهِمْ، دَلَالَةً عَلَى إِمْحَاضِهِ النُّصْحَ لَهُمْ وَحِرْصِهِ عَلَى سَلَامَتِهِمْ، حَتَّى جَعَلَ مَا يَضُرُّ بِهِمْ كَأَنَّهُ يَضُرُّ بِهِ، فَهُوَ يَخَافُهُ كَمَا يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ هَذَا كَانَ فِي بداية خِطَابِهِمْ بِمَا أُرْسِلَ بِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ قَالَهُ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ مِنْهُمُ التَّكْذِيبُ: أَيْ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ عَذَاباً فَإِنِّي أَخَافُهُ عَلَيْكُمْ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ الرُّسُلِ بِقَوْمِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَأْنَفَةً ثَانِيَةً بَعْدَ جُمْلَةِ ﴿اعْبُدُوا اللهَ﴾ لِقَصْدِ الإِرْهَابِ وَالإِنْذَارِ، وَنُكْتَةُ بِنَاءِ نَظْمِ الْكَلَامِ عَلَى خَوْفِ الْمُتَكَلِّمِ عَلَيْهِمْ هِيَ هِيَ [2].

وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180]، فهذه الجملة: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ التَّعْلِيلِ لِلْأَمْرِ بِتَرْكِ المُلْحِدِينَ، ولهذا فُصِلَتْ، أَيْ لَا تَهْتَمُّوا بِإِلْحَادِهِمْ وَلَا تَحْزَنُوا لَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تعالى سَيَجْزِيهِمْ بِسُوءِ عملهم، وَسُمِّيَ إِلحَادُهُمْ عَمَلاً لِأَنَّهُ مِنْ أَعْمَالِ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ [3].

ومن الأمثلة كذلك: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200]، فهذه الجملة: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ هي فِي مَوْقِعِ العِلَّةِ لِلْأَمْرِ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ بِاللهِ عَلَى مَا هُوَ الأصل في حَرْفِ (إِنَّ) إِذَا جَاءَ فِي غَيْرِ مَقَامِ دَفْعِ الشَّكِّ أَوِ الإِنْكَارِ، فَإِن الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُنْكِرُ ذَلِكَ وَلَا يَتَرَدَّدُ فِيهِ، وَالمُرَادُ من ذلك هو: التَّعْلِيلُ بِلَازِمِ هَذَا الخَبَرِ، وَهُوَ عَوْذُهُ مِمَّا اسْتَعَاذَهُ مِنْهُ، أَيْ: أَمَرْنَاكَ بِذَلِكَ لِأَنَّ ذَلِكَ يَعْصِمُكَ مِنْ وَسْوَسَتِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [4].

وفي الآية التي بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، وهَذَا تَأْكِيدٌ وَتَقْرِيرٌ لِلْأَمْرِ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَتَتَنَزَّلُ جُمْلَةُ:

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 172.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 8: 189.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 9: 190.

(4) . انظر: التحرير والتنوير 9: 231.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إِلَى آخِرِهَا مَنْزِلَةَ التَّعْلِيلِ لِلْأَمْرِ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا أَحَسَّ بِنَزْغِ الشَّيْطَانِ، وَلِذَلِك افتتحت بـ (إِنَّ) التي تفيد الِاهْتِمَامِ لَا لِرَدِّ تَرَدُّدٍ أَوْ إِنْكَارٍ، كَمَا افْتُتِحَتْ بِهَا سَابِقَتُهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200] فَيَكُونُ الْأَمْرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ حِينَئِذٍ قَدْ عُلِّلَ بِعِلَّتَيْنِ: أُولَاهُمَا: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِاللهِ مَنْجَاةٌ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ، وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ فِي الِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَان تذكراً لوَاجِبِ مُجَاهَدَةِ الشَّيْطَانِ وَالتَّيَقُّظِ لِكَيْدِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ التَّيَقُّظَ سُنَّةُ الْمُتَّقِينَ، فَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَأْمُورٌ بِمُجَاهِدَةِ الشَّيْطَانِ: لِأَنَّهُ مُتَّقٍ، وَلِأَنَّهُ يَبْتَهِجُ بِمُتَابَعَةِ سِيرَةِ سَلَفِهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]. وَقَدْ جَاءَتِ العِلَّةُ هُنَا أَعَمَّ مِنَ المُعَلَّلِ؛ لِأَنَّ التَّذَكُّرَ أَعَمُّ مِنَ الِاسْتِعَاذَةِ [1].

المطلب الخامس: من أسباب الفصل: أن تكون معترضة

ومن الأمثلة ذلك عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131]، فهذه الجملة ﴿أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مُعْتَرِضَةٌ ولهذا فُصِلَتْ، وَالِاسْتِدْرَاكُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ لكِنَّ عَمَّا يُوهِمُهُ الِاهْتِمَامُ بِالْخَبَرِ الَّذِي قَبْلَهُ لِقَرْنِهِ بِأَدَاةِ الِاسْتِفْتَاحِ، واشتمل عَلَى صِيغَةِ القَصْرِ لأنَّ شَأْنَ ذلك أَنْ لَا يَجْهَلَهُ العُقَلَاءُ، فَاسْتُدْرِكَ بِأَنَّ أَكْثَرَ أُولَئِكَ لَا يَعْلَمُونَ [2].

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145]، قَوْلُهُ: ﴿فَخُذْها﴾ تدلُّ الفَاءُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَعْنَى مَا خَاطَبَ اللهُ تعالى بِهِ مُوسَى عليه الصلاة والسلام، وَلَمَّا لَمْ يَقَعْ فِيمَا وَليته الفاء مَا يصلح لِأَنْ يتفرَّع عَنْهُ الأمرُ بِأَخْذِهَا بِقُوَّةٍ، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿فَخُذْها﴾ بَدَلاً مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ [الأعراف: 144] بَدَلَ اشْتِمَالٍ؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ بِقُوَّةٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْأَخْذُ الْمُطْلَقُ، وَقَدِ اقْتَضَاهُ الْعَوْدُ، إِلَى مَا خَاطَبَ اللهُ بِهِ مُوسَى إِثْرَ صَعْقَتِهِ إِتْمَاماً لِذَلِكَ الخِطَابِ فَأُعِيدَ مَضْمُونُ مَا سَبَقَ لِيَتَّصِلَ بِبَقِيَّتِهِ، فَيَكُونَ المعنى بِمَنْزِلَةِ أَنْ يَقُولَ: (فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ بِقُوَّةٍ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)، وَيَكُونُ مَا بَيْنَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الاعتراض، وَلَوْلَا إِعَادَةُ ﴿فَخُذْها﴾

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 231.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 67.

لَكَانَ مَا بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144] وَقَوْلِهِ: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا﴾ اعْتِرَاضاً عَلَى بَابِهِ، وحين اقْتَضَى المَقَامُ هَذَا الفَصْلَ، وَإِعَادَةَ الأَمْرِ بِالأَخْذِ، اقْتَضَى حُسْنُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي الإِعَادَةِ زِيَادَةٌ، فَأُخِّرَ مُقَيِّدُ الْأَخْذِ، وَهُوَ كَوْنُهُ بِقُوَّةٍ، عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ، وَعُلِّقَ بِالْأَمْرِ الثَّانِي الرَّابِطُ لِلْأَمْرِ الْأَوَّلِ، فَلَيْسَ قَوْلُهُ: ﴿فَخُذْها﴾ بِتَأْكِيدٍ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ نَظْمُ حِكَايَةِ الخِطَابِ لِمُوسَى عَلَى هَذَا الأُسْلُوبِ مِنْ نَظْمِ القُرْآنِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي أَصْلِ الخِطَابِ المَحْكِيِّ إِعَادَةُ مَا يَدُلُّ عَلَى الأَمْرِ بِالْأَخْذِ لِقَصْدِ تَأْكِيدِ هَذَا الأَخْذِ، وعلى هذا فَيَكُونُ تَوْكِيداً لَفْظِيّاً، وَيَكُونُ تَأْخِيرُ الْقَيْدِ تَحْسِيناً لِلتَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ لِيَكُونَ مَعَهُ زِيَادَةُ فَائِدَةٍ، وَيَكُونَ الِاعْتِرَاضُ قَدْ وَقَعَ بَين التوكيد والموكّد، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ نَظْمُ الخِطَابِ عَلَى هَذَا الأُسْلُوبِ مِنْ نَظْمِ الكَلَامِ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ بِهِ مُوسَى حُكِيَ فِي القُرْآنِ عَلَى أُسْلُوبِهِ الصَّادِرِ بِهِ [1].

المطلب السادس: من أسباب الفصل: أن تكون الجملة مؤكِّدة

ومن الأمثلة على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 148]، فهذه الجملة ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ هي مُؤَكِّدَةٌ لِجُمْلَةِ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى﴾ ولهذا فُصِلَتْ، وَالغَرَضِ مِنَ التَّوْكِيدِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ هُوَ التَّكْرِيرُ لِأَجْلِ التَّعْجِيبِ، كَمَا يُقَالُ: نَعَمِ اتَّخَذُوهُ، وَلِتُبْنَى عَلَيْهِ جُمْلَةُ: ﴿وَكَانُوا ظالِمِينَ﴾ فَيَظْهَرُ أَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِاتِّخَاذِ الْعِجْلِ، وَذَلِكَ لِبُعْدِ جُمْلَةِ: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى﴾ بِمَا وَلِيَهَا مِنَ الجُمْلَةِ وَهَذَا كَقَوْلِهِ سبحانه: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالعَدْلِ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة: 282] فقد أُعِيدَ ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ لِتُبْنَى عَلَيْهِ جُمْلَةُ: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ﴾ [البقرة: 282]، ويفيد هذا التَّكْرِيرُ مع ذَلِكَ التَّوْكِيدَ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى التَّوْكِيدِ [2].

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: 193]، فهذه الجملة: ﴿سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ﴾ هي مُؤَكِّدَةٌ لِجُمْلَةِ: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ ولهذا فُصِلَتْ [3].

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 99.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 111.

(3) . انظر: التحرير والتنوير 9: 218.

ومن الأمثلة قوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187]، فقد فُصِلَتْ جُمْلَةُ: ﴿لَا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ﴾؛ لِأَنَّهَا تَتَنَزَّلُ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا مَنْزِلَةَ التَّأْكِيدِ وَالتَّقْرِيرِ.

وَقد قُدِّمَ المَجْرُورُ وَهُوَ ﴿لِوَقْتِها﴾ عَلَى فَاعِلِ يُجَلِّيها الذي وقع اسْتِثْنَاءً مُفْرَغاً لِلِاهْتِمَامِ بِهِ تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّ تَجْلِيَةَ أَمْرِهَا تَكُونُ عِنْدَ وَقْتِ حُلُولِهَا لأنَّ الساعةَ لا تَأْتِي إلا بَغْتَةً.

وَجُمْلَةُ: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ﴾ مُعْتَرِضَةٌ لِقَصْدِ الْإِفَادَةِ بِهَوْلِهَا، وَالإِيمَاءِ إِلَى حِكْمَةِ إِخْفَائِهَا [1].

وكذلك جملة: ﴿يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها﴾ هي مُبَيِّنَةٌ لِكَيْفِيَّةِ سُؤَالِهِمْ ومُؤَكدَة لجملة: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ فلهذا فُصِلَتْ [2].

المبحث الرابع: من أسباب الوصل، وفيه أربعة مطالب:

هذا المبحث سأذكر فيه أهم أسباب الوصل والأمثلة على ذلك من سورة الأعراف، فمن أسباب الوصل: وجود المناسبة المتوسطة بَيْنَ كَمَالِ الِاتِّصَالِ وَكَمَالِ الِانْقِطَاعِ، ومن أسباب الوصل: إفادة معنى زائد على ما في الجملة السابقة، ومن الأسباب كذلك: إفادة المغايرة، وسيكون الحديث عن أسباب الوصل في أربعة مطالب:

المطلب الأول: من أسباب الوصل:

وجود المناسبة المتوسطة بَيْنَ كَمَالِ الِاتِّصَالِ وَكَمَالِ الِانْقِطَاعِ

ومن الأمثلة على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42]، فبعد الإِنْذَار وَالوَعِيد لِلْمُكَذِّبِينَ أعقب ذلك بِالبِشَارَةِ وَالوَعْدِ لِلْمُؤْمِنِينَ المُصَدِّقِينَ عَلَى عَادَةِ القُرْآنِ فِي تَعْقِيبِ أَحَدِ الغَرَضَيْنِ بِالآخَرِ.

وَقد عطفَ عَلَى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ [الأعراف: 40] أَيْ: وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؛ لِأَنَّ بَيْنَ مَضْمُونِ الجُمْلَتَيْنِ مُنَاسَبَةً مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ كَمَالِ الِاتِّصَالِ وَكَمَالِ الِانْقِطَاعِ،

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 9: 203.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 204.

وَهُوَ التَّضَادُّ بَيْنَ وَصْفِ المُسْنَدِ إِلَيْهِمَا فِي الجُمْلَتَيْنِ، وَهُوَ التَّكْذِيبُ بِالآيَاتِ وَالإِيمَانُ بِهَا، وَبَيْنَ حُكْمِ المُسْنَدَيْنِ وَهُوَ العَذَابُ وَالنَّعِيمُ، وَهَذَا مِنْ قَبِيلِ الجَامِعِ الوَهْمِيِّ المَذْكُورِ فِي أَحْكَامِ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ مِنْ عِلْمِ المَعَانِي [1].

المطلب الثاني: مِن أسبابِ الوصلِ: إفادةُ معنى زائد على ما في الجملة السابقة

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102]، فقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾ هو إِخْبَارٌ بِأَنَّ عَدَمَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ مِنْ أَكْثَرِهِمْ كَانَ مِنْهُمْ عَنْ عَمْدٍ وَنَكْثٍ، ولأنَّ هذا مَعنى زَائِدٌ عَلَى مَا فِي الجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا عُطِفَتْ وَلَمْ تُجْعَلْ تَأْكِيداً لِلَّتِي قَبْلَهَا أَوْ بَيَاناً؛ لِأَنَّ الفِسْقَ هُوَ عِصْيَانُ الْأَمْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا فِيمَا وَعَدُوا عَنْ قَصْدٍ وتعمُّد لِلْكُفْرِ [2].

المطلب الثالث: مِن أسبابِ الوصلِ: الاتحادُ في الإنشاء أو الاتحادُ في الخبر

فمن الأمثلة على الاتحاد في الإنشاء، قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3]، فقد عطف (النهي) في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ على (الأمر) في قوله: ﴿اتَّبِعُوا﴾.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]، فقد عطف (الأمر) في قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ على الأمر في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا﴾.

ومن الأمثلة على الاتحاد في الخبر، قوله سبحانه: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 6]، فقد عطف قوله: ﴿وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ على قوله: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾، والجملتان خبريتان.

ومن الأمثلة أيضاً: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8ـ 9]، فقد عطف قوله: ﴿وَمَنْ

---

(1) . انظر: التحرير والتنوير 8: 129.

(2) . انظر: التحرير والتنوير 9: 33.

خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ على قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ والجملتان خبريتان.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10]، فقد عطف ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ وهي جملة خبرية على: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ وهي جملة خبرية كذلك.

المطلب الرابع: من أسباب الوصل: إفادة المغايرة

ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26]، فقد عَطَف ﴿وَرِيشاً﴾ عَلَى ﴿لِباساً﴾ وهذا العطف يَقْتَضِي المُغَايَرَةَ وَأَنَّهُ قَسِيمٌ لِلّبَاسِ وليس قِسْماً مِنْهُ [1].

وقوله ﴿وَرِيشاً﴾ يُحْتمل أن يكونَ من باب عطف الصفات، والمعنى: أنه وصف اللباس بشيئين هما: مواراة السَّوْءة والزينة، وعبَّر عنها بالريش؛ لأنَّ الريش زينةٌ للطائر، كما أن اللباس زينة للآدميين، فالريش لباسُ الزينة، استعير مِنْ ريش الطير لأنه لباسُه وزينتُه.

ويُحْتَمل أن يكون من باب عطف الشيء على غيره أي: أَنْزَلْنا عليكم لباسَيْن لباساً موصوفاً بالمواراة ولباساً موصوفاً بالزينة، أي: أنزلنا عليكم لباسَيْن لباساً يواري سَوْءاتكم ولباساً يُزَيِّنُكم؛ لأن الزينةَ غرضٌ صحيح كما قال تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: 8] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل: 6] وعلى هذا فالكلام في قوة حذف موصوف وإقامة صفته مُقامه والتقدير: ولباساً ريشاً أي: ذا ريش [2].

ومن الأمثلة قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205] قال الإمام ابن عطية: (وقوله تعالى: وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ الآية، مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم تعم جميع أمته وهو أمر من الله عز وجل بذكره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بمحامده، والجمهور على أن الذكر لا يكون في

---

(1) . انظر: البحر المحيط 5: 30.

(2) . انظر: الدر المصون 5: 286.

النفس ولا يراعى إلا بحركة اللسان، ويدل على ذلك من هذه الآية قوله: وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ. فهذه مرتبة السر والمخافتة باللفظ، وتَضَرُّعاً معناه تذللا وخضوعاً) [1].

وتعقَّب أبو حيان ابنَ عطية فقال: (وَلَا دَلَالَةَ فِي ذَلِكَ لِمَا زَعَمَ بَلِ الظَّاهِرُ الْمُغَايَرَةُ بَيْنَ الحَالَتَيْنِ وَأَنَّهُمَا ذِكْرَانِ نَفْسَانِيَّ وَلِسَانِيَّ، وَلِذَلِكَ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَمُتَكَلِّماً كَلَاماً دُونَ الْجَهْرِ لِأَنَّ الْإِخْفَاءَ أَدْخَلُ فِي الْإِخْلَاصِ وَأَقْرَبُ إِلَى جِنْسِ التَّفَكُّرِ) [2] انْتَهَى، وَلَمَّا ذَكَرَ حَالَتَيِ الذِّكْرِ وَسَبَبَهُمَا وَهُمَا التَّضَرُّعُ وَالْخُفْيَةُ ذَكَرَ أَوْقَاتَ الذِّكْرِ فَقِيلَ: أَرَادَ خُصُوصِيَّةَ الْوَقْتَيْنِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ فِي وَقْتَيْنِ قَبْلَ فَرْضِ الْخَمْسِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: الْغُدُوُّ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَالْآصالِ: صَلَاةُ الْعَصْرِ، وَقِيلَ: خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ لِفَضْلِهِمَا، وَقِيلَ: الْمَعْنَى جَمِيعُ الْأَوْقَاتِ وَعَبَّرَ بِالطَّرَفَيْنِ الْمُشْعِرَيْنِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْغُدُوُّ، قِيلَ: جَمْعُ غَدْوَةٍ فَعَلَى هَذَا تَظْهَرُ الْمُقَابَلَةُ لِاسْمِ جِنْسٍ بِجَمْعٍ وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْغَدَوَاتِ وَالْعَشَايَا وَإِنْ كَانَ مَصْدَرَ الغَدَاءِ فَالْمُرَادُ بِأَوْقَاتِ الْغُدُوِّ حَتَّى يُقَابَلَ زَمَانٌ مَجْمُوعٌ بِزَمَانٍ مَجْمُوعٍ [3].

وقال أيضاً عن هذه الآية: (وَلَمْ يَأْتِ التَّرْكِيبُ وَاذْكُرِ اللهَ وَلَا غَيْرَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَنَاسَبَ أَيْضاً لَفْظَ الرَّبِّ قَوْلُهُ ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾؛ لِأَنَّ فِيهِ التَّصْرِيحَ بِمَقَامِ العُبُودِيَّةِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ﴾ حَالَةٌ مُغَايِرَةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ لِعَطْفِهَا عَلَيْهَا، وَالعَطْفُ يَقْتَضِي التَّغَايُرَ) [4].

فهذه أهم أسباب الوصل مع بعض الأمثلة من سورة الأعراف، وقد تبيَّن كيف أنَّ للفصل مَواطن وأسباباً لا يَحسُن إلا بها، وتبيَّن كيف أنَّ للوصل أسباباً ومواضع تليق به لا يَحسُن معها الفصل. فتكون اللغةُ العربيةُ على الغاية من الجمال والبيان، والتناسب والتناسق والتناغم.

فسبحان مَن علَّم الإنسانَ البيان.

---

(1) . المحرر الوجيز 2: 494.

(2) . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. 2: 192.

(3) . البحر المحيط 5: 263.

(4) . البحر المحيط 5: 263.

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

لقد ظهر في البحث جمال اللغة العربية وبلاغتها في أسلوب الفصل والوصل، وبان كيف أن للعرب أساليب مختلفة، يراعي كل أسلوب منها المقام أو الحال أو السياق..

وتبين في البحث كيف أن التعمق في فهم القرآن وأساليبه وتراكيبه لا يكون إلا بالتعمق في اللغة العربية ودراستها. وتوصلت إلى النتائج التالية:

1ـ ذكرت معنى الفصل والوصل في اللغة وأن الفصل هو بَوْنُ ما بين الشَّيئينِ. وأنه يدل على تمييز الشَّيء من الشَّيء وإبانته عنه، وأن الوصل يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَعْلَقَه.

2ـ وبيَّنت معنى الفصل والوصل في الاصطلاح وأن الوصل هو العطف وأن الفصل ترك العطف وأنه العلم بمواضع العطف والاستئناف، وأن الفصل هو ترك الربط بين الجُملتين، إمَّا لأنهما مُتحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإمَّا لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى.

3ـ وأشرت إلى أن هناك مَن توسع في مفهوم الفصل والوصل فأدخل فيه الفصل والوصل بالجمل وبالمفردات، وهناك من ضيَّق فجعله خاصاً بالجمل.

وكذلك هناك مَن توسع في مفهوم الفصل فأدخل فيه «واو الاستئناف» و«الفاء» و«ثم» و«بل» و«أم المنقطعة» و«ضمائر الفصل» و«الجملة المعترضة» و«الاستثناء المنقطع»، وهناك من ضيق وجعله يختص بترك العطف بالواو.

وقد سرتُ في البحث على طريقة مَن توسع في مفهوم الفصل والوصل.

4ـ وتحدثت عن أهميَّة الفصلِ والوصلِ في اللغةِ العربيَّةِ وعن الأطوار والمراحل التي مرَّ بها الفصلُ والوصلُ وأن مصدره في البداية كان في علم القراءات، وأول مرحلة كانت هي (مرحلة عدم استقرار المصطلح)، ثم المرحلة الثانية: (مرحلة استقرار المصطلح)، والمرحلة الثالثة هي: (مرحلة تشعب المصطلح)

5ـ وبيَّنت مواضعَ الفصلِ ومواضعَ الوصلِ وأنواعَ الوصلِ بالنسبة إلى المفردِ والجملةِ، والفصلَ والوصلَ بين الجملِ التي لا محلَّ لها من الإعراب وأغراضَ الفَصلِ والوَصلِ.

6ـ ثم تحدثت عن الفصل والوصل في سورة الأعراف، وبدأت بذكر أنواع الفصل، فمنه الفصل بالاستئناف، والفصل بالجملة المعترضة، والفصل بالاستثناء المنقطع، والفصل بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل)، وبـ: (حتى الابتدائية).

7ـ وبينت أنواعَ الوصلِ، والأمثلة عليه من سورة الأعراف فمنه الوصلُ بالواو، والوصلُ بالفاء، والوصلُ بـ (ثم)، وبـ (أو)،

8ـ وذكرت أسباب الفصل، وأن من أسبابه: طَرِيقَة المُحَاوَراتِ، ومن الأسباب: أن تكون الجملة بيانية، فهي بِمَنْزِلَةِ عَطْفِ البَيَانِ مِنَ المُبَيَّنِ، ومن أسباب الفصل كذلك: لَفْتُ الأذهانِ إليه، ومن الأسباب أيضاً إفادة التعليل، أو أن تكون معترضة، أو أن تكون الجملة مؤكِّدة.

9ـ ثم ذكرت أهم أسباب الوصل، فمن ذلك وجود المناسبة المتوسطة بَيْنَ كَمَالِ الِاتِّصَالِ وَكَمَالِ الِانْقِطَاعِ، ومن أسبابه أيضاً: إفادة معنى زائد على ما في الجملة السابقة، ومن الأسباب كذلك الاتحادُ في الإنشاء أو الاتحادُ في الخبر، ومن أسباب الوصل: إفادة التغاير.

أهم التوصيات:

أوصي الباحثين والدارسين أن يبحثوا في أساليب القرآن وأن يخصوها بالبحث والدراسة، وأن يوظفوا علوم اللغة العربية لفهم القرآن وتدبره والغوص في معانيه التي لا تنضب. ومن هذه الموضوعات:

1ـ دراسة الفصل والوصل عامةً في السُّوَر الأخرى من القرآن.

2ـ دراسة هذا الأسلوب عند عدد من العلماء.

3ـ إفراد دراسة خاصة عن مبحث من مباحث الفصل أو الوصل في القرآن، أو في سورة من السُّوَر.

وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم وعلومه:

ـ معاني القرآن، أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.

اللغة العربية:

ـ كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

ـ معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة 1399هـ - 1979م.

ـ أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفَّى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998م.

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ

ـ علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ).

ـ فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع - السعودية / حائل، الطبعة الخامسة 1422 هـ- 2001م.

ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ- 1992م.

ـ دلالات التركيب دراسة بلاغية، الدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثانية 1408هـ، 1987م.

ـ مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الثانية، 1407 هـ- 1987م.

ـ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ- 2000م.

ـ كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م.

ـ الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

ـ البلاغةُ الواضِحَةُ، لعلي الجارم ومصطفى أمين

ـ الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفَّى: 739هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة.

ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، تحقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

ـ موجز البلاغة، الإمام محمد الطاهر بن عاشور.

ـ الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، عام النشر: 1419هـ

ـ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف: يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ)، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ

ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني. أحمد عبد النور المالقي. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط. دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة 1423هـ ـ 2002م.

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	الإهداء	3
2	مقدمة	4
3	التمهيد	9
4	المبحث الأول: الفصل والوصل في اللغة	10
5	المبحث الثاني: الفصل والوصل في الاصطلاح	13
6	المبحث الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي	17
7	الفصل الأول: الفصل والوصل في اللغة العربية	18
8	المبحث الأول: أهميَّةُ الفصلِ والوصلِ في اللغةِ العربيَّةِ	19
9	التشاكل والتباين:	26
10	التعادل والانسجام	28
11	العدول من الوصل إلى الفصل وبالعكس	29

12	المبحث الثاني: الأطوارُ والمراحلُ التي مرَّ بها الفصلُ والوصلُ	32
13	المبحثُ الثالثُ: الفَصلُ والوَصلُ بين عِلْمَيْ النحوِ والبلاغةِ	41
14	المبحث الرابع: مواضعُ الفصلِ	44
15	المبحث الخامس: مواضعُ الوصلِ	51
16	المبحث السادس: أنواعُ الوصلِ بالنسبةِ إلى المفردِ والجملةِ	55
17	المبحث السابع: الفصلُ والوصلُ بين الجملِ التي لا محلَّ لها من الإعراب	68
18	المبحث الثامن: أغراضُ الفَصلِ والوَصلِ	77
19	الفصل الثاني: الفصل والوصل في سورة الأعراف	88
20	المبحث الأول: أنواع الفصل	91
21	المطلب الأول: الفصل بالاستئناف	91
22	المطلب الثاني: الفصل بالجملة المعترضة	100
23	المطلب الثالث: الفصل بالاستثناء المنقطع	112
24	المطلب الرابع: الفصل بـ (أم) المنقطعة وبـ (بل)	114
25	المطلب الخامس: الفصل بـ (حتى الابتدائية)	117
26	المبحث الثاني: أنواع الوصل	121
27	المطلب الأول: الوصل بالواو	121
28	المطلب الثاني: الوصل بالفاء	131
29	المطلب الثالث: الوصل بـ (ثم)	135
30	المطلب الرابع: الوصل بـ (أو)	139
31	المبحث الثالث: من أسباب الفصل	145
32	المطلب الأول: من أسباب الفصل: طَرِيقَةُ المُحَاوَراتِ	145
33	المطلب الثاني: من أسباب الفصل: أن تكون الجملة بيانية	149
34	المطلب الثالث: من أسباب الفصل: لَفْتُ الْأَذْهَانِ إِلَيْهِ	153
35	المطلب الرابع: من أسباب الفصل: إفادةُ التَّعليلِ	154
36	المطلب الخامس: من أسباب الفصل: أن تكون معترضة	158

37	المطلب السادس: من أسباب الفصل: أن تكون الجملة مؤكِّدة	159
38	المبحث الرابع: من أسباب الوصل	160
39	المطلب الأول: من أسباب الوصل: وجود المناسبة المتوسطة بَيْنَ كَمَالِ الِاتِّصَالِ وَكَمَالِ الِانْقِطَاعِ	160
40	المطلب الثاني: مِن أسبابِ الوصلِ: إفادةُ معنى زائد على ما في الجملة السابقة	160
41	المطلب الثالث: مِن أسبابِ الوصلِ: الاتحادُ في الإنشاء أو الاتحادُ في الخبر	161
42	المطلب الرابع: من أسباب الوصل: إفادة المغايرة	161
43	الخاتمة: أهم نتائج البحث	164
44	أهم التوصيات:	165
45	المصادر والمراجع	166
46	فهرس المحتويات	168